

القسم الثاني من

كتاب

الانهار الرياضية

مختص في أئمة وملوك الإباضية

تأليف

الفقيه الى مولاه الفقيه سليمان بن الشيخ

عبد الله الباروني النفوسي وفقيه

الله لصالح العمل وعامله بالحسن

آمين

وهذا القسم يختص بالكلام على مدينة نهرت

وأئمة بني رستم فيها رحمهم الله ورضي عنهم

وبهم امشه تعليقات عليه لا تخلو من فائدة

حررها مؤلفه حفظه الله

حقوق طبعه وترجمته محفوظة لمؤلفه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الثاني من الكتاب

في انتقال الامامة من طرابلس الى مدينة تهرت
بالمغرب الاوسط ومبدا ذلك وأسبابه

قد تقدم ان عبد الرحمن بن رستم لما ورد عليه امر الامام ابي الخطاب من طرابلس وهو عامل له بالقيروان جهز جيشاً وسار به ولما وصل (قابس) أدركه خبر وفاة الامام فتفرق عليه الجيش وقامت (قابس) على عاملها فعاد الى القيروان فوجدها قد قامت على وكيله أيضاً ووجد عبد الرحمن ابن حبيب ثائراً بها كما مر مفصلاً في القسم الاول ولما وجد الأمر كذلك خرج مستخفياً قاصداً المغرب ولم يكن معه شيء الا ما خف من ماله وابنه عبد الوهاب ومملوكه وفرسه وما ساروا غير قليل حتى ماتت الفرس فدفنوه كي لا يعلم بموته أحد من حزب ابن حبيب فيطمع فيهم ويتبع أثرهم ولما تعب عبد الرحمن من السير لكبر سنه تناوب حمله ابنه عبد الوهاب على ظهره

مع المملوك وقال كل منهما للآخر اذا لحقنا من العدو مادون خمسمائة فارس
 فلا تضع الشيخ (أى عبد الرحمن) الى الارض وانا كفيك مؤنة الدفاع
 وضلوا سائرين قاصدين رحاب المغرب وأكثافه (١) الواسعة المزدانة
 (٢) برجال الاباضية اخوانه وعجي سيرته حيث يعمه الأمن ويحيط به العز
 والشرف ويشمله الاجلال والاحترام الى ان بلغوا جبلا يعرف بسو فجج *
 وهو على ما وصف به فى التواريخ فى غاية المنعة وصعوبة المرقى فتحصن فيه
 وسمع به وجوه الاباضية وعلماءهم فقصدوه من كل النواحي حتى اجتمع
 عنده من طرابلس وجبل نفوسة من العلماء فقط مايزيد على ستين من
 اكابر العلماء وأهل الفضل والرأى ولما بلغ ابن الاشعث وهو فى القيروان كما
 مر خبر هذا الاجتماع اشتد به الرعب وداخله الفزع ولم يطبله طعام
 ولا شراب ولا منام حتى جهز جيشا وسار به الى الجبل المذكور لحاصرتة قبل
 أن يعظم ذلك المجتمع * ولما وصله نزل فى سفحه (٣) وحفر خندقا على
 معسكره (٤) خوفا من هجوم عبد الرحمن ومن معه عليه وأقام
 محاصرا للجبل زمنا مستعملا كل الحيل فى دخوله والاستيلاء عليه ولم
 يتمكن من ذلك ولما ستم (٥) الاقامة وتوقع انقلاب الحال عليه
 وخاف سوء العاقبة ولا سيما بعد أن انتشر داء الحمى والجدرى فى معسكره
 حتى هلك منهم خلق كثير استشار فى الامر خواصه فأشار عليه ببعض
 بالارتحال وبعض بالاقامة فأخذ برأى الاولين وارتحل قائلا ان سو فجج
 لا يدخله الادارع ومدجج (٦) ولم تقف على ما يستدل به على تعيين هذا الجبل

(١) أى جوانبه (٢) أى المنزينة (٣) سفح الجبل أسفله (٤) المعسكر موضع
 اجتماع المساكن (٥) أى مل بتشديد اللام (٦) دارع كلابن وثامر هو الرجل

وأى الجبال هو لتبدل الاسماء بتبدل اللغات مع طول الزمن * فدخل القيروان
وتحصن بها واقام عبد الرحمن هناك حتى اجتمع عليه من أهل الفضل والعلم
والصلاح جم فقير وارتحل (١) الى جهة تاهرت * وهي اذذاك مدينة قديمة
يسكنها وما حولها قبائل من البربر مثل هواره * ومكناسة * ونفوسة * ولماية
ومزاتة وغيرهم وكلهم أباضية الا النادر ويمدون بمآت الالوف * قال المؤرخ
ابن خلدون * وقتل ابو الخطاب وطار الخبر بذلك الى عبد الرحمن بن رستم
بمكان امارته في القيروان فاحتمل أهله وولده ولحق بأباضية المغرب الاوسط
من البربر الذين ذكرناهم ونزل على * لماية * لتديم حلف (٢) بينه وبينهم

الذى عليه الدرع بكسر الدال وهي حلة من حديد تلبس حال الحرب * تذكر
وتؤنث * والمدجج * بتشديد الجيم الاولى هو الرجل المتقاد بسلاحه الحديد القوي
* قال الجوى في ٤٤٨ كانه من الديبجوج وهو الظلام كانه يختفي في الظلام كما
يختفي في السلاح اه ولعله بالمعكس

(١) الذى يظهر أن الذى سار فيه عبد الرحمن ومن معه من ذلك الجبل الى حد
تاهرت كله عامر بالأباضية لا غير أولهم السيادة فيه والا لما أمكن له الوصول بدون
أن يعرض له عارض مع اشتها أمره وشدة طلب العدو له * ولم نعلم السبب المرجح
لذهابه الى المغرب دون جبل نفوسة وما حوله العامر بالأباضية مع قربه منه وقوتهم
اللهم الا أن يكون ذلك الحلف الذى سيأتي ذكره عن ابن خلدون

(٢) الحلف بالكسر العهد بين القوم والصداقة والصديق يحلف لصاحبه أن
لا يغدر به اه قاموس * فائدة * قال والاحلاف قوم من ثقيف (بفتح الثاء)
وفي قریش ست قبائل * عبد الدار * وكعب * وجمح * (بضم ففتح) وسهم * ومخزوم *
وعدي * لانهم لما أرادت بنو عبد مناف أخذ ما في أيدي عبد الدار من الحجابة
والسقاية (في المسجد الحرام) وأبت عبد الدار عقد كل قوم على أمرهم حلفا (بكسر
الحاء) مؤكدا على أن لا يتخاذلوا فأخرجت عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعتها

اه وذكر مثل ذلك العلامة الحموي في تاريخه أيضا * ولما وصلهم استبشروا به لما يلبسهم من استقامته وعدله وعلمه وورعه أيام كان عاملا لابي الخطاب على القيروان والتفوا حوله واستظلوا بحمايته ووقفوا عند أوامره ونواهيهم بدون ان يدعي فيهم خلافة أو يطلب يمة أو ملكا ثم اجتمعوا اليه (١) وقالوا له لا بد لنا من امامة ظهور بعد تأسيس مدينة حصينة منيعة بعيدة عن مهاجمات العدو (٢) تكون مأوى ومقرا لا مامتنا (٣) وملجأ لنا في حربنا وسلمنا فأجابهم عبد الرحمن الى ذلك واستحسن رأيهم

لأحلافهم وهم * أسد * وزهرة * وتيم * عند الكعبة ففسروا أيديهم فيها وتعاقدوا وتعاقدت بنو عبد الدار وحلفاؤهم حلفا آخر مؤكدا فسموا الأحلاف وقيل لعمر رضى الله عنه * أحلافى * (بياض النسب) لانه عدوي اه وامل مراد ابن خلدون بالخلف هاهنا مجرد الصداقة والافلم نعثر في كلام المؤرخين على حصول معاهدة بين عبد الرحمن وبين قبيلة لمسية أو غيرها من القبائل قبل توجهه الى جهة تيهرت الا أن يكون ذلك أيام امارته بالقيروان ولم نطلع عليه والله أعلم (١) الظاهر أن هذا الاجتماع كان قبل أن يحصل تقديم أبي حاتم رحمه الله في جهات طرابلس كما يتبين بالنظر الى تاريخ تأسيس تاهرت وتاريخ ولايته على ما تقدم وما سيأتي

(٢) يريدون بذلك أن تكون في وسط مواطنهم ومعظم جموعهم وقوتهم ولا تكون قريبة من حدود مملكة قوية من ممالك غيرهم حتى لا يسهل هجوم العدو عليها كطرابلس فانها على البحر وقريبة من حدود مصر ولذلك لم يستقر لهم فيها قرار (٣) أي الامامة التي يضررون عقدها لعبد الرحمن أو غيره في مستقبلهم أما أبو حاتم فلا ذكر له اذ ذاك ولم تقف على نص يوضح حال أباضية طرابلس والجبل وما يلي ذلك في الزمن الذي بين وفاة أبي الخطاب وامامة أبي حاتم رحمه الله فانها مدة لا يمكن أن تخلو من عمل مع ما هم عليه من القوة عددا وعدة وسنبعث على ذلك ان شاء الله

﴿ابتداء تأسيس مدينة تيهرت﴾

فاختاروا اذ ذاك من اهل العلم والخبرة بالارض جماعة ليرتادوا (١)
مكانا جيد الهواء كثير المياه خصب الارض قابلا للعمارة مأمونا من العدو كما
طلبوا فطافوا اقطار تلك الجهات الى ان عثروا على المكان الذي بنيت فيه
وكان غابة ملتفة بالاشجار يسكنها انواع الوحوش * قال العلامة الشماخي
رضي الله عنه في تاريخه نقلا من تاريخ ابي زكريا رحمهما الله * ان بقية
المسلمين ورؤساء العابدين وكبراء الزاهدين من جماعة المؤمنين اتفقوا على
ان يتخيروا موقعا يبنون فيه مدينة تكون حرزا وحصنا الاسلام فأرسلوا
الرواد (٢) فطافوا أطراف تلك البلاد فاستحسنوا موضع تاهرت فاتفق
رأي المسلمين على بنائها فجعلوا لاهلها خراجا (٣) معلوما يأخذونه من

(١) أي ليطلبوا فهو مضارع ارتاد وفي الحديث اذا بال أحدكم فليرتد لبله
أي فليطلب مكانا لنا أو منعهدرا

(٢) جمع رائد وهو الذي يرسل في طلب السكلا كما في القاموس والمراد هنا
المرسلون في طلب أرض على التعت المذكور

(٣) أي مقدارا معيناً من المال يدفعه لارباب الارض أصحاب البيوت
والاسواق والحمامات بقانون متفق عليه في كل شهر أو كل سنة وقد عرف بعضهم
الخراج فقال * الخراج والخرج (بفتح فسكون) بمعنى واحد وهو أن يودي العبد
اليك خراجا أي غلته والرعية تودي الخراج الى الولاة وأصله من قوله تعالى * أم
تسألهم خراجا * وقرئ خراجا بمعناه أم تسألهم أجرا على ما جئت به فأجر ربك وثوابه
خير * وأما الخراج الذي وظفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على السواد فأراضي التي
فان معناه الغلة ومنه قوله عليه السلام * الخراج بالضمان * قالوا هو غلة العبد يشتره الرجل
فيستغله زمانا ثم يعثر منه على عيب دلسه البائع ولم يطلعه عليه فله رد العبد على البائع
والرجوع عليه بجميع الثمن والغلة التي استغلها المشتري من العبد طيبة له لانه كان في

غلتها اه * وذلك بعد أن راودهم عبد الرحمن على البيع ولم يقبلوا كما سيأتي
عن الحموي * وأمرُوا منادياً فنادى بأعلى صوته قائلاً * يا من بها من
الوحوش والسباع إن اخرجوا وارتحلوا فانا نريد عمارتها ونازلون بها ولستم
أجل ثلاثة أيام * او مافي معني هذا الكلام * قال ابو زكريا * وذكرُوا
أنهم رأوها تحمل اولادها في افواهها وهي خارجة من تلك الاشجار فرغبهم
ذلك فيها وزادهم بصيرة في عمارتها اه * (١)

* ولما تم الاجل ولم يبق بها من تلك الوحوش شيء اوقدوا شجرها
نارا فأحرقتة ولما خمدت النار وتمت تنقية الاشجار (٢) وصارت صالحة

ضمانه ولو هلك هلك من ماله وكان عمر رضي الله عنه أمر بمسح السواد ودفعه الى
الفلاحين الذين كانوا فيه على غلة كل سنة ولذلك يسمي خراجاً ثم بعد ذلك قيل
للبلاد التي فتحت صلحا ووظف ماصولها عليه على أرضهم خراجية لان تلك الوظيفة
اشبهت الخراج الذي لزم الفلاحين وهو الغلة لان جملة بمعنى الخراج الغلة وفي
الحديث ان أبا طيبة لما حُجِم النبي صلى الله عليه وسلم أمر له بصاعين من طعام وكلم
اهله فوضعوا عنه من خراجه أي من غنته اه



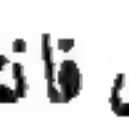
(١) ذكر بعض المؤرخين مثل هذه الحكاية في شأن الصحابة لما فتحوا
افريقية وأرادوا تأسيس مدينة القيروان ولعل الامام عبد الرحمن اقتدى بهم في
تأسيس تاهرت أيضا ولم نجد من نسب له هذه الكرامة من مؤرخي غيرنا أما عندنا
ففي كل تاريخ والله أعلم

(٢) ذكر العلامة الشماخي والعلامة أبو زكريا رحمهما الله أنهم وضعوا في
أصول تلك الاشجار حيسا (أي معجوناً اتخذوه من ثمر واقط وسويق مخلوطين
بسمن) فجاءت الخنازير في الليل (وكأنها موجودة بكثرة وتحب هذا المعجون جداً)
لما شممت رائحته وصارت تحفر تحت تلك الاصول بحثاً وراء ذلك الحيس حتى
نزعتها كلها * وبالنأمل يظهر أن هذا الامر يحتاج الى شيء كثير من السمن ولوازمه لما

للمهارة قصدوا الى اختيار محل ليؤسسوا فيه المسجد الجامع قبل كل شئ
فاتخبوا أربعة أماكن ورموا القرعة عليها فجاءت على المكان الذي خصصوه
لصلاتهم أيام إقامتهم في تنقية الأشجار * فشرعوا في تأسيسه واختطوها بيوتاً
وقصوراً وأسواقاً وحمامات * ومساجد * وفنادق (١) يحيط بالكل سور (٢) محكم
وتفتنوا تدريجاً في عمارتها وتنظيمها حتى كانت عروس تلك الاقطار وفخر تلك
الديار * واصبحت كما وصفها المؤرخون من أنها عراق المغرب * وأنها بلغت (٣)

في المكان من كثرة الشجر * ثم انظر كيف يتأني للخنازير نزع تلك الاصول العظيمة
ذات العروق الراسخة المتفرعة في باطن الارض من أحقاب لا يعلمها الا خالقها التي
يكل في قطعها الحديد الحاد * فانه أعلم كيف كان ذلك ولعل هناك أمراً آخر سهل
نزعها مع الخنازير وأهمه التاريخ أو جعلوا ذلك لما بقي بعد الحرق من أصول الأشجار
الرقيقة لكثرتها وأما العظيمة فباشروا إزالتها بأنفسهم وعلى كل حال فلاحظ للنظر
مع وجود الآثار اذ ما نقلوا رحمتهم الله ذلك ودونوه الا عن يقين وصحة

(١) الفنادق جمع فندق وهو لغة الخان أي محل التجارة وفي اصطلاح عصرنا
يطلق غالباً على محل كبير ذي بيوت معدة لنزول المسافرين به بالاجرة ويختلف
 باختلاف المدن والبلاد في معداته وترتيباته (٢) بقي الى الآن من هذا السور
قطعة تدل على مئاته وسيأتي في الاصل كلام عليه

(٣) العراق * وبلخ * من البقاع التي كانت يضرب بها المثل في الحضارة والمدنية
والعمران بالشرق في صدر الاسلام خصوصاً في دولة بني العباس المعاصرة لدولة
الروستميين * أما العراق فكائنة في مصب النهرين المباركين * نهر دجلة * ونهر
الفرات * ومن مدنه المشهورة  مدينة بابل  وسيأتي زيادة كلام عليه *
ولا نزيد الآن تقریظاً على ما ذكره الحموي حيث قال في صحيفة ٦٣٠ من المجلد
الثالث هكذا * والعراق أعذب أرض هواء وأصحبها مزاجاً وماء فلذلك كان أهل
العراق هم أهل العقول الصحيحة والآراء الراجحة والشهوات المحمودودة والشمال
الظريفة والبراعة في كل صناعة  لا تغفل ايها القارى فاننا ما سقنا هذا الكلام هنا

المغرب . وانه قاعدة المغرب الاوسط . لما كان بها من الحضارة الاسلامية ودواج سوق المعارف والتجارة الواسعة اذ كانت ترد اليها وتصدر منها انواع البضائع الى السودان واهصى المغرب وبلاد الاندلس ومصر والشام والحجاز

الا لتشبيهم تهرت بالعراق مع اعتدال الاعضاء واستواء الاخلاط وسيرة اللون وهم الذين انضجتهم الارحام فلم يخرجهم بين أشقر وأصهب وأبرص كالذي يعثري أرحام نساء الصقالبة من الشقرة ولم تتجاوز أرحام نسائهم في النضج الى الاحراق كالزنج والنوبة والحبشة الذين حلك لونهم وتتن ريمهم وتغافل شعرهم وفسدت آراؤهم وعقولهم فمن عدام بين أحر لم ينضج وبجاوز لقد رحتى خرج من الاعتدال قالوا وليس (بالعراق) مشات كشاتي (الجبالي) ولا مصيف كصيف (عمان) ولا صواعق كصواعق (تهامة) ولا دمايل كدمايل (الجزيرة) ولا جرب كجرب (الزنج) ولا طواعين كطواعين (الشام) ولا كطيحال (البحرين) ولا كحمى (خير) ولا كزلازل (سيراف) ولا كحرارات (الاهواز) ولا كأفاعي (سجستان) وتعاين (مصر) الى أن قال واقلیم بابل موضع التسمية من العقد واسطة القلادة ومكان اللبة من المرأة الحسناء والحمة من البيضة والنقطة من البركار . قال عبيد الله المفتقر الى رحمته وهذا الذي ذكرناه عنهم من ادل دليل على ان المراد بالعراق ارض بابل الا تراه قد افرد عنه بما خصه به وقال شاعر يذکر العراق

(الى الله أشكو عبدة قد اظلت * ونفسا اذا ما عرّضا الشوق ذلت)
(نحن الى أرض العراق ودونها * تنائف لو تسري بها الريح ضلت)
واما بلخ * فقد قال فيها * وبلخ من أجل مدن خراسان وأذكرها وأكثرها
خيرا وأوسعها غلة تحمل غلتها الى جميع خراسان والى خوارزم * اه
ثم نسب اليها جماعة كبيرة من العلماء والفضلاء * وبها ذلك البناء الفخيم المسمى (بالنوبهار) وقد قال فيه أيضا نقلا عن ابن الأزرقي الكرمانى هكذا * كانت البرامكة أهل شرف على وجه الدهر يبلخ قبل ملوك الطوائف وكان دينهم (قبل الاسلام)

واليمن وبغداد وغير ذلك من البلاد وكان لها على البحر مراسي متعددة
معروفة ترسي بها صراكبها ومدن عامرة ذات اسواق رائجة واسوار منيعة

عبادة الاوثان فوصفت لهم مكة وحال الكعبة بها وما كانت قریش ومن والاها
من العرب يأتون اليها ويعظمونها فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام
وانصبوا حوله الاصنام وزينوه بالديباج والحرير وعلقوا عليه الجواهر النفيسة وتفسير
النوبهار البهار الجديد * لأن (نو) الجديد وكانت سنتهم اذا بنوا حسنا أو عقدا
بابا جديدا أو طاقا شريفا كالوه بالريحان ويتوجون ذلك بأول ريحان يطلع في
ذلك الوقت فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول ما يظهر من الريحان وكان البهار
فسمي نو بهار لذلك وكانت الفرس تعظمه وتحج اليه وتهدي له وتلبسه أنواع الثياب
وتنصب على أعلى قبته الاعلام وكانوا يسمون قبته الأستن (بضم الحمة والتاء)
وكانت مائة ذراع في مثلها وارتفاعها فوق مائة ذراع بأروقة مستديرة حولها وكان حول
البيت ثلثمائة وستون مقصورة يسكنها خدامه وقوامه وسدته وكان على كل واحد من
من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعود الى الخدمة حولا كاملا ويقال ان الريح
ربما حملت الحرير من العلم الذي فوق القبة فلقاه بترمد (بكسر التاء والميم) و بينهما
اثنا عشر فرسخا وكانوا يسمون السادن الاكبر بركم لتشبيههم البيت بمكة يسمون
سادته بن مكة فكان كل من ولي منهم السدانة بركم وكانت ملوك الهند والصين
وكابل شاه وغيرهم من الملوك تدين بذلك الدين وتحج الى هذا البيت وكانت سنتهم
اذا هم وافوه ان يسجدوا للصنم الاكبر ويقبلوا يد بركم وجعلوا للبرمك ماحول
النوبهار من الارضين سبع فراسخ في مثلها وجميع أهل ذلك الرستاق صبيد له يحكم
فيهم بما يريد وصبروا للبيت أوقافا كثيرة وضباعا عظيمة سوى ما يحمل اليه من
الهدايا التي تتجاوز الحد وكل ذلك يصل الى بركم الذي يكون عليه فلم يزل يليه
برمك بعد برمك الى أن افتتحت خراسان في ايام عثمان بن عفان وانتهت السدانة
الى برمك ابي خالد بن برمك فسار الى عثمان مع رهائن كانوا ضمنوا مالا عن
البلد ثم انه رغب في الاسلام فأسلم وسمي عبد الله ورجع الى أهله وولده وبلده

وحصون مشيدة وغير ذلك مما سيأتي في أقوال المؤرخين من اخواننا المالكية والحنفية حتى لا يخطر ببال القاريء ان ما قلناه وسنقله مجرد مبالغة منا او

فانكروا اسلامه وجعلوا بعض ولده مكانه برمك فكتب اليه نيزك طرخان * أحد الملوك يعظم ما اتاه من الاسلام ويدعوه الى الرجوع في دين آباؤه فأجابه برمك اني انما دخلت في هذا الدين اختيارا له وعلمنا بفضل من غير رغبة ولم أكن لأرجع الى دين بادي العوار مهتك الاستار. فغضب نيزك وزحف الى برمك في جمع كثير فكتب اليه برمك قد عرفت حبي للسلامة واني قد استعجبت الملوك فأعجبتني فأصرف عني أعنة خيلك والا حملتني على لقاءك فأصرف عنه ثم استغره وبيته فقتله وعشرة بنين له فلم يبق له سوى طفل وهو برمك أبو خالد فان أمه هربت به وكان صغيرا الى بلاد القشмир من بلاد الهند فنشأ هناك وتعلم علم الطب والنجوم وأنواعا من الحكمة وهو على دين آباؤه ثم ان أهل بلده أصابهم طاعون ووباء فنشأوا بمفارقة دينهم ودخولهم في الاسلام فكتبوا الى برمك حتى قدم عليهم فأجلسوه في مكان آباؤه وتولى النوبهار ثم تزوج برمك بنت ملك الصفغان فولدت له الحسن وبه كان يكنى وخالدا وعمرأ وأختا (له في ههنا سقطا وهو غلط لهم) يقال لها أم خالد وسلمان بن برمك أمه امرأة من أهل بخارا وكان ابن برمك وأم القاسم من امرأة أخرى بخارية ايضا * ولما فتح عبد الله بن عامر بن كرز خراسان أنفذ قيس بن الهيثم حتى قدم مدينة بلخ وقدم بين يديه عطاء بن السائب فدخل بلخ وخرب النوبهار وقال بعض الشعراء يذكر النوبهار

(أوحش النوبهار من بعد جعفر * ولقد كان بالبرامك يصر)

(قل ليحي أين الكهانة والسحر * رواين النجوم عن قتل جعفر)

(أنسيت المقدار أم زاعت الشم * من عن الوقت حين قمت تقدر)

وقال أبو بكر الصولي حدثنا محمد بن الفضل المذارى (بفتح الميم) عن علي ابن محمد النوفلي قال كان برمك يعمر النوبهار ويقوم به وهو اسم لبيت النار الذي كان يبلخ يعظم قدره بذلك فسمار ابنه خالد بن برمك بعده فقال أبو الهول الحميري

تمويه لا سند له • وحتى يعلم ذلك الذي جهل الاباضية لقلة بضاعته في العلم
وعدم اطلاعه حتى قال ما قال (١) انهم قد اخذوا دور ظهورهم ونفوذ
كلمتهم في مقدمة الآخذين في عنصر الاسلام وشباب العصر القريب من
اصحاب مرشداً لا تام خاتم الرسالة عليه السلام • وقد ذكر ابن خلدون المغربي

بمدح الفضل بن الربيع وبهجو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي

﴿ فضلان ضمها اسم • وشتت الاختبار ﴾

﴿ آثار فضل الربيع • مساجد وثمار ﴾

﴿ وفضل يحيى يبلخ • آثاره النوبهار ﴾

﴿ وما سواه اذا ما • أوترت الآثار ﴾

﴿ بيت يوحد فيه • ويمسك الجبار ﴾

﴿ وبيت شرك وكفر • به تعظم نار ﴾

اتمى بحروفه

(١) مما قاله هذا القائل أن الاباضية شرذمة قليلة لا ذكر لهم ولا شأن
لا قديماً ولا حديثاً فهم أحقر الفرق وأقلها لم تقم لهم قائمة ولا نسب اليهم ملك ولا
فخر منذ وجدت الفرق وتعجب تعجبا زائدا (بناء على فكره هذا) لما علم بزيارتي
الى مكان ﴿ نيهرت ﴾ كما سياتي واستعظم ذلك مني ورآه من العيب • فكان ذلك
من أكبر الاسباب الداعية لي الى ابراز فضائل هذه المدينة والبحث في صفحات
التواريخ عنها بعد أن مضى عليها مالا يبعد عن الفسنة وهي خراب • ولقد فيها
الى ما لم يكن خاطراً لنا بالبال فنشكره على ذلك وتمثل فيه بقول الشاعر الحكيم
﴿ واذا أراد الله نشر فضيلة • طويت أتاح لها لسان حسود ﴾
﴿ لولا اشتعال النار فيما جاورت • ما كان يعرف طيب نشر العود ﴾
فهو قد نصح من حيث غش وأرشد من حيث أضل فكان سبباً لاظهار الخبيثات
وابراز المجهورات • وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم • ورب كلمة سوء من
سوء قصد بها سوء آجرت منافع

المالكي تاريخ انشائها فقال في صحيفة (١١٢) من المجلد السادس من تاريخه
 * واجتمعت اليه (أي الى عبد الرحمن) طوائف البربر الاباضية من * لمائة *
 ولواته * ورجالة * وتزاوة * فنزل بها (أي بتاهرت) واختط مدينتها سنة
 مائة واربعة واربعين هـ وهو موافق لما ذكره الشماخي في سيره (١) وابو
 زكرياء في تاريخه (٢) * والدرجيني في طبقاته (٣) والبرادي في

(١) السير * تأليف جامع لمناقب كثيرين من علماء وأئمة المذهب من
 المغاربة وبعض من مشاهير المشاركة مع بيان أسمائهم وتواريخهم غالبا * لا نظير له في
 بابه الا سير نفوسة الكبير الذي أكثر مؤلف هذا من النقل منه وهو من كتب
 المذهب المعتبرة المفقودة أما هذا فوجود مطبوع ومؤلفه العلامة الكامل الشيخ
 أحمد الشماخي بن سعيد بن الشيخ عبد الواحد صاحب المزار المشهور تحت قصبة ابن
 مادي بجبل بني يفرن من جبال نفوسة توفي رحمه الله سنة ٩٢٨ وقد ذكر العلامة
 الشيخ محمد بن زكرياء الباروني رحمه الله أن له فضائل ومناقب جمة هزم على جمعها
 وكأنه لم يتيسر له ذلك أو فقد المجموع اذ لم يسمع بوجوده أحد والله أعلم والشماخي
 نسبة الى شياخ وسيأتي الكلام عليه ان شاء الله

(٢) سير أبي زكرياء تاريخ متوسط فيه كثير مما لم يكن في سير الشماخي
 رحمه الله وان كان الثاني أشمل من الاول ألفه الامام الناظر الناطم التقى الشيخ
 أبوزكرياء يحيى من ذرية الشيخ محمد بن بكر رحمه الله

(٣) الطبقات تأليف جليل مشهور تكلم في أئمة المذهب وعلمائه المشهورين
 بذكر فضائلهم وبعض أخبارهم الا أنه غير جامع لكل وقد وقفت عليه وأنا صغير
 لا أحرف قدره فلم أعرف منه شيئا ولتعذر الحصول عليه حال تحرير هذا فإني كثير
 مما يليق بما نحن بصدد مما يمكن نقله منه * مؤلفه العلامة التحرير * الشهير
 بطول الباع في الانشاء والتحرير * من كانت له اليد الطولى في كل فنون الشيخ أحمد
 ابن العلامة الكامل الشيخ سعيد الدرجيني رحمه الله وسيأتي الكلام عليه

اخلاط (١) من الناس تغلب عليها قوم من الفرس يقال لهم بنو محمد بن افلح بن عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم الفارسي وكان عبد الرحمن يتولى افريقية وصار ولده الى تاهرت فصاروا اباضية ورأس الاباضية فهم رؤساء اباضية المغرب ويتصل بتاهرت بلد عظيم (٢) ينسب الى تاهرت في طاعة محمد بن افلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (وسيأتي بيان اسماء تلك البلاد والمدن كلها) والحصن الذي على ساحل البحر الاعظم (٣) ترسي به مراكب تاهرت

التساهر على مثل هذا المؤرخ من المؤرخين في تبديل وتغيير الاخبار تبعالا غرضهم وكانه لم يفكر في اتيان زمن (كذا) تنكشف فيه السرائر وتتضح الحفايا ويستوى الماضي والحاضر في الوضوح بقيام آلات الطبع لاظهار كل مكنون من نقيص الكتب العتيقة ذات الشأن والتحقيق في التاريخ التي كانت تحت حجب الخفاء والضم بها على حد قول الامام ابي نصر النفوسي رحمه الله في شان اليوم الآخر

﴿ سينكشف السر المنطوي وتنجلي • خبايات هذا الشك من واضح الظاهر ﴾

ولو تأمل هذا المؤرخ في كلام الشاعر القائل •

﴿ ومهمي تكن عند امري من خليفة • وان خالها تخفى على الناس تعلم ﴾

وقولهم ان في الزوايا خبايا لانصف في كلامه وأعطى كل ذي حق حقه ولو فيما هو بين الجمادات وبين العاصم والدامر بقضاء الله • ولعله على رأي القائلين (الدنيا مع الواقف) •

(١) الاخلاط جمع خلط بكسر الخاء • أراد أن من فيها من الناس أصناف شتى مختلطون من بربر وعرب وترك وعجم وسودان وفرنجة ويهود ومشاركة ومغاربة شأن أغلب المدن الكبيرة الجامعة ذات الحضارة والامن والعدل

(٢) كل من يدرك معنى هذه الكلمة وما تقدم وما سيأتي من الفاظ التعظيم والتفخيم لا ريب يستصغر في جانب تاهرت ما سئذ كره من بعض ما ينسب اليها من البلاد ويعلم انه قليل من كثير لم نعلمه وربما كان مخزونا في بطون الدفاتر

(٣) ليس المراد البحر المحيط بالقارة الافريقية المشهور بالبحر الاعظم الذي

يقال له مرسى فروخاه ووصف المؤرخ الادريسي المغربي في تاريخه هذا المرسى فقال وهو مرسى حسن وعليه قرية عامرة وذكره الملك المؤيد أيضا كما سبأني والذي يشف من كلام هذا الفاضل ابن واضح أن له بآهت شغفا وتعلقا

فيه الجزائر الخالدات (وكانت عامرة في قديم الزمان ببعض الحكماء المنجمين وأما الآن فقد أفسدها البحر على ما يقال) ويعرف قديما ببحر الظلمات وبالأقيانوس والآن بالبحر الاطلانطيقى لانه بعيد عن تيهوت ولم يمتد حكمها اليه لما بينهما من مملكة الادارة بقاس وغيرها بل المراد بحرنا هذا الذي نحن على شاطئه المسمى بالبحر الرومي وبالبحر الابيض المتوسط الممتد من البحر المحيط بواسطة بوغاز جهل طارق الكائن بالقرب من شبه جزيرة الاندلس التي بلغت في صدر الاسلام الدرجة القصوى في الحضارة والعلم والآن بيد الدولة الاسبانية ومن مدينة طنجة ثغر مملكة السولة المر كشية الى أن ينتهي بأرض الشام وعلى شاطئه هناك من المدن المشهورة (مدينة بيروت) ومنها ابتداء خط سكة الحديد الحجازية المنشأة بمساعي وعناية أعظم سلاطين الاسلام الآن السلطان عبد الحميد الثاني أحد ملوك آل عثمان أبده الله بنصره وحفظ ملكهم ملجأ للمسلمين وحصنا لمحرمين الشر يقيون و (مدينة طرابلس) و (مدينة حاب) ويتصل بواسطة بوغاز الاسنانة العلية (القسطنطينية) بالبحر الاسود وبقنال السويس (الفتحة الجديدة) بالبحر الاحمر ويتسلسل على جانبيه ممالك دول كبيرة وامارات ممتازة ومحتلة صغيرة * فعلى جانبه الجنوبي مبتدأ من الغرب (حكومة فاس) وهي دولة اسلامية يلقب حاكمها بالسلطان مفقودة منها القوة الحرية الجديدة برا وبحرا وتتازعها عوامل الافرنج صبا حاء ومساء حفظها الله من الوقوع في شبكته ثم (الجزائر) وهي ولاية محتلة لفرانسا داخلة في ادارتها من حدود سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٢٤٨ هجرية وفي جنوبها (مدينة وارجلان) و (مدن بني ميزاب) الاباضية الحافلة باقامة شعائر الدين كما يجب ثم (تونس) وهي ايلة ممتازة اسلامية يلقب حاكمها بالباي تحت حماية فرانسا ويتبعها (جزيرة جربة) العامرة بالاباضية ومنهم المالكية ثم (طرابلس الغرب) وهي ولاية عثمانية اسلامية لا يوجد

زائدين اذ كرر ذكرها في كتابه دون غيرها فقال في صحيفة ١٤٩ مستطرداً
الكلام عليها هكذا *

* حدثني * أبو معبد * عبد الرحمن * بن محمد * بن ميمون * بن عبد الوهاب
* ابن عبد الرحمن * بن رستم التاهرتي * قال * في تاهرت * مدينة كبيرة أهلة
بين جبال وأودية ليس لها فضاء ينهاوين البحر المالح مسيرة ثلاثة
مراحل في مستوى من الأرض وفي بعضها سباح وواديق قال له وادي شلف (١)
وعليه قرى وعمارة يفيض كما يفيض نيل مصر يزرع عليه القصب والكتان
والسمسم وغير ذلك من الحبوب ويصير الى جبل يقال له (اتيق) ثم يخرج الى
بلد نفزة ثم يصير الى البحر المالح وشرب أهل مدينة تاهرت من انهار وعيون
يأتي بعضها من صحراء وبعضها من جبل قبلي يقال له جزول لم يجذب زرع
ذلك البلد قط (لكثرة مياهه وامطاره) الا ان يصيبه ريح أو برد
(فهو بلد خصب وخير دائم) وهو متصل بالسوس يسميه أهل السوس درن

بها من الأجانب (الافرنج) أحداً لا في المدينة نفسها وفي بعض موانئها ولا أهلها من يدطاعة
وشدة تعلق بالدولة العلية العثمانية وبجنوبها على ٣ مراحل من البحر جبال نفوسة
الاباضية المشهورة العامرة بهم ومعهم المالكية في مواخاة وملايكة ثم (مصر) وهي
حكومة ممتازة عثمانية اسلامية ياقب جاكها بالخدوي محنة بدولة الانكليز ولا أهلها
ارتباط بالدولة العثمانية لا تحل عراه * وعلى جانبه الشمالي مبتدأ من الغرب أيضا
دولة اسبانيا ثم دولة فرانس ثم دولة ايطاليا ثم اليونان وغيرها ثم (الدولة الاسلامية العثمانية
ناشرة لواء الدين وحامية حمى الاسلام والمسلمين أيدها الله بنصره المين ومقر سلطنتها
(القسطنطينية) المسماة بدار الخلافة ودار السعادة والامانة العلية واستانبول * وهذا

باب يطول شرحه وليس هذا محله
(١) سيأتي الكلام على شلف

ويسمى بتاهرت جزول ويسمى بالزاب أوراس اهـ فليتأمل النصف في كلام هذا المحقق فانه من اصبح ما حرره المؤرخون في هذا الباب لتقدمه على اكثرهم في الزمن اذ كان حاضر النبي رستم فهو لم يكتب الا ماشاهده او نقله عن ثقة أمينه.

وقال أبو عبد الله الادريسي الشريف في تاريخه المطبوع ببلاد الافرنج في صحيفة ٨٧ واصفا بتاهرت القديمة التي أحسن تجديدها وأتقن تمدنها الاسلامي ميمون بن عبد الوهاب اذ كان تاملا لوالده عليها حتى صارت تنسب اليه دون غيره من الرستمين ما نصه :

ومدينة تاهرت كانت فيما سلف من الزمان مدينتين كبيرتين احدهما قديمة والاخرى محدثة والقديمة من هاتين المدينتين ذات سور وهي على قمة جبل قليل العلو وبها ناس وجمل من البربر لهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة وبها مزارع وضياح (١) حمة وبها من تاج الخيل والبراذين كل حسن

(٣١) الضياح جمع ضيعة وهي على مافي القاموس العقار والارض المغلة وما يكون منها عطية لبعض الناس من طرف الملك يسمى قطعة كما كان يفعل بعض بني أمية وبني العباس اذ كانوا لا شركاء لهم في بيوت أموال المسلمين يتصرفون فيها على حسب أهوائهم فيعطون الأموال الطائلة لشاعر مدحهم بقصيدة أو بيت ولنديم اطربهم في مسامرتهم بحكاية غريبة أو قصة مضحكة وليس ذلك مما يفخر به الاسلام والدين اذا فقد العدل وقد عرفها بعضهم فقال : وأما القطيعة فلها معنيان أحدهما أن يعد الامام الجائز الأمر والطاعة الى قطعة من الارض يفرزها عما يجاورها ويهبها ممن يرى ليعمرها وينتفع بها اما أن يجعلها منازل يسكنها ويسكنها من يشاء واما أن يجعلها مزدرا ينتفع بما يحصل من غلتها ولا خراج عليه فيها وربما جعل على مزدريها خراج وهذه حال قطائع المنصور وولده بعده بغداد في محالها فمن ذلك

وأما البقر والغنم فكثير بها جدا وكذا السمن والعسل وسائر غلاتها مباركة
وبمدينة تاهرت مياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم
ويتصرفون فيها (١) ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضروبا من
الفاكهة الحسنة وبالجملة فهي بقعة حسنة انتهى *

وقد نقل هذا الشيخ مقديش السفاسي في تاريخه المطبوع في تونس

قطعة الربيع وقطعة أم جعفر وقطعة فلان وقد ذكرت في مواضعها من الكتاب *
وأما القطعة الأخرى فهي أن يقطع السلطان من يشاء من قواده وغيرهم القرى والنواحي
ويقطع عليهم عنها شيئا معلوما يؤدونه في كل عام قل أو أكثر توفر محصولها أو نزر
لا يدخل السلطان معه في أكثر من ذلك اهـ

(١) لم تتحقق كيف كان التصرف في هذه المياه وادخالها البيوت للارتفاع بها
والطالب انه كان على طريقة لا تبعد عن الطريقة الموجودة الآن في المدن المتمدنة
وان خالفها في الكيفية اذ لا توجد غالبا في ذلك الوقت أنابيب (مواسير) من
الحديد كالموجودة الآن وربما كانت من الفخار المطلي ولا يقال انها كانت تجري
في الشوارع والأزقة هكذا بدون انتظام لان مدينتها ورقيا لا يسمحان بذلك على أن
موقعها فيه بعض ارتفاع حسب التخمين عن العين الموجودة الآن المسماة بعين السلطان
فبدون صنعة هندسية لا يمكن توزيعه فيها وقد كان بيت بني رستم مشهورا بالتضلع
في العلوم الرياضية فلا يصعب عليهم ذلك * وليست هذه الكيفية موجودة ذلك
الوقت في تاهرت. فقط بل توجد في زواغة مدينة نفوسة سابقا في جهات طرابلس على
البحر آثار تدل على انها كانت كذلك أيضا اذ يوجد فيها مجرى نهر كبير آت من ناحية
جبال نفوسة الشرقية اخترق أراضي وأودية كثيرة حسب ما تدل عليه بعض القطع
الموجودة منه الآن وهو مخصص بكيفية محكمة ذكر الدين رأوا بعض قطع منه انه
يشبه مجرى عين زبيدة الموجودة بجهة مكة المكرمة وعلى كل حال فهو عمل دال
على القوة والحضارة الثامة والله أعلم

ببعض تصرف وان لم ينسبه اليه فلا لزوم لنقله * وكما ذكرها ابن خلدون وان كان غير منصف في جانب الاباضية (١) عبر عنها غالبا بقاعدة (٢) المغرب فن ذلك قوله في صحيفة ٣٩ من المجلد الخامس وفتح أبو القاسم (الشيعي سنة ٣١٥) بدمزاة * ومطماطة * وهوراة * وساثر الاباضية * والصفرية * ونواحي تاهرت * قاعدة المغرب الأوسط * وقال السلطان الملك المؤيد في تقويمه المطبوع بباريس سنة ١٨٤٠ بصحيفة ١٢٤ نقلا عن العزيزي المغربي * تاهرت القديمة * وهي تاهرت عبد الخالق وبينها وبين تاهرت الجديدة مرحلة *

* وهي مدينة جليلة وكانت تسمى قديما عراق المغرب ولها من أعمالها مرسى على البحر يقال له مرسى * فروخ * ومدينة * تاهرت * الاولى على جبل متوسط وبها منبر وكذلك المحدثه بها منبر (٣) وهي أعظم من القديمة ولاهلها مياه تخرق دورهم قال ابن سعيد وكان لتاهرت في المملكة الرستمية

(١) عدم انصافه هو وجوده أو اهماله ذكر ما كان لهم من الاخبار الحسنة وما كان للمكهم الذي شهد به المؤرخون من الصيت في تاريخه الطويل العريض الممدود في مقدمة التواريخ الاسلامية فهو أولى بأن يوجد فيه ما ذكره غيره من المؤرخين عن الاباضية ولا نظن به الجمل بأخبارهم لانه ممن نشهد له كما شهد له غيرنا بسعة الاطلاع وكثرة النقل مع أنه مغربي * على أنه قد يشير احيانا اليهم بعض اشارات بدون بسط في الكلام فاهماله أخبارهم وذكره بعضها مفرقا بحيث يصعب جمعها منه لا بد وأن يكون لامر في باله يعلمه الله ولعل له عذرا فلا لوم عليه والله اعلم

(٣) قاعدة المملكة أو الاقليم هي مدينته العظيمة التي يكون فيها كرسي الملك (٣) أراد بالمنبر المسجد الجامع الذي يقيم فيه الامام (الخليفة) أو وكيله الجمعة وأما ما سواه من المساجد ففيها كثير كما نص عليها ابن الصغير

صيت عظيم * وبها كان كرسي ملك الالباضية اهـ ثم رسم لها جد ولا كغيرها
بين فيه طولها وعرضها (١) واقليمها هكذا

عدد الاسماء المنقول عنهم	درج	دقائق	درج	دقائق	عرض	الحقيقي	العربي
١٩ تاهرت	اطوال	كه	ل	كط	*	من	من
بعضهم	ك	*	لح	ن		الثالث	الغرب الوسط

من الباب (تاهرت) بفتح التاء المثناة من فوق وألف وهاء وسكون الراء
المهملة وفي آخرها تاء ثانية * وفي خط ابن سعيد عوض الالف ياء مثناة من
تحت وهو الاصح عندي لان ابن سعيد مغربي فاضل

* ثم قال عن ابن حوقل وتيهرت مدينة كبيرة خصبة كثيرة الزرع

(١) (طول البلد) هو بعده عن منتهى العمارة من جهة الغرب وهو من الفاظ
المنجمين مستنبط من آراء اليونانيين قال الخوسيمي الا ان في هذه النهاية بينهم اختلاف
فان بعضهم يبتدي بالطول من ساحل بحر اوقيانوس الغربي وهو البحر المحيط وبعضهم
يبتدي به من سمت الجزائر الواغلة في البحر المحيط قريبا من مائتي فرسخ تسمى
جزائر السمادات والجزائر الخلدات ولهذا ربما يوجد للبلد الواحد في الكتب نوعان
من الطول بينهما عشر درج فيحتاج في تمييز ذلك الى فطنة ودربة وهذا كله
عن أبي الريحان اهـ

وأما (عرض البلد) فهو بعده عن خط الاستواء نحو الشمال قال الحموي لان البلد
والعمارة في هذه الناحية ونحاذيه قوس عظيمة شبيهة به واقفة بين سمت الرأس وبين
معدل النهار ويساويه ارتفاع القطب الشمالى فلذلك يعبر به عنه وانحطاط الجنوبي وان
ساواه أيضا فانه خفي لا يشعر به وهذا كلام صاحب التفسير اهـ

وقد قيل ان كوره تهرت من افريقية وهي غربي سطيف (١) وهي كانت قاعدة الغرب الاوسط وكان بهامقام بني رستم ملوك المغرب الاوسط حتى انقضت دولتهم بدولة الخلفاء الفاطميين الذين صاروا ملوك مصر (٢) وقال في كتاب الاطوال * تاهرت العليا طولها وعرضها كما ذكر ثم قال * تاهرت السفلى طولها (كو) وعرضها (كط) فدل على ان هناك مكانا آخر يسمى تاهرت كما نقلناه عن المزري في الهامش وقال في القانون * وتاهرت السفلى طولها (يطن) وعرضها (لديه) قال الادريسي وتهرت كانت فيما سلف مدينتين كبيرتين والقديمة على جبل ليس بالعالي ولها سوق اه كلام المؤيد وقد نقله برمته صاحب اوضح المسالك فلا حاجة الى نقله *

وقال صاحب الاستبصار المؤلف سنة ٥٨٧ هـ المطبوع بالمطبعة الأوسطرية في مدينة (وين) من بلاد الافرنج سنة ١٨٥٢ بصحيفة ٦٦ * مدينه تاهرت وهي مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور صخر (أي حجر) ولها قصبة منيعة تسمى المعصومة (٣) وهي في سفح جبل يسمى قرقل

(١) مدينة من عمل الجزائر مشهورة عامرة بها من الاباضية بني ميزاب جماعة معتبرة لهم بأنواع التجارة معرفة تامة وفيهم رجال محترمون كما في غيرها من المدن

(٢) يعني بهم الشيعة الذين كان ملكهم بالمغرب وامتد الى مصر وهم الذين أنشأوا الجامع الازهر المشهور في اقطار الارض بعلمه وبظهورهم انقضت دول الغرب كلها كما سيأتي ان شاء الله

(٣) في هذا الاسم ما يدل على القوة التي كانت بهذه المدينة وقصبتها فان العصمة لغة المنعة فقد طابق اسمها وصفها

وهي على نهر يأتيها من ناحية المغرب يسمى مينة ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تانس (١) منه تشرب أرضها وبساتينها وكان لها بساتين كثيرة فيها جميع الثمار وفيها سفرجل يفوق سفرجل جميع البلاد حسنا ومطعما ورائحة وبلد تاهرت شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج اهـ وقد ذكر ابيات ابن حماد وحكاية السودان وحكاية الحاج * وسيأتي كل ذلك في كلام غيره قريبا * ان شاء الله *

وأما أبو اسحاق الفارسي المعروف بالكرخي من علماء صدر المائة الرابعة للهجرة فانه اعتبر تاهرت * قسما عظيما عند تقسيمه المغرب في تاريخه المأخوذ من كتاب صور الاقاليم للبلخي المطبوع بمدينة (لندن) الاfrنجيه سنة ١٨٧٠ وماذا نص كلامه بالحرف الواحد * قال *

* واما المغرب فهو نصفان يمتدان على بحر الروم نصف من شرقيه ونصف من غريبه * فأما الشرقي فهو * برقة * وافرقيّة * وتاهرت * وطنجة * والسوس * وزويلة (٢) وما في أضاف هذه الاقاليم * واما الغربي فهو * الاندلس اهـ *

(فبلمن كلامه هذا أن في عصره من أشهر ما كان من المدن العظيمة بالمغرب * مدينة تاهرت * اذ لم يذكر في التقسيم فاس ولا الجزائر ولا مراکش ولا عنابة (٣) ولا غيرها من المدن الكبيرة في هذا العصر وان ذكر بعضها في أثناء

(١) في بعض التواريخ بالنون كما هنا وفي بعضها بالتاء

(٢) أراد زويلة الغرب الاقصى كما هو واضح لا (زويلة) القرية من (ودان)

في قبلة طرابلس العاصره في صدر الاسلام بالاباضية كما بين في محله

(٣) فاس هي قاعدة ملك الدولة المراكشية الآن وهي من أشهر وأعظم

سردہ البلاد ثم قال *

واما * ناكورة * وجزيرة بني مزغنا * في مدن وقرى فقريبة من * تاهرت *
الاعلى * ومدينة كورة (١) * تاهرت * اسمها تاهرت * وهي مدينة
كبيرة خصبة واسعة البرية والزروع والمياه * وبها الاباضية وهم الغالبون عليها
* وسجلماة (٢) مدينة وسطية من حد * تاهرت * الا انها منقطعة لا يسلك
اليها الا في القفار والرمال الى ان قال ويقال ان كورة * تاهرت * باسرها من
افريقية الا انها مفردة بالاسم والعمل في الدواوين (وقال في صحيفة ٤٥)

مدن الغرب الاقصى في هذا العصر وقد بناها ادريس بن ادريس بعد (تيهرت)
بمئذ خمسين سنة أي عام ١٩٢ وفي سنة ٢٤٥ خصصت فاطمة بنت محمد الفهري
الحواري القيرواني جابا من المال وكانت غنية وبنت به مسجد القرويين المشهور
بفاس واعلمها كانت اباضية لان هواره اباضية

وفي سنة ٣٤٥ اختط احمد بن سعيد اليفرنجي صومعتها (وهو اما صفري أو اباضي)
ذكر ذلك ابن خلدون في ١٥ من المجلد ٤ *

ومن مدنها الشهيرة طنجة على البحر وأما مراکش فقد اختطها يوسف بن
تاشفين سنة ٤٥٤ وذلك بعد خراب تيهرت بمدة والسلطان يسكن مدة بفاس ومدة
بمراكش كما بقعل خديوي مصر بينها وبين اسكندرية * وأما الجزائر فسيأتي
الكلام عليها * وأما عنابة * ويقال لها (بونة) من قديم كما هو عند الافرنج الآن
فمدينة مشهورة قديمة وفيها كما في الجزائر ومدنها كافة من تجار الاباضية
بني ميراب رجال لهم اليد الطولى في ضروب التجارة أولو شهامة
والبحاد في الرأي

(١) الكورة اسم لكل صقع أي ناحية تشتمل على عدة قري ولها قصبة أي
مدينة ينسب ذلك الصقع اليها كما هنا

(٢) سيأتي الكلام على سجلماة مفصلا لانها من مواطن الاباضية قديما

وكان ملوك افريقية وبرقة اولاد الأغلب وملوك طنجة اولاد ادريس
وبينهم وبين افريقية (تاهرت) الشراة (الاباضية) وهم الغالبون عليها
اه باختصار قليل *

وقال ابوبكر القزويني في تاريخه المطبوع ببلاد الافرنج بصحيفة ١١٣ *
(تاهرت) اسم مدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لاحدهما (تاهرت)
القديم والابخرى الحديث وهما كبيرتا الاشجار * وافرتا الثمار * سفرجلها
يفوق سفرجل الآفاق طعاما وحسنا وبها كثرة الأمطار والأنداء والضباب
وشدة البرد قلما ترى الشمس بها اه * وذكر ايضا حكاية السودان الآنية *
* وأما المؤرخ أبو عبدالله ياقوت الحموي البغدادي صاحب المعجم
المطبوع ببلاد الافرنج فانه أطنب فيها الكلام * ووضح ما يقتضيه المقام
* وأجاد في ذلك وان كان فيه بعض تكرار لما تقدم اذ قال في صحيفة ٨١٣ من
المجلد الاول *

(تاهرت) بفتح وسكون الراء وتاء فوقها نقطتان * اسم لمدينتين
متقابلتين بأقصى المغرب يقال لاحدهما (تاهرت) القديمة
والأخرى تاهرت المحدثه بينهما وبين مدينة المسيلة (١) ست مراحل وهي
بين تلمسان وقلعة بني حماد وهي كثيرة الأنداء والضباب والأمطار

(١) اختطت المسيلة على قول ابن خلدون في ٨٢ من الجزء ٤ سنة ٣١٥ بعد
انقراض دولة بني رستم من تاهرت بقليل وذكر الحموي انها كانت تسمى الحمدية
اختطها أبو القاسم محمد بن المهدي الشيعي وهو ولي عهد أبيه * وأما (قلعة بني حماد)
فمدينة منيرة جدا اختطها حماد بن محمد من آل زيري بجبل كتامة المعروف بجبل
عجيسة سنة ٣٩٨ على قول ابن خلدون ايضا في ١٧١ من الجزء ٦

حتى أن الشمس بها قل أن ترى ودخلها اعرابي من أهل اليمن يقال له أبو هلال ثم خرج الى أرض السودان (مع ركب التجار) فأتى عليه يوم له وهيج وحر شديد وسموم في تلك الرمال فنظر الى الشمس مضحية (١) راكدة على قم الرأس وقد صهرت الناس فقال مشيرا الى الشمس أما والله لئن عززت في هذا المكان لطالما رأيتك ذليلة بتاهرت وأنشد *

﴿ ما خلق الرحمن من طرفه ﴾ أشهى من الشمس بتاهرت ﴿

* وذكر صاحب جغرافيا أن ﴿ تاهرت ﴾ في الاقليم الرابع وأن عرضها ثمان وثلاثون درجة * وهي مدينة جليلة وكانت تسمى قديما عراق المغرب ولم تكن في طاعة صاحب افريقية ولا بلغت عساكر المسودة اليها (٢) قط ولا

(١) أى كائنة في وقت الضحاء وهو عند ارتفاع النهار الا على كما قاله المختار ولذلك وصفها بقوله راكدة أى ساكنة وذلك لأن الشمس في وقت الزوال تظهر للناظر غير متحركة أو بطيئة السير بخلاف ما اذا كانت صاعدة في شرقها أو نازلة في غروبها فانها تظهر سريعة السير والحال ان سيرها في الحالات الثلاث واحد وليس هناك صعود ولا هبوط ولا وقوف في الواقع وإنما ذلك في الظاهر فقط بالنسبة اليها بل بالنظر الى سكان الارض كافة يصدق عليها في كل دقيقة مثلا انها مشرقة ومغربة وزائلة وهذا أمر واضح وقوله صهرت معناه أذابت وذلك لشدة حرارتها ذلك الوقت ومنه قوله تعالى * يصهر به مافي بطونهم أى يذاب والله أعلم

(٢) لفظ المسودة مذكور بكثرة في سير الشماخي رحمه الله وطالما سألت عنه من قبل طلبة عصرنا ولم أجد من يشرح لى معناه وغاية ما يقولونه انه اسم لقبيلة كانت في ذلك الوقت وفاتني ان أسأل عنه شيخي أو والدي حفظهما الله وتعلق خاطري به لما أراه لهم فيه من الوقائع الدالة على قوتهم لم اقنع بأنهم قبيلة فقط ولا زلت ابحث حتى وقفت على تفسيره بيني العباس في تاريخ ابن مسكويه في أما كن

دخلت في سلطان بني الاغلب وانما كان آخر ما في طاعتهم مدن الزاب
(١) وقال ابو عبيد بن مدين تاهرت * مسورة لها اربعة ابواب * باب الصفا *
وباب المنازل * وباب الاندلس * وباب المطاحن * (٢) وهي في سفتح

متعددة منها قوله لما رأى المأمون انكار بني العباس وغيرهم عليه (وهو منهم) ببغداد
حتى اخرجوا (عامه) الحسن بن سهل منها كانه أراد معا كستهم باخراج الخلافة منهم
فأصدره وأمره سنة ٢٠١ في رمضان بلبس الثياب الخضراء بدل الثياب السوداء التي
كانت من شعارهم و بها سمووا بالسودة وأعلن بأنه جعل علي بن موسى بن جعفر
من ذرية علي ولي عهده اه المراد منه

(١) بهذا يعلم أن ما بين الزاب وبين فاس وسجلماسة كله داخل في دائرة
تاهرت وما فيه من المدن والقرى كله تابع لما ما علمناه وما لم نعلمه فالمدن الآتية
في كلام العلامة البنا هي بعض من ذلك وأما خصصها بالذكر لشهرتها لا غير والله أعلم
(٢) ما ألفت هذه الاسماء وما أحسن هذا التقسيم المحكم الذي لم يدع للازدحام
مجالاً اذ خصص لكل شغل من هذه الاشغال الاربعة التي عليها مدار حركات
الناس بابا فالذين ينقلون أنواع الحبوب كالشعير والقمح لاجل الطحن ويردونها
دقيقا لهم * باب المطاحن * والغالب علي هؤلاء كثرة القيل والقال والصياح لما أن
أكثرهم مهارة خدوم وممالك وأتباع لآحياء لهم * والذين يريدون السفر أو عبور
البحر الى الاندلس من التجار وغيرهم لهم * باب الاندلس * وهم في الغالب أصحاب
همم ونزاهة والمشتغلون بالعمل في البساتين لهم * باب المنازل * والذين يريدون التزهة
والرياضة البدنية وتسلية النفس لهم * باب الصفا * فلا يكدرهم حنين المودعين ولا أنين
المفارقين ولا حاجة المهنتين للمسافرين * باب الاندلس * ولا تصدعهم عريضة الذاهبين
وصيحات الراجعين * باب المطاحن * ولا تعلمهم غيرة ازدحام الداخلين والخارجين
الى المنازل من العملة بمحيرهم وبهاهم وجاههم وأرباب المنازل بخيلهم وبراذينهم
باب المنازل * وبهذا يعلم ما كان في هذه المدينة من حسن الانتظام والترتيب ولا تخلو
من منزهات والمشهور منها منتزه الامير الآتي ذكره في كلام ابن الصغير

جبل يقال له جزول لها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة وهي على
 نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة وهو في قبتها ونهر آخر يجري من عيون
 تجمع تسمى تانس (بالضم) ومنه شرب أهلها وأرضها وهو في شرقها وفيها
 جميع الثمار وسفر جملها يفوق سفر جبل الآفاق حسنا وطعا وهي شديدة البرد
 كثيرة الغيوم والثلج قال بكر بن حماد أبو عبد الرحمن وكان بتاهرت من حفاظ
 الحديث وثقات المحدثين المأمونيين سمع بالشرق ابن مسدد وعمر بن
 مرزوق وبشر بن حجر * وبافريقية ابن سحنون وغيرهم وسكن تاهرت وبها
 توفي وهو القائل *

﴿ ما أخشن البرد وريمانه * وأطرف الشمس بتاهرت ﴾

﴿ تبدو من النجم إذا ما بدت * كأنها تنشر من تحت ﴾

﴿ تفرح بالشمس إذا ما بدت * ككفرح النجم بالسبت ﴾

(وسياأتي زيادة كلام عليه في باب العلماء المنسوبين إلى تاهرت)

* قال ونظر رجل إلى توفد الشمس بالحجاز (وهو من أهل تاهرت
 ذهب حاجا) فقال (مخاطبا للشمس) احرمي ما شئت والله أنك بتاهرت
 لذيلة قال وهذه تاهرت الحديثة وهي على خمسة أميال من تاهرت القديمة وهي
 حصن ابن بخانة وهو شرقي الحديثة ويقال أنهم (أي عبد الرحمن ومن
 معه) لما أرادوا بناء (أي تجديد) تاهرت القديمة كانوا يبنون بالنهار فإذا
 جن الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم (١) فبنوا حينئذ تاهرت السفلى

(١) لم يذكر هذه الحكاية أحد من أصحابنا وهي من الغرائب وانظروا
 حكمة الله في ذلك وهي مما يؤيد القول بوجود الملائكة والجن والأفن الفاعل
 لذلك بأمر الله على مذهب المنكرين حيث لا زلزال ولا رجة إذ ذاك هنالك

وهي الحديثة وفي قبلتها (قبائل) لواتة وهوارة * في قرارات وفي غربها
 زواغة * وبجنوبيها مطاطة * وزناة * ومكناسة . وكان صاحب (أي حاكم)
 تاهرت (القديمة) ميمون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم بن بهرام
 وبهرام مولى عثمان بن عفان (١) وهو بهرام بن بهرام جور بن شاپور . بن بان
 كان . بن شاپور . ذي الاكتاف ملك الفرس وكان ميمون هذا رأس الاباضية
 وامامهم . ورأس الصفرية . والواصلية . وكان يسلم عليه بالخلافة وكان يجمع
 الواصلية قريبا من تاهرت وكان عدد هم نحو ثلاثين ألفا في بيوت كيوت
 الاعراب يحملونها وتعاقب مملكة تاهرت بنو ميمون (٢) واخوته الى ان
 قال مينا على اكمل وجه سبب بنائها وكيفيته هكذا .

(١) المولى هو المعتق بالفتح ولعله أخذ أسيراً لما فتحت فارس وأعتقه عثمان
 فسبحان المعز المذل وسيأتي زيادة كلام في هذا النسب
 (٢) لعله أراد عبد الوهاب بدل ميمون والا فميمون لم يتول الامامة حتى
 يسلم عليه بالخلافة والذي كان رأساً لمن ذكره من الصفرية والواصلية وغيرهم هو عبد
 الوهاب وبشهادة هذا المؤرخ مع ما تقدم وما سيأتي مما فيه تلقيب بني رستم بالخلفاء
 والملوك يعلم بطلان قول بعض المتأخرين من ارباب التاريخ بأن بني رستم لم يبلغوا
 درجة الخلافة والملك ولا ندرى ما ذا صنع في تلك الملايين من الناس التي كانت
 تدين بطاعتهم وتسمع بعدهم ولا في تلك المساكن التي كانت تؤلف بمئات الالوف
 تحت كلمتهم ولوائهم وان يكن جاهلاً ذلك فما الحامل له على الدخول في باب لا يتقنه
 حتى يتكرر كلاماً لم يسبق اليه * والواصلية والصفرية فرقان مشهورتان من فرق
 الاسلام لا وجود لهما الآن بالمغرب وتوجدان بالشرق كجزيرة العرب وبالزنجبار
 بكثرة كما توجد فرق الازارقة والنجدية والزيدية والمعتزلة والشيعة وغيرها وبين الكل
 تنافر دائم كما تنفر كلها من مذهب الاباضية ومذاهب الاشعرية الاربعة نفورا كلياً

• فاجتمعت اليه (يعني عبد الرحمن) الاباضية واتفقوا على تقديمه
وبنيان مدينة تجمعهم فنزلوا موقع تاهرت اليوم وهو غيضة اشبة (١)
ونزل عبد الرحمن منه موضعا مربعا لاشعراء (٢) فيه فقالت البربر
نزل تاهرت وتفسيره الدف لتريعه (٣) وادركتهم صلاة الجمعة فصلى بهم

نظرا لتباين المآرب في بعض المعتقدات الدينية التي تركت الاسلام اشتاتا وأحرابا
حتى صارت مضغة سهلة للطامعين من الافرنج والامر لله سنة الله التي قد نزلت
من قبل ولن نجد لسنة الله تبديلا

(١) الغيضة بالفتح محل تجتمع فيه المياه من اودية أو عيون فنبت فيه الشجر
وهي لغة ايضا الغابة كما هو مشهور على السنة العامة الآن وقوله اشبه بفتح الشين
اي ملتفة مشبكة لكثرتها واجتماعها من أصناف الشجر عظيمه وصغيره وفي القاموس
أشب الشجر كفرج التف • قال • وفي حديث ابن ام مكتوم ينفى وبينك أشب
(بفتح الشين) معركة يريد النخل الملتفة اه

(٢) الشعراء شجر الحمض وهو كل شجر مالح أو مر في طعمه وضرب من
الخلوخ جمعها كواحد ومن الارض ذات الشجر أو كثيرته ذكر ذلك صاحب
القاموس فقوله لاشعراء فيه أي لاشجره وانظر حكمة الله اذ جعل بين تلك الاشجار
الملتفة والغابة العظيمة هذا الموضع فضاء حتى امكتهم الإقامة والصلاة فيه الى ان
تم شغلهم صنع الله الذي اتقن كل شيء واذا أراد تمام أمره هيا له اسبابه

(٣) الذي يؤخذ من هذا الكلام ان اسم نيهرت لم يكن موجودا قبل نزول
الامام عبد الرحمن بهذا المكان وقد تقدم انه اسم للتدنية وهو الذي يقرب صحته
العقل لما تقدم وما سيأتي • وذكر الشامي رحمه الله في صحيفة ١٢٥ أنها تسمى
أيضا (تاقدمت) ولم نره لغيره الا اني وقفت في (الكتبخانة) المصرية الخديوية
على الصناديق التي صفت فيها تحت صفائح الزجاج النقود المضروبة بأسماء الملوك
والمدن قديما وحديثا لاطلاع الناس عليها وفوق كل عملة منها ورقة صغيرة توضح

هناك فلما فرغ من الصلاة ثارت صيحة شديدة على اسد ظهر في الشمراء
فأخذ حيا وأوتي به الى الموضع الذي صلى فيه وقتل فيه (١) فقال عبد الرحمن
ابن رستم هذا بلد لا يفارقة سفك دم ولا حرب ابدا (قال ذلك بعد ان
نظر نظرة في النجوم كما ذكره المراكشي في تاريخه

وابتدأوا في تلك الساعة وبنوا في ذلك الموضع مسجداً وقطعوا
خشبه من تلك الشمراء وهو على ذلك الى الآن (يعني وقته) وهو مسجد جامعها
وكان موضع تاهرت ملكا لقوم مستضعفين من مداسة وصنهاجة *
فأرادهم عبد الرحمن على البيع فأبوا فوافقهم على أن يؤدوا لهم الخراج من
الاسواق ويبيعوا لهم أن يبنوا المساكن فاختلفوا وبنوا وسموا الموضع
معسكر عبد الرحمن بن رستم الى اليوم (٢) وقال المهدي بين أشير وتاهرت

ما في ذلك المضروب من التاريخ والاسم * وقد رأيت فيها عملة نحاسية صغيرة
لا اتقان في نقوشها فوقها ورقة فيها هكذا (تاقدمت ١٢٥٥) وبجانبها ورقة أخرى
فيها اسم الأمير عبد القادر الجزائري المشهور القائم على فرنسا بعد دخولها قطر الجزائر
وقد بنى تيهرت بعض بناء لما نوى أن يجعلها مركزا لحكومته ولم يطل أمره ولعله
ضرب تلك العملة لما كان هناك وهو صاحب علم واطلاع والله أعلم

(١) لا معنى للآتيان به حيا الى مكان الصلاة وقتله فيه لما ورد من النهي عن
قصد تنجيس البقاع المعدة للاجتماع مطلقا وبالنصوص المعدة للصلاة والذي
رأيت في تاريخ ابن عذارى المضربي فيما أظن ان الاسد خرج عليهم وبعدهم محاورة
بينه وبينهم اتفق قتله في مصالحهم فالقتل هناك غير مقصود ولكوني اطلعت على
هذا الكلام قبل ان يخطر ببالى تحرير شيء من هذا فاتني نقله بالحرف

(٢) الذي يسمى الآن بالمعسكر مدينة غير تيهرت الا أنها قريبة منها وسيأتي
الكلام عليها

اربع مراحل وهما تاهرتان القديمة والحديثة ويقال للعديثة تاهرت عبد الخالق ومن ملوكها بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ومن ينسب إليها أبو الفضل أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله التميمي البراز التاهرتي . روى عن قاسم بن أصبغ . وأبي عبد الملك بن أبي دكيم . وأبي أحمد بن الفضل الدينوري . وأبي بكر محمد بن معاوية القرشي ومحمد بن عيسى بن رفاعة . روى عنه أبو عمر بن عبد البر وغيره انتهى معجم * وسند كر بعد هذا الباب جماعة من أهل العلم المنسوبين إلى تاهرت إن شاء الله *

* وأما العلامة أبو عبد الله البنا المعروف بالبشاري الحنفي من علماء المائة الرابعة من الهجرة فانه ألف تاريخاً سنة ٣٧٥ وطبع بمدينة ليدن من بلاد الأفرنج سنة ١٨٧٦ قال في أوله هكذا .
وتجنببت الكذب والطغيان . وتحريزت بالحجج من الطعان . ولم أودعه المجاز والهمال . ولا سمعت الا قول الثقات من الرجال . واعلم اني مع هذه الوثائق والشروط لم اظهره حتى بلغت الأربعين . ووطيت جميع الاقاليم وخدمت أهل العلم والدين اه وقد ذكر اصطلاح المؤرخين في معنى الامصار وذ كر اصطلاحه الذي جرى هو عليه في كتابه فقال *

* وأما نحن فجعلنا المصر كل بلد حله السلطان الاعظم . وجمعت اليه الدواوين . وقلدت فيه الاعمال . واضيف اليها مدن الاقليم .

ثم قال في صحيفة ٤٧ واعلم اننا جعلنا الامصار كالملوك والقصبات كالخجاف والمدن كالجند . والقرى كالرجال ثم ذكر في صحيفة ٤٨ تاهرت من الامصار

فيصدق عليها حيث أنها بلد سلطان عظيم جمعت اليه الدواوين الى آخره وقال
في صحيفة ٥٦ عند ذكر الحجاب لكل مصر هكذا.

• لبرقة . رمادة . طرابلس • اجداية الى آخر ما ذكره لها •
للقيروان • صبره . صفاقس • المهدية . سوسة . تونس . الى آخر ما ذكره لها
أيضاً ثم قال .

واتيهرت بجمعة • تاغليسة . قلعة ابن الحرب . خرازة . (٣) الجمبة . غدير .
الدروع . لمايه . منداس . سوق ابن جبلة . مطماطة . جبل تيجان . وهران .
شلف • طير الفزة • سوق ابراهيم . رهباية . البطحة . الزيتونة . تمنا • يعود
الخضراء • وارين . تنس • قصر الفلوس . بحرية . سوق كرى . منجسة .
اوزكى • تهرين . سوق بن مبلول . ربا . تاويلت ابي مغول . تامزيت . تاويلت
لغو . افكان . (وبها نرى يأتي الى تاهرت) انتهى . (١)

فهذه ما يقارب اربعين مدينة غير ما سيزيده • نسبتها الى تاهرت
كنسبة صفاقس . وتونس الى القيروان وكنسبة طرابلس . واجداية الى
برقة • بمعنى ان كل واحدة من هذه المدن تعتبر مركز ولاية صغيرة أو متصرفية
كبيرة باصطلاح عصرنا بدليل تقسيمها الى عدة ولايات بعد انقراض امامة
بني رستم منها • فافكان • وتاهرت نفسها كانت ليعلى بن محمد اليفرنى وأشير •
وأعمالها لثري بن مناد الصنهاجى • والمسيلة • وأعمالها لجعفر بن علي الا تدلسي

(١) أغلب هذه الاسماء بربرية لأنها لمواطن البربر ولذلك وقع للمؤرخين
اختلاف كثير في رسمها فكتب بعضهم أجداية بالذال المعجمة وبعضهم خرازة
بالهاء بدل الخاء وبعضهم افكان بباء قبل الفاء وغير ذلك وما رسمناه هنا هو الذى
اتفق فيه أكثرهم على ما رأيناه

و « باغاية » واعمالها لقيصر الصقلي (١) الى غير ذلك مما ذكره المؤرخون ومنهم ابن خلدون فانه قد ذكر بعض ذلك في صحيفة ٤٦ من المجلد الرابع ولولم تكن كذلك لما قام بها ملك قاهر كهذا ودام رغما عن تلك الفتن والحروب الواسلية وغيرها

« وبهذا يظهر للمقاريء ما كان لتاهرت من اتساع الدائرة وما كان لبني رستم فيها من عظيم الملك ولا سيما اذا فكر فيها هوت تحت نفوذهم قوة أو فعلا من سرت الى أرض الجريد و سنين ذلك واذا ذاك لا يستعظم ولا يشك فيها سينلى عليه من الكلام الآتي منقولا عن المؤرخين أرباب الاطلاع والتحقيق ومن أمعن الفكر في كلام هذا المؤرخ وقاعدته التي أسسها وهي قوله واما نحن فجعلنا المصر الى آخره يظهر له الامر جليا (٢) ثم قال والله

(١) ربما يقول قائل ان بعض المؤرخين ذكر بعض هذه المدن في اقليم افريقيا وبعضها في اقليم قاس أو سجلما سة مثلا وان بعضها انما أسس بعد انقراض دولة بني رستم فلا يصدق عليها انها دخلت في ملكهم « فنقول ان ما ذكره هذا المؤرخ اقرب الى الصحة لقرب عهده بيني رستم بخلاف غيره فان أغلبهم متأخروا كثيرا حرروه على هذه الجهات تلقوه عن غيرهم بمجرد السماع والنقل على انه يمكن دخول هذا البعض تحت غيرهم في مبدىء ظهور دولتهم قبل اتساع خطتها أو في آخرها عند تهقرها كما سأتى وما كان من المدن حادثا بعد انقراضها فالمراد بذكرها بيان ان موقعها وما يليه من البلاد كان في طاعتهم وعلى هذا يحمل كلام من خالف هذا المؤرخ من المؤرخين والله أعلم فليحذر

(٢) وجه ذلك هو أن المصر في اصطلاحه يطلق على المدينة التي بها كرسي المملكة كالأستانة المليية الآن وقد سمي تيهرت مصرا « وان الحجاب في اصطلاحه يطلق على مرا كز الولايات كطرابلس الآن وكولاية الحجاز وولايات الشام

دره في انصافه وتقريره الحق كما عرفه ورآه او حقه عن ارباب المعرفة
والصدق مانعه * اقليم المغرب هذا اقليم بهي * كبير سري * كثير المدن
والقرى * وعجيب الخصاص والرخا * به ثغور جليلة * وحصون كثيرة *
ورياض نزهة * وبه جزائر عدة * مثل الاندلس الفاضلة العجيبة * (وتاهرت)
الطيبة النزيهة * وطنجة البلدة البعيدة * وسجلماسة المختارة الفريدة * واصقلية
الجزيرة المفيدة * الى ان قال فأول كورة من قبل مصر برقة ثم افريقية
ثم (وتاهرت) * ثم سجلماسة * ثم فاس * ثم السوس الانصى * ثم جزيرة
اصقلية *

ثم طرب قلعه السابج في لجة معارفه اليقينية * واستخرج من مكنون
جواهره كل يتيمة نقيه * واندفع بسطر على صفحات الطرس ماعلمه لهذه
المدينة الزهراء من الفضائل والكمالات * مترددا في تفضيلها على دمشق
الشام وقرطبة الاندلس ذات المآثر الباهرات * واليك ما طرزه وحقه ان
ينظم باللاك * وقال لله رجل انصف وما حاد عن الحق اذ قال (وتاهرت)
هي اسم القصبة ايضا وهي بلخ المغرب قد احدثت بها الانهار * والتفت بها
الاشجار * وغابت في البساتين * ونبت حولها الأعين * وجل بها الاقليم *

بالنسبة الى الاستانة وقد ذكر تلك المدن كلها من الحجاب لتهرت فيلزم أن تكون
بمقام ولايات في اصطلاح عصرنا وان كان بعضها أكبر من بعض وأكثر في
ال عمران كما هو الحال الآن في ولايات كثيرة ولا يقال ان بالنظر الى قربها من بعضها
بعض يظهر انها لا تكون كذلك اذ لا يكون في دائرة كل واحدة من الانفس والعارات
ما يخول لها درجة ولاية أو متصرفية لأن من نظر الى مديريات مصر والاسكندرية
مثلا وتقاربها لا يستبعد ذلك هناك وجود تلك الانهار الجارية والعيون السائلة والاودية
الكبيرة والاعداد الكثيرة من القبائل المولفة من الآلاف والله أعلم

وانتمش فيها الغريب • واستطابها اليب • يفضلوها على دمشق واخطوا
وعلى قرطبة (١) وما ظنهم اصابوا • هو • اقليم تاهرت • بلد كبير كثير الخير

(١) أما دمشق فقد سميت باسم بانيها دمشق بن قاني بن مالك بن أرفخشذ
ابن سام بن نوح وقيل غير ذلك • وقد أقسم سبحانه وتعالى بحبلها في قوله (والتين)
قال كعب هو الجبل الذي عليه دمشق والزيتون هو الجبل الذي عليه بيت المقدس
وطور سيناء هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام والبلد الأمين هو مكة
وقال الاصمعي جنان الدنيا ثلاث غوطة دمشق ونهر بلخ ونهر الأيلة وقد فتحت
دمشق سنة ١٤ من الهجرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومما قاله
البحري الشاعر المشهور فيها قوله

(أما دمشق فقد أبدت محاسنها • وقدوف لك مطربها بما وعدا)
(إذا أردت ملأت العين من بلد • مستحسن وزمان يشبه البلادا)
(تسمي السحاب على أجالها فرقا • ويصبح النور في صحرائها بددا)
(فلست تبصر الا واكفا خضلا • ويأمننا خضرا أو طائرا غردا)
(كأنما القبط ولي بعد جيشه • أو الربيع دنا من بعد ما بعدا)
• ومما قاله فيها أبو تمام الشاعر •

(لولا حدائقها وأني لا أرى • عرشا هناك خلقتها بلقيسا)
(وأرى الزمان غدا عليك بوجه • جذلان بساما وكان عبوسا)
(قد نورت تلك البطون وقدست • تلك الظهور بقربه تقديسا)

ذكر هذا صاحب مختصر البلدان وقال • ولما أراد الوليد بن عبد الملك بناء
مسجد دمشق دعا نصارى دمشق فقال أنا نريد أن نزيد في مسجدنا كنيسةكم هذه
ونعطىكم موضع كنيسة حيث شئتم فحذروه ذلك وقالوا انا نحمد في كتابنا انه
لا يهدمها أحد الا وخنق فقال الوليد فأنا أول من يهدمها فقام عليها وعليه قباء أصفر
فهدمها بيده وهدم الناس معه ثم زاد في المسجد فلما هدمها كتب اليه ملك الروم
انك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها فان كان حقا ما عملت فقد أخطأ أبوك

رحب * رفق * طيب * رقيق الاسواق * غزير الماء * جيد الال * قديم
الموضع * محكم الرصف * عجيب الوصف * غير أنه متى يقاس المغرب

وان كان باطلا فقد خالفت أباك فلم يعرف الوليد جوابا فاستشار الناس وكتب الى
العراق فقال الفرزدق أجيء يا أمير المؤمنين بقول الله عز وجل * وداوود وسليمان
اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان
وكلا آتينا حكما وعلما * وكتب اليه الوليد بذلك فلم يجبه والوليد ممن زاد في المساجد
وبناها فبنى المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد قبا ومسجد دمشق وأول من
حفر المياه في طريق مكة الى الشام وأول من عمل البهار ستانات للمرضى وكان في
ذلك انه خرج حاجا فمر بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فدخله فرأى بيتا طاعنا
في المسجد شارعا بابه فقال ما بال هذا البيت قبيح هذا بيت علي بن أبي طالب
أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم وردم سائر أبواب أصحابه فقال ان رجلا نفعته
على منابرنا في كل جمعة نقر بابه طاعنا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
بين الابواب اهدم يا غلام فقال روح بن زنباع الجذامي لا تفعل يا أمير المؤمنين
حتى تقدم الشام ثم تخرج أمرك بتوسيع مساجد الأمصار مثل مكة والمدينة وبيت
المقدس وبنى بدمشق مسجدا فدخل هدم بيت علي بن أبي طالب فيما يوسع
من مسجد المدينة قبل منه وقدم الشام وأخذ في بناء مسجد دمشق وأنفق عليه
خراج الملكة سبع سنين ليكون ذكرا له (وهذا مما لا يجوز الشرع قطعا)
وفرغ من المسجد في ثماني سنين فلما حمل اليه حساب نفقات مسجد دمشق
على ثمانية عشر ميرا أمر باحراقها قال في كتاب المسالك والممالك أنفق على
مسجد دمشق خراج الدنيا ثلاث مرات وبلغ ثمن البقل الذي أكله الصناع
في مدة أيام العمل ستة آلاف دينار وهذا المسجد مقعد بحشرين ألف
رجل وان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل قال زيد بن واقد وكلي الوليد على
العمال بمسجد دمشق فوجدنا فيه مقارة فرفنا الوليد ذلك قتل في الليل فاذا
هي كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع في مثلها واذا فيها صندوق وفيه سقطة مكتوب عليه

بالشام * وابن مثل دمشق في الاسلام * ولقرطبة اسم وذكر شأن *
بها (اي تاهرت) جامعان على ثلثي البلد قد بنيا بالحجارة والجيل *

هذا رأس يحيى بن زكرياء فرأيناه فأمر به الوليد أن يجعل تحت عمود معين فجعل
تحت العمود المسقط () الرابع الشرقي و يعرف بعمود السكاسك قال زيد رأيت
رأس يحيى بن زكرياء حين وضع تحت العمود والبشرة والشعرة لم تتغيرا قالوا فمن
عجائب مسجد دمشق ان لوبي الرجل فيها مائة سنة لكان يرى فيها كل وقت
أعجوبة لم يرها قبل وقال كعب لينين في دمشق مسجد يبق بعد خراب الارض
أربعين عاما والمثناة التي بدمشق كانت ناطورا للروم في كنيسة يحيى فلما هدم
الوليد الكنائس وأدخلها المسجد تركت على حالها وهدم الوليد عشر كنائس واتخذها
مسجدا ولما ولي عمر بن عبد الميز الخليفة قال اني أرى في مسجد دمشق أموالا
أنفقت في غير حقها فأنا مستدرك ما ادرى كنت منها ورادها الى بيت المال أنزع
هذا الرخام والفسيفساء وأطبخه وأنزع هذه السلاسل وأصير بداها حبالا فاشتد ذلك
على أهل دمشق فخرج أشرفها اليه وكان فيهم يزيد بن سمعان وخالد بن عبد الله
القشري فقال خالد لهم دعوني والكلام قالوا تكلم فلما دخلوا عليه قال له خالد
بلغنا انك همت بمسجدنا بكذا وكذا قال نعم قال والله ما ذلك لك قال فلما ذلك
لأملك الكافرة وكانت أمه نصرانية فقال ان تلك كافرة فقد ولدت مؤمنا فاستحي
عمر وقال صدقت وورد على عمر رسل الروم فدخلوا مسجد دمشق لينظروا اليها
فرفعوا رؤوسهم الى المسجد فنكس رؤوسهم رأسه واصفروا فقالوا له في ذلك
فقال انا كنا معاشر أهل رومة نحدث ان بقاء العرب قليل فلما رأيت ما بنوا علمت
ان لهم مدة سيلغونها فأخبر عمر بذلك فقال أرى مسجدكم هذا غيظا على الكفار
فتحرك ما هم به من أمر المسجد والمسجد مبني بالرخام والفسيفساء مسقف بالساج
منقوش بالازورد والذهب والمحراب مرمع بالجواهر المثمنة والحجارة المعجبة * وبني
معاوية الخضراء بدمشق في زمن عثمان بن عفان وأمر على الشام وهو ابن ثمان وثلاثين
سنة واستخلف وهو ابن ثمان وخمسين سنة وتوفي ثمان وسبعين سنة وهو أول من اتخذ

قريبان من الاسواق من دروبها المعروفة اربعة درب مجانة * درب المعصومة

المحاريب والمقاصير والشرط والحرس والخصيان وأصفي الاموال وقد أنكر قوم بناء الدور والابنية والتفكة والتبذير عليها وهذا طلحة بنى داره بالآجر والقصة وأبوابه ساج وبنى عثمان بن عفان بالحجارة المنقوشة المطابقة وخشب الصنوبر والساج حمل له من البصرة في البحر ومن عدن في البحر وحمل له القصة من بطن نخل وبنى الزبير اربعة أدور دارا بمصر وأخرى بالاسكندرية وأخرى بالكوفة وأخرى بالبصرة واتفق زيد بن ثابت على داره ثلاثين الف درهم ثم قال و بدمشق جبل لبنان وهو الذي يكون عليه العباد (بتشديد الباء) والابدال وعليه من كل الشر والفواكه وفيه عيون كثيرة عذبة اهـ

واما قرطبة بضم أرله وسكون ثمانية وضم الطاء المهملة والباء الموحدة فقد قال صاحب المعجم كلمة فيما احسب عجمية رومية ولها في العربية مجال يجوز ان تكون من القرطب وهو العدو الشديد وقال وهي مدينة عظيمة بالاندلس وسط بلادها وكانت سريرا للملكا وقصبتها وبها كانت ملوك بني امية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقع بينها وبين البحر خمسة ايام قال ابن حوقل التاجر الموصلى وكان طرق تلك البلاد في حدود سنة ٣٥٠ وأعلى مدينة بالاندلس قرطبة وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الامل وضعة الرفعة ويقال انها كأحد جاني بغداد وان لم تكن كذلك فهي قرية منها وهي حصينة بسور من حجارة ولها بابان يشرعان في نفس السور الى طريق الوادي في الرصافة والرصافة مساكن بأعالي البلد متصلة بأسافلها من رصافها وابنتها مشبكة محيطة من شرقها وشمالها وغربها وجنوبها الى ان قال ومن تشوق اليها القاضي محمد بن ابي عيسى بن يحيى الليثي قاضي الجماعة بقرطبة فقال فيها

(يلم ذكراري من ورقا مفردة * على قضيب بذات الجزع مياس)
(رددن شجواشجا قلبي الخلي قتل * في شجر ذي غربة ناء عن الناس)
(ذكرته الزمن الماضي بقرطبة * بين الاحبة في هو وايناس)
(هجن الصباية لولا همة شرفت * فصيرت قلبه كالجنديل القاسم)

درب حارة القفير (١) درب البساتين * بقرها مدينته تسمى رهاه وقد خربت
وتنس * مسورة على البحر * شربهم من نهر * وكذلك قصر الفلوس *
وتاهرت السفلى على واد عظيم * ذات عين وبساتين * وافكان * مسورة

وينسب اليها كثيرون من أهل العلم والادب ولما ادبر أمرها رثاها

شعراؤها بمراثي كثيرة والله أعلم

وقد نقل الشيخ مقديش وصف جامعها المشهور فقال وبها الجامع الذي ليس
في معمور الأرض مثله فيه من السواري الكبار ألف سارية وفيه مائة وثلاث عشرة
ثريا للوقيد أكثر مما يحمل الواحدة ألف مصباح وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر
على وصفه وبقبلته صناعات تدهش العقول وعلى فرجة المحراب سبع قسي قائمة على
عمد طول كل قوس فوق القامة قد تحير الروم والمسلمون في وصف جسنها وفي عضادتي
المحراب أربعة أعمدة اثنتان أخضران واثنتان لازورد يان ليس لها قيمة وبه منبر ليس
على معمور الأرض مثله في حسن صنعه وخشبه ساج وأبنوس وبقص وعود قاطلي
ويذكر في تاريخ بني أمية أنه أحكم عمله وقشه في سبع سنين وكان يعمل فيه ثمانية
صناع لكل صانع في كل يوم نصف مثقال محدي فكان جملة ما صرف على المنبر
أجرة لا غير عشرة آلاف مثقال وخمسين مثقالا وفي الجامع حاصل كبير فيه آنية
الذهب والفضة لأجل الوقود وهذا الجامع أربع ورقات من مصحف عثمان بن عفان
بخط يده وفيه تقطع من دمه وله عشرون بابا مصفحات بالنحاس الأحمر الاندلسي
محزومات تحزما يعجز البشر وصفه وفي كل باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة وبه
الصومعة التي هي من عجائب الدنيا ارتفاعها مائة ذراع بالمالكي المعروف بالشراشي
كل ذراع ثلاثة اشباراه بحروفه

(١) في كل ما رأينا من النسخ (القفير) بتقديم القاف على الفاء ولم نعلم له
معنى مناسباً للمقام ولعله بتقديم الفاء أو بإخلاء مكان القاف أو بالعين على لغة العامة
وعلى هذا نكون علة التسمية واضحة وهي وجود مركز للخبراء بذلك الدرب يجتمعون
فيه ثم يوزعون في أنحاء المدينة بمعرفة رئيسهم كما هو جار الآن بمصر عند كل مغرب

على واد جار ذات بساتين * ويل * وجبل توجان * على ما ذكرنا
سواء * وهران * بحرية مسورة يلقون منها الى الاندلس في يوم وليلة (١) ترى منها
البرين وهي احد المعابر المشهورة * جبل زلاغ * مدينة * على جبل عال يطل
على كورة فاس بناها خاوف بن احمد المعتلى * وبقية المدن اكثرهن مسورات
ذات بساتين انتهى *

وقد ذكرها شمس الدين ابو طالب الدمشقي باختصار في تاريخه ولم
يذكر ما يحتاج الى نقل كما لم يذكر غيرها من المدن الا سرداً *
وعده العلامة ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار ممالك المغرب
ليفضل عليها ممالك المشرق تعصبا للشرق فلم يذكر من مزايا المغرب الا ما لم
يمكنه انكاره وقال * ويأبى اي تونس الغرب الاوسط كان في صدر الاسلام
قد اقتطعه بنو رستم وكانوا اباضية وادعوا الخلافة وكان قطب امامتهم
مدينة تاهرت *

واما المؤرخ ابن الصغير * العلامة الخطير * المالكي الشهير * الذي
بحث في احوال تاهرت عن النقيير والقطير * فقد نظم في الثناء عليها المثلود
الحسان * ووصف بني رستم ما وكها الاثماهل العدل والاحسان * بكل
وصف جميل * وذكر جليل * وسيأتي موزعاً في الباب الآتي * عند ذكر
كل امام منهم فانه ظره وكل آت قريب * ولمناسبة هذا المقام تأتي بكلمات
منه وان تكررت بعد ذلك ليعلم منه مشربه ويدرك منه مرمى كلامه قال

(١) في نسخة هكذا (وسبته على زقاق بحر الاندلس ترى منه البرين الى آخره)
فيؤخذ من هذا ان سبته قد أتى عليها وقت وهي في دائرة حكم نيهرت وفيه تأمل
لبعدها عنها جدا وقربها من طنجة والله أعلم

ثم شرعوا (يعني الاباضية تاهرت) في العمارات والبناء واحياء الموات
وغرس البساتين * واجراء الانهار واتخاذ الرحي والمستغلات وغير ذلك
واتسموا في البلد وتوسعوا فيه وأتتهم الوفود والرفاق من كل الامصار
واقاصي الاقطار فقل أحد أن ينزل بهم من الغرباء الا استوطن معهم وابتنى
بين اظهرهم لما يراه من رخاء البلد وحسن سيرة امامه وعدله في رعيته وأمانه
على نفسه وماله حتى لا ترى داراً الا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان
البصري وهذه لفلان القروي وهذا مسجد القرويين ومسجدهم وهذا مسجد
البصريين وهذا مسجد الكوفيين واستعملت السبل الى بلاد السودان
والي جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة الى ان
قال في حق الامام اقلع * وشمع في ملكه وابتنى القصور واتخذ ابواباً من
الحديد وبني الجفان واظم فيها الجيعان وصمرت منه الدنيا وكثرت الاموال
والمستغلات واته الرفاق والوفود من كل الامصار والآفاق بأنواع التجارات
وتنافس الناس في البناء حتى ابتنى الناس القصور والضياع الى آخر ما سيطرق
سمعتك غير بعيد ان شاء الله ولا فائدة في التكرار وقال ابن خلدون في ١٢١
من المجلد السادس فشرعوا (اي الاباضية) في بناء مدينته تاهرت في سفح
جبل كزول السياح على تلول منداس واختطوها على وادي ميناك النابمة
منه هيون بالقبلة وتمر بها وبالبطحاء الى ان تصب في وادي شلف فأسسها عبد
الرحمن بن رستم واختطها سنة أربع واربعين ومائة فتمدنت واتسمت
خطتها اه

وقال ابن حوقل في المسالك المطبوع بايدن سنة ١٨٧٢ بصحيفة ٦٠
بعد أن وصفها كما تقدم * والتجار والتجارة (ببهرت) المحدثه اكثر ولهم مياه

تدخل أكثر دورهم وأشجارهم وبساتين كثيرة وحمامات وغابات وهي أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين القرايد ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الثلات *

وأما ابن عذارى المغربي فانه ذكرها في بيانها وخالف في تاريخ تأسيسها كل ما رأيته من التواريخ اذ قال في صحيفة ٢٠٣ فاجتمع عليه (اي عبد الرحمن) الاباضية وعزموا على بنيان مدينة تجمعهم فنزلوا بموضع تهرت وهي غيضة بين ثلاثة انهار فبنوا مسجداً من اربع بلاطات واختلط الناس مساكنهم وذلك سنة ١٦١ وكانت في الزمان الخالي مدينة قديمة فاحدثها الآن عبد الرحمن بن رستم وبقي بها الى ان مات سنة ١٦٨ هـ وهذا تاريخ في وفاة عبد الرحمن وهو مخالف لما هو مشهور عندنا ولكلام ابن خلدون الآتي وقال ايضا وكانت حول تهرت بساتين من انواع الثمار كثيرة الاشجار وهي شديدة البرد كثيرة الامطار قليل لبعض الظرفاء من اهلها كم الشتاء عندهم من شهر في السنة قال ثلاثة عشر شهرا اهـ

هذا وقد وثقت على ذكرها في كتاب دائرة المعارف ولم يزد على ما سمعته غير بيان المسافة التي بينها وبين وهران باصطلاح هذا العصر وذلك ٢٢٠ كيلو مترا واسنظر انها هي (تنغرتيا) القديمة التي كانت كرسي اسقفية (١) في القرن الخامس للميلاد (فهي اذاً عريقة في الفخر عظيمة الشأن محط رحال

(١) الأسقفية وظيفة مخصوصة برجال الدين عند النصارى وكرسيها هو المدينة أو القصب التي يقيم فيها الأسقف * والاسقف كلمة عربية وقيل معربة من (ايسكوبوس) باليونانية ومعناها ناظر أو رقيب وكل القاب خدمة الدين عند النصارى هي امام من أصل يوناني كلاسقف والبطريرك والشدياق وغيرهم أو من أصل سرياني كالقسيس

المعظماء والرؤساء من رجال الدين من قديم الزمان (وزاد في آيات ابن حماد
المتقدمة يبتا بمد قوله تبدو من القيم الى آخره والبيت هو هذا

﴿ فنحن في بحر بلا لجة • تجري بنا الريح على سست ﴾

نحمد الله على موافقة الحق

ثم وثقت في اثر هذا على عين ما استظهرته في الحاشية قبل هذا

والشماس وغيرها والاسقف بالفرنساوية اقف (وبالانكليزية بشب)
وهما من اليونانية أيضا وهو في الكنائس البروتستانية في أسوج ونروج والدانمرك
لقب يلقب به خدمة الدين الا انهم لا يعتبرون من رتبة ممتازة عن غيرها من درجات
الكنيسة وقد ذهب بعض البروتستانت الى ان ماورد في سفر أعمال الرسل (١٧: ٢٠)
و ٢٨) استفاد منه ان مدلول الاسقف والقسيس واحد واما معلمو الكنيسة الرومانية
الكاثوليكية ومن وافقهم من مطلي البروتستانت فقد خالفوا في ذلك وقالوا ان الاسقف
والقسيس درجتان ممتازتان • وكان انتخاب الاسقف منوطا بقسم من الاهالي ولما
في ذلك من كثرة المخالف في الرأي المؤدي الى العناد غالبا استعملت الوسائل الى
ابطال ذلك حتى صار الملوك يمينون بانفسهم أساقفة مما لكم الا ان (البابا)
لم يطلق ذلك وقاوم هذا الطريق بكل عناية حتى جعل الانتخاب مخصوصا بقسيسي
الكنائس الاسقفية وقد اختلفت في هذا العهد طرق الانتخاب فبعضهم خصصه
بالقسيسين وبعضهم جعله مشاركا بينهم وبين الاهالي وبعضهم خصصه بالملك ورجال
دولته وبعضهم اشترط في المنتخب (بالكسر) كونه من أبوين شرعيين بالناسن الثلاثين
مشهورا بالعلم والادب مقبولا عند الحكومة وكونه من أهالي البلد الواقعة فيها الاسقفية
ان أمكن • وعلامات الاسقف في أوروبا التاج رمزا الى القوة والعصا رمزا الى فروضه
الرعاية والخاتم رمزا الى اقترانه بالكنيسة وعلب معلق على صدره وكفوف مخصوصة
وحذاء لا يغطي الاقسام من أعلى رجليه وقباء مخصوص وذلك كله تمييز له عن هو

بصحيفة (١٩) عند الكلام على كيفية توزيع المياه على بيوت تهرت فحدث
الله على موافقة ذلك الفكر للاحق راجيا ان تكون افكاري كلها كذلك ان
شاء الله واليك ما كتبه بالحرف حيث قال واما في تهرت في الحديث فكانت
اكثر تجارة والماء يجري اليها في اقية وانا يرب الى كل البيوت انتهى وبهذا نختم
هذا الباب وختامه مسك والحمد لله رب العالمين

في الكلام على المدن المنسوبة الى تهرت

تقدم عن السلامة البشاري الحنفي نسبة عدة مدن الى تهرت وقد
تكلم عليها المؤرخون وتنميا للقائدة تأتي بعض ما قالوه في بعضها فنقول ان
من اشهر تلك المدن في ذلك العهد

مدينة تنس

بفتح الناء والنون وهي آخر افريقية مما يلي الغرب بينها وبين
مدينة وهران ثمانية ايام ومليانة في جنوبها على ثلاثة ايام وقيل اربعة

دونه من خدمة الدين * واما في الكنيسة الشرقية فالعلامات المميزة للاسقف من
القسيس عند الروم (الارتودكس) والروم (الكاثوليك) والأرمن هي منديل يحمل فوق
القلنسوة تحت القاوق وفي الشرق الصليب على الصدر والخاتم في البنصر وثوب
يخالف أثواب القسيس ويكون في الغالب أحمر وللاسقف دون القسيس حق فحص
التأليف الدينية التي تنشر في أبرشته (الدائرة التي يتولاها الاسقف وتكون تحت نظره)
فيثبتها أو يحكم بفنائها والكثير من البروتستانت سلخوا السلطة عن الاساقفة وصيروهم
بمنزلة القسيسين ومنهم من أبطل هذا الاسم بالمرءة والبعض منهم ابقاها كما هي عليه

وبينها وبين تهرت خمس مراحل اوست نقل ذلك الحموي عن البكري
وقال * قال ابو عبيد هي مدينة مسورة حصينة داخلها قلعة صغيرة صعبة المرتقى
يغرد بسكنائها العمال لخصائنها وبها مسجد جامع واسواق كثيرة وهي على نهر
ياتيها من جبال على مسيرة يوم من جهة القبلة ويستدير بها من جهة الشرق
ويصب في البحر وتسمى تنس الحديثة وعلى البحر حصن ذكر اهل تنس انه
كان القديم المعور قبل هذه الحديثة وتنس الحديثة اسمها وبناها البحريون
من اهل الاندلس منهم الكركدن وابو عائشة والصقر وغيرهم وذلك
سنة ٢٦٢ (في دولة بني رستم) وسكنها فريقان من اهل الاندلس من اهل
البيرة واهل تدمير واصحاب تنس من ولد ابراهيم بن محمد بن سليمان
ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب وكان هؤلاء البحريون
من اهل الاندلس يشنون هناك اذا سافروا من الاندلس في مرسى على
ساحل البحر فاجتمع اليهم بربر ذلك القطر ودرغوبهم في الانتقال الى قلعة
تنس وسألوهم ان يتخذوها سوقا ويحملوها مسكنا ووعدهم بالمعون وحسن
المجاورة (١) فاجابوهم الى ذلك وانتقلوا الى القلعة وانتقل اليهم من جاورهم

بناء على انها نظام الا هي لا يجوز تغييره وهذا في انكلترا والولايات المتحدة * والاساقفة
من جميع الطوائف النصرانية الا البروتستانت لا يباح لهم الزواج وكذا القسيسون
من الكنيسة اللاتينية والرهبان عموما لا يباح لهم الزواج واما القسيسون من غير الكنيسة
اللاتينية فيباح لهم الزواج مرة واحدة واذا توفيت نساؤهم منعوا عن الزواج مرة
ثانية * ووظيفة الاساقفة المقيمين في ممالك الدولة العلية العثمانية هي النظر والحكم في
جميع المسائل المتعلقة بالامور الدينية من زواج وطلاق واقامة اوصياء للقصر وولاية
الاوقاف والتركات وما اشبه ذلك * كذا قيل والله اعلم

(١) انظر كيف كانوا يهتمون بالبقاء المهجورة القابلة للمارة ويستميلون الناس

من اهل الاندلس فلما دخل عليهم الرقيم اعتزلوا واستوبوا (الموضع
 فركب البحريون من اهل الاندلس مرابهم واظهروا لمن بقي منهم أنهم
 يتارون لهم ويمو دون فحيتذزلوا قرية بجاية وتغلبوا عليها ولم يزل البانون
 في تنس في تزايد وثروة وعدد ودخل اليهم اهل سوق ابراهيم وكانوا
 في اربعمائة بيت فوسع لهم اهل تنس في منازلهم وشاركوهم في اموالهم
 وتعاونوا على البنيان واتخذوا الحصن الذي فيها اليوم ولهم كيل يسمونه الصحنفة
 وهي ثمانية واربعون قادوسا والقادوس ثلاثة امداد بعد النبي صلى الله عليه
 وسلم ورطل اللحم بها سبع وستون اوقية ورطل سائر الاشياء اثنتان وعشرون
 اوقية ووزن قيراطهم ثلث درهم عدل بوزن قرطبة وقال سعد بن اشكل
 التاهرتي في علة التي مات منها (جنس)

﴿ نأى النوم عني واصبحت عرى الصبر ﴾

واصبحت عن دار الاحبة في امر ﴾

﴿ واصبحت عن تيهرت ﴾ في دار غربة

وأسلمني من القضاء من القدر ﴾

﴿ الى تنس ذات النحوس فانها

يساق اليها كل منتقص العمر ﴾

﴿ هو الدهر والسباق (١) والماء حاكم

وطالما المنحوس مصبامة الدهر ﴾

الى الاقامة بها باحسنهم ومعروفهم وحسن جوارهم

(١) في نسخة السيف بالفاء وله مناسبة للمقام

﴿بلادها البرغوث يحمل راجلا
 وياوي إليها الذئب في زمن الحر﴾
 ﴿يرجف منها القلب في كل ساعة
 بجيش من السودان يقلب بالوفر﴾
 ﴿تري أهلها صرعى دوى ام ملدم
 يروحون في سكر ويندون في سكر﴾
 ﴿وقال غيره﴾ (١)
 ﴿أيها السائل عن ارض تنس
 مقعد اللوم المصنئ والدنس﴾

(١) قد بالغ هذان الشاعران في ذم هذه المدينة المدوحة عند ارباب التاريخ
 وقد علمنا السبب الحامل للاول منهما على ذمها فعدونا اذ لامصية تعادل الداء
 المضال المنفسي بصاحبه الى الهلاك كالذي أصابه ولم نلم لثاني سببا قويا غير ما يفهم
 من كلامه من أنه كان سائلا وكأنه لم يفتح بما ناله فيها وقد ورد أن النفس جبلت
 على حب من أحسن إليها وينقض من أساء إليها وسئل (جمعا) فيما يقال عن الحسن
 من الناس فقال هو الذي أحسن الي وسئل عن المسيء منهم فقال هو الذي أساء الي
 وعلى كل حال لا يكون قولها دليلا على نقصها لان الثم والمدح لا يكونان غالبا الا
 على حسب الاغراض والطبائع والاحوال والازمان ولا يخلو شيء من مخلوقات الله
 صوماً من كمال وقصص وما قصد الانسان الى مدح شيء ما الا ووجد مجالا يسم
 فوق مراده ولو عمد الى ذم ذلك الشيء عينه من جهة أخرى لا نفتح له أوسع باب في
 ذلك بدون أن يكذب ان شاء وهذا مما يدل على حدوث الكائنات وافتقارها
 الى مدبر حكيم وهو الله الذي لا اله الا هو ذو الكمال الذي لا يشوبه نقص ولا يلحقه
 عدم هذه مصر القاهرة الغنية بشهرتها عن البيان مهبط الفراعنة والجبابرة وعظماء
 الملوك وبيت الحكم ومعدن الآثار العظيمة والصنائع الغريبة من قديم الزمان قد مدحها

﴿بلدة لا ينزل التطر بها
 والندي في اهلها حرف درس﴾
 ﴿فصحاء النطق في (لا) أبدا
 وعم في (نعم) بكم خرس﴾
 ﴿فستى يلسم بها جاهلها
 يرتحل عن اهلها قبل الفس﴾

الشعراء بما اذا سمعته توهمت انها روضة من رياض الفردوس وذمها آخرون بما اذا تلى
 عليك خلنت انها حفرة من حفر النار وما قاله في وصفها واجاد سليم بك المنحوري
 الدمشقي من شعراء هذا العصر هذه القصيدة

﴿شوارع مصر﴾

(تلك الشوارع عرضها أمثارا • ست بست تدهش الانظارا)
 (يجري الهواء بها رخاء مطلقا • يمحو السقام ويذهب الاكدارا)
 (تزدان بالانسوار فوق منائر • فيعود ليل المدبلين نهارا)

(وعلى الجوانب الفحانوت زهت • بنفائس تدع العقول حيارى)
 (فيها الجواهر كالنجوم وجامها • فلك يزيق بهاؤه الابصارا)
 (فيها الاصناف النسيج زخارف • تسبي النساء وتساب الدينارا)

(شادت يد الاتقان في أكتافها • قللا يناطح روقها الاقارار)
 (من كل صرح باذخ شرقاته • تبدي متى حان الاصيل عذارى)
 (غر الوجوه فواتنا تزي الدمي • ايضا وسمر خردا أبكارا)
 (يختلن من فوق العروش بواسل • جذلاوهم من النعيم سكارى)
 (يرمقن أبناء السبيل بأعين • توحى الى اهل الهوى أسرارا)

﴿ ماؤها من قبح ما خست به ﴾
 نجس يجري على ترب نجس ﴿
 ﴿ فتنى تلحن بلاداً مرة ﴾
 فاجعل اللعنة دأباً ﴿ لتس ﴾

(حفت بجينات الازاهر قدحوت • دررا وآسا نرجسا وعرارا)
 (جمعت لاسباب الهناء ذرائعا • تولي النزيل من المنى اوطارا)
 (بمسي ويصبح والنعيم بهاده • حفي لينسى اهله والجارا)
 وما ورد في ذمها من أقوال المتقدمين قول الشاعر

(مصر دار الفاسقينا • تستفز السامعينا)
 (واذا شاهدت شاهد • ت جنونا ومجوننا)
 (وصفاها وضراطا • وبغاء وقرونا)
 (وشيوخنا ونساء • قد جعلن الفسق ديننا)
 (فهي موت الناسكينا • وحياة الهالكينا)
 (وقول الآخر من قصيدة)

(قلت منافها فضبح ولائها • وشكا التجار بها كساد السوق)
 (ما ان يرى فيها الغريب اذا رأى • شيئا سوى الخيلاء والتبريق)
 (قد فضلوا جهلا مقطوعهم على • بيت بمكة للاله عتيق)
 (لمصارع لم يبق في أجدائهم • منهم صدى برولا صديق)
 (ان هم فاعلهم فغير موفق • أو قال قائلهم فغير صدوق)
 (شيع الضلال وحزب كل منافق • ومصارع للبنى والتنسيق)
 (اخلاق فرعون اللعنة فيهم • والقول بالتشبيه بالخلق)
 (لولا اعتزال فيهم وترفض • من عصبة لدهوت بالتفريق)

وهكذا الحال في البصرة والكوفة على ماسياتي وغيرها وبالجملة فلا شيء في الوجود غيره
 على الاوله كمال وتقص ومادح وقادح على حق أو باطل الا أن الحق يملو والكمال لله وحده

ثم قال وقد نسبوا الى تنس ابراهيم بن عبدالرحمن التنسي دخل الاندلس
وسكن مدينة الزهراء (١) وسمع من ابي وهب بن مسرة الحجازي وابي علي

(١) الزهراء مدينة وقيل سراية كما ذكره بعض المؤرخين وهو اقرب لانهم ذكروا ان
طولها الفان وسبعائة ذراع وان عرضها الف وخمسمائة ذراع وهي قرية من (قرطبة)
على ستة أميال منها وقيل أربعة وزيادة أخطأها عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله
ابن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم
الأموي وهو يومئذ سلطان تلك الجهات وذلك سنة ٣٢٥ (بعد انقضاء دولة بني رستم
من نهرت) انفق في عمارتها ما تجاوز حد الاسراف وجلب اليها الرخام من الاقطار
وأناه من الهدايا للامانة على اتمامها من ولاته ومن ملوك الافرنج المجاورين له مالا
يحد وصفه وجلب اليها من القسطنطينية حوضا مذهبا كبيرا وجعل فيها حوضا أصغر
منه فيه صور حيوانات متعددة كالأسد والفزال والعقاب والثعبان وكل ذلك بالذهب
المرصع بالجواهر وكان يدخلها في أثناء العمل فيها كل يوم ٦٠٠٠ صخرة مع مالا يمد
من الأجر ويعمل فيها كل يوم الف صانع مع كل صانع (١٢) اجيرا فالجملة ثلاثة
عشر الفا حتى تمت في (١٦) سنة فكان فيها (٤٣٠٠) سارية و (١٥) بابا وقدرما
انفقه عليها (من بيت مال المسلمين) بما يقارب ستمائة وخمسين قنطارا فضة خالصة
وكانت على ثلاثة اقسام قسم فيه قصر السلطنة وقسم فيه خدمه وقسم فيه متزهمه
وعلى سورها (٣٠٠) برج ولم يغنها ذلك شيئا فدخل بها البقضاء المبرم فدخلها البربر سنة
(٤٠٠) وأحرقوها وخربوها ونهبوا ما فيها حتى لم يبق منها الا الرسوم والأطلال وقد
ذكرها الشعراء في قصائدهم كثيرا ومن بينهم أبو الوليد بن زيدون القائل

(اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والأفق طلق ووجه الارض قدراقا)
(والنسيم اعتلال في أصائله * كأنما رقي لي قاعتل اشفاقا)
(والروض عن مائه الفضي مبتسم * كما حلت من اللبات أطواقا)
(يوم كأيام لذات لا انصرفت * بتناها حين نام الدهر سواقا)

القالي وكان في جامع الزهراء يفتي ومات في صدر شوال سنة (٣٠٧) انتهى حموي *

هكذا في النسخة المنقول منها وهي من طبع الافرنج ومصححة باعتناء كامل * واما العلامة الضبي فانه ذكر في تاريخه المطبوع ببلاذالافرنج ايضا انه توفي سنة ٣٨٧ والفرق بينها فاحش قليتا مل *

وتكلم عليها الادريسي المالكي المولود في عشرة التسعين من المائة الخامسة في تاريخه فقال ومدينة تنس على مقربة من ضفة البحر الملح على ميلين منه وبعضها على جبل وقد احاط به السور وبعضها في سهل الارض وهي مدينة قديمة اولى عليها سور حصين وحضيرة مائة دائرة بها وشرب اهلها من عين ولها في جهة الشرق واد كثير الماء وشربهم منه في ايام الشتاء والربيع وبها فواكه وخصب واقلاع ورحط وبها اقاليم واعمال ومزارع وبها الحنطة ممكنة جدا ووسائل الحيوانات موجودة وتخرج منها الى كل الآفاق في المراكب وبها من الفواكه كل طرفة ومن السفرجل الطيب المعنق (١) ما يفوت الوصف في صفته وكبره وحسنه اه وذكر في صحيفة ٨٢ ان بينها وبين مدينة تلمسان (التي ينتهي عند عملها ملك بني رستم) تسع مراحل وقال في كيفية السير فيها هكذا

* تخرج من تلمسان (مشرقا) الى قرية العلويين وهي قرية كبيرة عامرة على ضفة نهر ولحم بها جنات ومياه جارية من عيون ومنها الى قرية (بابوت) مرحلة وهي قرية جبلية كثيرة الامل والعمارة على نهر ليس به ارحاء وتسقي منه مزارع ومن بابوت الى قرية (سي) التي على نهر مرغيت مرحلة وهو

(١) أي له عنق طويل كعنق الكثرى مثلا

صغير واليون بها والمياه تطرد في كل جهة ومنها الى رحل الصفصاف مرحلة
وهو رحل طامر أهل على نهرياتي من (افكان) من جهة المشرق ومن الرحل
الى افكان مرحلة (١) ثم ذكر في صحيفة ٨٨ جملة قبائل منها ورماكين وورشفانة
ومغراوة وبنوراشدوزقارة وذكر أن مواطنهم بين تلمسان (وتاهرت) ثم قال
وكل هذه القبائل بطون زناتة () وهم اصحاب هذه الفحوص وهم قوم
رحالة ظوا عن يتجمعون من مكان الى مكان غيره لكنهم متحضرون واكثر
زناتة فرسان يركبون الخيل ولهم عادة لا تومن ولهم معرفة بارعة وحذق
وكياسة ويد جيدة في علم الكتف اهـ

وقد تعرض لها صاحب كتاب دائرة المعارف فذكر أنها كانت مدينة
عظيمة ذات تجارة واسعة مع عرب اسبانيا وأن الماء خرج بها في حد وديف
وعشرين وستمئة وتراجع اليها بعض اهلها ودخلها ابو الربيع الملياني في تلك
المدة وهم ساكنون بين الخراب هـ ثم قال ومنذ القرن الثالث عشر (مسيحياً)
صار تسمية مملكة صغيرة خربها خير الدين سنة ١٥١٨ (مسيحياً) ثم ذكر
ما هي عليه وقت تأليفه الكتاب من الحالة وهي لا تبعد عما هي عليه الآن (٢)
هـ حالتها الحاضرة هـ

فقال سنة ١٨٤٣ (اي في اوائل عشرة الستين بعدالف ومأتين هجرية)

(١) أي ومن افكان الى المعسكر مرحلة ومنها الى جبل فرحان ثم مدينة بلل
مرحلة ومنها الى مدينة غزة ثم سوق ابراهيم مرحلة ومنها الى بلدة التين مرحلة ومنها
الى تنس مرحلة فهذه تسع مراحل

(٢) هذا كله كان في زمن تأليف الكتاب ومن ذلك الوقت الى الآن ما يقرب من
خمسين سنة وهي كل يوم في التقدم فلا شك أنها زادت على ذلك كثيراً والله اعلم

دخل ﴿تس﴾ الفرنسيون وأنشأوا الجانب الحديث منها سنة ١٨٤٨ وهي الآن ذات اسواق جميلة وأبنية بهيجة ومنازل عسكرية ومستشفى وبها قناة رومانية اصلاحت وجر فيها الماء من مسافة (٥) كيلو مترات وفيها كثير من العيون منها لكل محل نبع فضلا عن العيون العمومية وهي قصبة دائرة تشمل على ١١ ألف تس من القبائل البربرية و٩ آلاف من العرب والمدينة ذات تجارة رائجة يرجى سرعة تقدمها لأن محاصيل ولاية ﴿ارليا ثقيل﴾ (١) تنقل اليها وقد بلغت قبضة وارداتها سنة ١٨٥٤ سبعة وخمسين ألف فرنك وصادراتها مليوني فرنك لكن مرقاها يحتاج الى اصلاح وفي ضواحيها معادن نحاس وافرة الركاز تكون لها بها يوما ما ثروة جزيلة وعدد سكانها بلغ سنة ١٨٥٦ نحو ٢٦٠٠ نفس ويقال ان اهلها القدماء اشتبهوا بالسحر وأن منهم كان سحرة مضر في أيام فرعون موسى (عليه السلام) اهـ

﴿ومنها مدينة وهران﴾

وهي من تلمسان على ثلاث مراحل تقريبا وقد قال الادريسي فيها هكذا مدينة وهران على مقربة من ضفة البحر وعليها سور تراب متقن وبها اسواق مقدرة وصنائع كثيرة وتجارات نافعة وهي تقابل مدينة المرية من ساحل الاندلس ولها على بابها مرسى صغير لا يستر شيئا (من السفن اذا هاج البحر) ولها على ميلين منها المرسى الكبير وبه ترسي المراكب الكبار والسفن

(١) ارليا ثقيل هي قصبة جبهة من على الجزائر واقعة على ضفة وادي شلف اليسرى تبعد عن الجزائر بقدر (٢١٠) كيلومترا الى الجنوب الغربي بناها الفرنسيون سنة ١٨٤٢ وهي مدينة حسنة البناء وأزقتها متظمة وبها مرسى ويقام بها سوق في يوم الاسعد من كل أسبوع ووجدوا فيها آثار كنيسة قديمة منها بلاط مزين بالفسيفساء اهـ

السفرية وهذا المرسى يستتر من كل ريح وليس له مثال في مراسي حائط
البحر من بلاد البربر وشرب أهلها من واد يجري إليها من البر وعليه إسائين
وجنات وبها نواكه ممكنة وأهلها في خصب والمسل بها موجود وكذلك
السمن والزبد والبقرة والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير ومرابك الاندلس
إليها مختلفة وفي أهلها دهقنة وعزة نفس ونخوة اه وقال البكري (وهران)
مدينة حصينة ذات مياه سائحة وأرحاء ولها مسجد جامع وبني مدينة وهران
محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الاندلسيين الذين يتجمعون
مرسى وهران باتفاق منهم مع تقة وبني مسقن وهم من ازداجة وكانوا من
أصحاب القرشي (١) سنة ٢٩٠ (في آخر دولة بني رستم) فاستوطنوها (٧) أعوام
وفي سنة ٢٩٧ (لما ادبر أمر بني رستم) زحف إليها قبائل كثيرة يطالبون
أهلها بإسلام بني مسقن (٢) فخرجوا ليلا هارين واستجاروا بأزداجة وتلبوا
على مدينة وهران وخربت واضربت ناراً ثم عاد أهلها إليها بعد سنة ٢٩٨
بأمر أبي حميد دواس بن صولات () وابتدأوا في بنائها وعادت احسن

(١) أراد بالقرشي صاحب الاندلس فان ابن خلدون ذكر أن من رجال الأمويين الذين
ملكوا وهران ابن أبي عون هذا ومن معه دخلوها في هذا التاريخ وخطبوا لبني أمية
الاندلس ولعل هؤلاء جددوها تجديدا ولم ينشئوها انشاء كما يؤخذ من هنا ولا فكيف
يذكرها العلامة البنا فيما ذكره لبني رستم فامل

(٢) بنو مسقن بطن من بطون ازداجة التي هي بطن من البرانس البربر وقد رسمها
بعضهم هكذا (مسكن) بالكاف مكان القاف ولعل القبيلة المعروفة الآن ببني مسقن
في وادي ميزاب من هذا البطن وأبدل اللسان الميم ياء لظول العهد وقوله بإسلام
أي بمسالة واتحاد بني مسقن معهم على مطالبة أهل وهران وقال الضمير في قوله خرجوا
يعود إلى أهل وهران لا إلى بني مسقن كما هو ظاهر والله اعلم

ما كانت وولى عليهم داوود بن صولات الليصي محمد بن أبي عون فلم تزل
 في عمارة وزيادة الى ان وقع يعل بن محمد بن صالح اليفرنى بأزداجة في ذي
 القعدة من السنة المذكورة فبدد جمعهم وحرقت مدينة وهران ثانية وخربها
 وكذلك بقيت سنين ثم تراجع الناس اليها وينسب اليها أبو القاسم عبدالرحمن
 ابن عبد الله بن خالد الهمداني الوهراني يروي عن أبي بكر أحمد بن جعفر
 القطيبي روى عنه ابن عبد البر وأبو محمد بن حزم الحافظ الأندلسي اهـ هذا
 حالها القديم وأما بعد ذلك فقد ذكر الشيخ مقدش ان أفرنج الأندلس قد
 استولوا عليها مراراً وأخرجهم منها المسلمون قال وساعة تاريخ الكتاب سنة
 (١٢٠٧) سبع ومائتين وألف بأيدي المسلمين فتحها الأمير محمد باي أحمد
 أمراء الجزائر سنة (١٢٠٥) خمس ومائتين وألف

﴿ حالتها الحاضرة ﴾

وأما الآن أعني سنة (١٣٢٥) فهي بيد الدولة الفرنسية من الأفرنج
 تابعة لولاية الجزائر مستبصرة العمران متقدمة في التمدن الأوروبي بها من
 السكك الحديدية والانوار الكهربائية والاسلاك التلغرافية والمباني الفخيمة
 والاسواق التجارية ما يغيرها من المدن الكبيرة وهي إحدى المواني الشهيرة
 الآن * بها من تجار الاباضية بني ميزاب جماعة لهم القدح الممل في ميادين
 التجارة والله اعلم

﴿ ومنها مدينة شلف ﴾

وينهاوين مدينة • يلى • مرحلة قال ابن حوقل وهي مدينة ذات سور
 وحصن ونهر وأشجار ومزارع اهـ (ولامناقة بين هذا وبين ماسياتى من خرابها)

اذ كل في زمان وقد تكلم على شلف صاحب كتاب المعارف بما هو اوضح اذ قال وشلب أيضاً (بالباء) أو شليف على لفظ الافرنج نهر بالجرجان يسمى بالفارسية وادي شلب وهو أهم أنهر تلك البلاد وتجري القوارب فيه في قسمه الأسفل وهو مؤلف عند أعلاه من جدولين ينحدران من جبل (امور) ويسد اتحادهما يسمى وادي الطويل ويجري شرقاً الى (تاجوين) حيث استولى (دوق اومال) على معسكر (الامير) عبد القادر سنة ١٨٤٣ ثم يقطع سهل مرسو ثم ينصب اليه من ضفته اليمنى جداول تجري من جبل الناطور تتألف من ٧٠ نبعا ثم اذا وصل الى بوغر يسمى باسم شلب ويصب في البحر المتوسط بين (نيس) و (أرسوف) على ١٣ كيلو متراً من مستغانم الى الشمال الشرقي وينصب اليه قبل وصوله الى البحر جدولان آخران من ضفته اليسرى وطول مجراه (٢٦٠) كيلو متراً وتلاه (١٢) مؤلف من ارض ابليلية غير خصبة يشتمل على مدن . بوغر . وتنية الأحد . ومدينة . ومليانة . ومستغانم . وارليانقل . واسمه القديم (شينا لاف) وقيل (ازان) اه أقول ولو لم يكن **﴿ لنهرت ﴾** من الأنهر الا هذا النهر الكبير الغزير المياها لكفاها عمرانا اذ كان يفيض كما يفيض النيل وتزرع عليه انواع الحبوب والله اعلم ()

﴿ ومنها المدينة الخضراء ﴾

وقد قال فيها الحموي في تاريخه بلدة بينها وبين مليانة يوم واحد وهي مدينة جليلة كثيرة البساتين على شاطئ نهر من أخصب مدن افريقية اه ()
وأما الادريسي فقال فيها وهي مدينة صغيرة حصينة على نهر صغير عليه

(١) قال في المختار التلعة بوزن القلعة ما ارتفع من الارض وما انهبط وهو من الاضداد

حصارات متصلة وكروم وبها من السفرجل كل بديع ولها سوق وحمام
وسوقها يجتمع اليها أهل تلك الناحية اهـ

﴿ ومنها مدينة افكان ﴾

وقد قال فيها الادريسي مدينة كانت (في مدة بني رستم) لها أرجاء
(تدور بالماء) وحمامات وقصور وفواكه كثيرة وكان عليها سور تراب
لكنه الآن (في اول المائة السادسة) تهدم وبقي أثره وواديها يشقها نصفين
ويمضي منها الى ﴿ تاهرت ﴾

وقال ابن حوقل وافكان مدينة لها أرحية وحمامات وقصور وفواكه
وكانت (بعد بني رستم) ليعلى بن محمد ذات سور من تراب في غاية الارتفاع
والعرض وواديها يشقها نصفين ومنها الى (تيهرت) بالعرض الى المشرق
ثلاث مراحل وافكان على واديها أعمال عريضة وأجنة ومزارع اهـ

﴿ ومنها مدينة غزة ﴾

وقد قال الادريسي فيها * هي مدينة صغيرة القدر فيها اسواق مشهورة
مشهود لها يوم معلوم وبها حمام وديار حسنة ولها مزارع وذكرها ابن حوقل
بمثل هذا وقال وهي مدينة صالحة

﴿ ومنها سوق ابراهيم ﴾

وينها وبين غزة مرحلة واحدة وقد ذكرها ابن حوقل بقوله * وهي
مدينة أيضاً صغيرة فيها حمام وسوق وهي على نهر شلف اهـ
قال الصفاقسي ومن سوق ابراهيم الى بلدة التين مرحلة وهي بلدة
صغيرة حسنة كثيرة شجر التين جداً ويعمل بها من التين شرائح أعظم من الطوب

() وبذلك تسمى ويحمل منها الى كثير من الأقطار ومنها الى مدينة تنس
مرحلة اهـ

﴿ ومنها واريفن ﴾

وهي على مرحلة من مدينة تنس في جبال وعرة شاهقة متصلة وعلى
مرحلة أيضاً من الخضراء وقد قال فيها السفاقي قرية كبيرة (لا مدينة)
لها كروم وجنات ذوات سوان لزراع البصل والكمون ومنظمها على
نهر شلف

﴿ ومنها مدينة أوزكي ﴾

وقد ذكرها المؤرخ البنا المتقدم في مدن تهرت ثم كروها في مدن
فاس فاما ان تكون هذه غير تلك والاسم واحد واما ان يكون التكرار
اشارة الى انها تارة تتبع تهرت وتارة تتبع فاس وعلى كل حال فقد ذكرها
المؤرخون كغيرها منهم الادريسي في زعمته قال
وأما مدينة أوزكي فاتها من بلاد مسوفة ولطمة وهي اول صراقي
الصحراء ومنها الى سجلماسة ١٣ مرحلة ومنها الى نول ٧ مراحل وهذه
المدينة ليست بالكبيرة لكنها متحضرة واهلها يلبسون مقتدرات ثياب الصوف
ويسمونهم القداور () الى ان قال وتسمى هذه المدينة بالبربرية (آزي)
وبالجناوية (قوقدم) ومن اراد الدخول الى بلاد (سيلي) وتكرور وغانة
من بلاد السوداق فلا بد له من هذه المدينة اهـ

والظاهر ان هذه المدينة بعيدة ومتفصلة عن عمل تهرت المتصل بها
وكانها كانت مع هذا البعد تابعة لها كما هو واقع في ولايات كثيرة مثل جبل
نفوسة ويعبر عنها الآن بالمستعمرات والله اعلم

﴿ ومنها مدينة الغدير ﴾

قال الخوي بلد أو قرية على نصف يوم من قلعة بني حماد بالمغرب ينسب اليها عبد الله الغديري المؤدب أحد العباد اه

وقال الادريسي مدينة حسنة واهلها بدو ولهم مزارع وأرضون مباركة والحراث بها قائم الذات والاصابة في زروعها موجودة والبركات في معاملاتهم كثيرة

وقال صاحب كتاب الاستبصار المؤلف سنة ٥٨٧ هـ وهي مدينة كبيرة أزلية بين جبال قد احدثت بها واهلها نهر يجتمع من العيون في موضع دهن يخرج منه هذا النهر ويسمى نهر سهور ويمشي من هناك الى مدينة المسيلة وهو نهرها ثم قال وبقرى مدية الغدير فخص عجيسة وهو فخص مدبر كثير الزرع والضرع الا انه شديد البرد والتابع ولقد دخلت هذا الفحص في زمان الصيف فرأيت الجليد ينزل فيه بالغدو وفي اشال تلك البلاد (برد عجيسة في الصيف واما في الشتاء اسكرات الموت) اه

﴿ ومنها مدينة زلاغ ﴾

ولم نقف لها على ذكر في كتب التاريخ سوى ما ذكره صاحب الاستبصار حيث قال في (قلعة أبي جندب) وكانت مدينة كبيرة لها أسواق واهلها جنات واشجار وهي كثيرة الزرع والضرع مشحونة بالمائر متصلة المحارث والمزارع في السهول والجبال منها جبل زالغ (وقد رسمه هكذا) وهو مشرف على مدينة فاس كان فيه حصن بناء المظفر بن أبي عامر اه

﴿ ومنها مدينة يال ﴾

وهي غير بعيدة عن مدينة غزة قال الادريسي بها عيون ومياه كثيرة وفواكه وزروع وبلادها جيدة الفلاحة وزروعها نامية اه أقول وقد استقلت هذه المدينة زمنا عن تهرت وصارت دار امارة اباضية صغيرة كما سيأتي والله اعلم

﴿ ومنها مدينة قصر الفلوس ﴾

ولم يذكر المؤرخون عنها فيما رأيتاه شيئا اكثر من انها مدينة بالمغرب قرية من مدينة وهران

﴿ ومنها مدينة كرا ﴾

وقد كتبه الحازمي هكذا (كران) وقال حصن على مدينة شلف بالمغرب في بلاد البربر وذكره ابن حوقل وقال هو حصن أزلي يقال له سوق كران وبينه وبين مليانة مرحلة وبينه وبين اشير ثلاث مراحل وكتبه الشيخ مقديش هكذا (كرتاية) وقال هو حصن قديم له مزارع وأسواق وهو على نهر شلف وله سوق يوم في الجمعة يقصده بشر كثير اه وقد ذكره الحموي ورسمه كالاولين والله اعلم

﴿ زيادة ﴾

ويدخل أيضا في دائرة (تهرت) عدة مدن ذكرها المؤرخون ولم

فيه عليها العلامة البناء من نواعده أن لا يتعرض غالباً إلا للمدن الكبيرة
المشہورة

منها مدينة انكاد

ولها على تهرت ثلاث مراحل الى ناحية تلمسان قال الجوهري كانت
قديماً ذات سور من تراب في غاية الارتفاع والعرض وواديها يشقها نهران اه

منها مدينة مازونة

وهي تلي حصن فروخ في البر الى الشرق على ستة أميال من البحر قال
الادريسي فيها وهي مدينة بين أجبل وهي أسفل خندق ولها أنهار ومزارع
وبساتين وأسواق عامرة ومساكن مؤنقة واسواقها يوم معلوم يجتمع اليه أصناف
من البربر بفروب من الفواكه والألبان والسمن والعسل كثير بها وهي
من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصباً اه

منها قلعة هواة

وقد ذكرها صاحب الاستبصار على أثر غر تهرت عند ذكره
مدن الغرب الاوسط فقال هي قلعة منيعة في جبل خصيب فيه بساتين وثمار
وأشجار ومزارع وأغاب وتحتها حصن طوله نحو أربعين ميلاً يشق به نهر
سيرات ويسقي أكثر أرضه يسمى ذلك الفحص سيرات باسم النهر ونهر
سيرات نهر كبير مشهور يقع في البحر عند مدينة (ازواوا) وهي مدينة
قلعة رومية وفحص سيرات يسكنه قبائل كثيرة من البربر سطررة وغيرهم

من قبائل زناتة وزناتة تشعبت على قبائل كثيرة وبلاطم واسعة الى أن قال
وللمغرب الاوسط مدن كثيرة قد ذكرنا أكثرها في البلاد الساحلية وهي
كثيرة الخصب والزرع كثيرة النعماء والمذكور في النخبة أنها تسمى
(بالبربرية) • تاشقذالت • وأنها على جبل فيه معدن الحديد والزنثيق

• ومنها مدينة مليانة •

ولها على (تهرت) ثلاث مراحل وعلى الخضراء مرحلة واحدة وقد ذكرها
الأدريسي بقوله • وهي مدينة قديمة البناء حسنة البقعة كريمة المزارع ولها نهر
يسقي أكثر مزارعها وحدائقها وجنتاتها ولها أرحاء على نهرها المذكور (تدور
بقوة الماء) ولاقليمها حظ من سقي نهر شلف وعلى ثلاث مراحل منها وفي
جنوبها الجبل المسى بجبل وانشر يشسكنه قبائل من البربر (اباضية وغيرهم)
منها مكناسة • وأوربة • وبنو أبي خليل • وكثامة • ومطماطة • وبنو مليانة •
وبنو رتيجان • وبنو أبي خليفة • ويصلاتن • وزولات • وزواوة • ونزار •
ومططرة • ووارترين • وبنو أبي بلال • وايزكرو • وبنو أبي حكيم • وهوارة •
وطول هذا الجبل أربعة أيام وينتهي طرفه الى قرب تاهرتاه باختصار
وقال صاحب كتاب الاستبصار • مدينة مليانة قرية من مدينة اشير ()
وهي مدينة كبيرة من بنيان الروم جددتها (بعد بني رستم) زيري بن مناد أيضا
وفيه آثار قديمة وهي مدينة حصينة في سفح جبل يسمى زكار وشغار هاتين
الجبل كله ريمان وتلبعت منه عين خراة عظيمة تطحن عليها الأرحية اقوتها
ولمدينة مليانة مياه سائجة وبساتين فيها جميع الفواكه وهي من أخصب بلاد
أفريقية () وأرخصها أسعاراً ومدينة مليانة مشرفة على فحوص واسعة وفري

كبيرة عامرة ومزارع واسعة وخولها قبائل كثيرة من البربر ويشق تلك
القصص نهر شلف وهو نهر كبير مشهور وعلى نهر شلف مدينة أزلية فيها
آثار أولية تسمى شلف واليها ينسب النهر الكبير وهي اليوم خراب والله أعلم
وقد ذكرها الحموي أيضاً بمثل هذا

﴿ حالتها الحاضرة ﴾

وهي الآن ذات حضارة ومدنية من الأهمية بمكان وفيها من تجار
الاباضية بني ميزاب رجال افاضل

﴿ ومنها مدينة تاجنة ﴾

وقد ذكرها صاحب المعجم بقوله بفتح الجيم وتشديد النون مدينة
صغيرة بافريقيه بينها وبين تنس مرحلة وبين سوق ابراهيم مرحلة اهـ

﴿ ومنها مدينة أشير ﴾

قال صاحب الاستبصار بناها (أي جددتها) زيري بن مناد الصنهاجي
وتعرف بأشير زيري () وكانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة وانما بني زيري
سورها وحصنها وعمرها قليل في تلك الاقطار احسن منها وهي بين جبال
شامخة محيطة بها وداخل المدينة عيان لا يبلغ لها غور ولا يدرك لها قعر من
بناء الأوائل وبالقرب من المدينة بنيان عظيم عجيب يعرف بحراب سليمان
لم ير بنيان اعظم منه ولا احكم فيه من الرخام والاعمدة والنقوش ما يقصر
عنه الوصف والله أعلم اهـ اقول وكان تجديد هذا المذكور بعد انقضاء دولة بني

رستم وذلك لما ادعى زيري الامارة سنة ٣٢٤ وهو جد المعز بن باديس
وتملكها بعده بنو حماد وعم بنو عم باديس وقاوموا بني عمهم ملوك افريقية
المعروفين بآل باديس كما ذكر في المعجم والله اعلم
﴿ ومنها المعسكر ﴾

وتعرف اليوم بأمر عسكر وبينها وبين تاهرت مرحلة قال الادريسي
فيها هكذا *

والمعسكر قرية عظيمة لها انهار وثمار ومنها الى جبل فرحان ماراً مع
اسفله الى قرية دين الصفا وبها فواكه كثيرة وزروع ونم دارة مرحلة
ومنها الى مدينة يبل مرحلة اه

﴿ حالتها الحاضرة ﴾

القول وهي الآن (سنة ١٣٢٥) من اشهر مدن الجزائر ذات سور عظيم
جديد وأسواق حافلة واشجار متنوعة بلغت في المدينة الحديثة ما تضاهي
به المدن الشهيرة وبها من تجار الاباضية بني ميزاب جماعة لهم الاسم المحترم
في دوائر التجارة وبها في الغالب مقام قاضي محكمتهم الشرعية الحاكمة على قسم وهران
من تلك الجهات () وقد زرتها سنة (١٣١٦) في اول شهر رجب عند
رجوعي من استاذي التحرير قطب الائمة علم الاعلام شيخ الاسلام والمسلمين
أحمد بن يوسف الميزابي ومعي جماعة من ادباء وافاضل بني ميزاب وفي يوم
الاثنين الموافق ٦ من الشهر زونا محل سراق الامام يوسف بن محمد بن اقلح
الذي كان يضربه فيه عند استعراضه العساكر وجمعه الجيوش ولذلك سميت
هذه المدينة بهذا الاسم فيما يقال وهو موضع فيه بعض ارتفاع على ما يليه في
مستوى من الارض بعيد عن المدينة بمقدار ٢ كيلو متر وقد نبئت فيه

سدرة يعقد أمامها جماعة بني ميزاب عشية كل خميس غالباً مجلس قرآن
ويوزعون الصدقات على فقراء المدينة الذين يأتون اليهم هذا لك لشهرة
ذلك عندكم *

وأعراب تلك الجهة يعتقدون فيه البركة رغماً عن علمهم بأنه للاباضية
ويشهدون له بكرامات متعددة *

﴿ منها ﴾ أنهم استسقوا مراراً لقطع أصابهم فلم يستقوا ولما استسقى
فيه بنو ميزاب على الطريق المسنون لم يصلوا باب المدينة حتى ابتدأ الغيث
وكان سبيل عظيم *

﴿ ومنها ﴾ ان اعرابياً رأى والدته في المنام وقالت له لم يبق لكم مكان
لإجابة الدعاء الا مقام الامام يوسف *

﴿ ومنها ﴾ ان صبياً هجر رضاع أمه حتى توفيت هلاكه ولما ذهبت
به الى هذا المقام سألت الله شفاؤه من تلك العلة رضع في الحال هكذا
سمعت من بعضهم والله اعلم بالحقائق *

وقد رأيت في سور المدينة قبة صغيرة فعجبت من ترك الحكومة اياها
ولما سألت عنها قيل لي ان فيها ضريحاً يقال انه لولي من قدماء الاباضية ولما
عزمت الحكومة الفرنسية على هدمه عند تأسيسها للسور رأيت من كراماته
ما صدها عن ذلك فجددت القبة ورفعت السور عليها ولذلك كانت بعضها
داخل السور وبعضها خارجه كما هو مشاهد والمهدة على الخبز في ذلك وما
كتبت الا ما سمعته ولا غرابة فيه والله اعلم وأحكم

هذا ما تكلم عليه المؤرخون من المدن الداخلة في دائرة ﴿ تهرت ﴾
ايام بني رستم ولم تنف على ذكر غيرها الا أن الادريسي ذكر في نزهته

بعض مدن ومراسي متعددة فيما بين (وهران) وبين (تنس) ولعدم
الاطلاع على تواريخ تأسيسها تركت ذكرها اذ ربما تكون حديثة الوجود *
ومن تتبع التواريخ رأهم يجهلون * تاهرت * مركزاً وسطاً لتقدير
مسافات البلاد وبيان طرق المدن في الغرب كله فيقولون في المدينة او البلد
ولو كانت بعيدة * بينها وبين تهرت كذا وكذا . رحلة او ميلاً مثلاً وكأنها
اشهرتها كانت معلومة لكل احد والله اعلم

✽ العلماء المنسوبون الى تهرت ✽

وينسب اليها من العلماء والأدباء والشعراء والعباد من الإباضية وغير
الإباضية الذين اخذوا العلم بها أو نزلوها أيام بني رستم أو بعدها ما يحتاج في
حصره الى تطويل * .

✽ علماء الإباضية ✽

أما الإباضية منهم فيمدون بالآلاف ومن أراد معرفتهم فعليه بتاريخ
الشاخي رحمه الله اذ هو حضيرة الاولياء وروضة العلماء وان لم يحصرهم هو
أيضاً الا انه أتى بأغلب شاهيرهم وان لم يأت على ذلك ولم يخص له باباً * ونخص
✽ منهم ✽ بالذكرها هنا ذلك الشيخ الجليل العلامة النبيل ابا يوسف يعقوب
ابن سيلوس الطرقي السدراني رحمه الله الذي قال فيه العلامة ابو العباس كافي السير
العالم الفقيه * النطن النيه * اليقظان الذكي * الورع الزكي * ذوالجهادين
الاكبر والاصغر * والاجتهادين المصلي والدقتر * كانت قراءته على
الائمة بتاهرت قال له ابنه اوصني فقال له ما أراك تقبل فتدعه عليه ثلاثة
أيام ولما رآني جده قال له * ونعمت الوصية * لا يكن نديك الناس الى الخير
أوكد من نديك نفسك * ولا يكن غيرك اسبق الى الخير منك * .

وكن للناس كاليزان * وكالسييل للادران * وكالسماء للماء *
 وكان رحمه الله ذا رأي صائب ونصيحة مخلصه مشهوراً بالمعروف موسوماً
 بالسخاء يقصده المحتاجون فيسدد أحوالهم ويستشيره الخائرون فيحسن
 دلائهم وقد ذكر الشاخي رحمه الله أن رجلاً من أهل دمر قصده في جماعة
 يطلب منه الإعانة ولما رأى أن الكثير ربما يحجف به حيث كان القحط عاماً
 والقليل لا يجديه نفعا أمره أن يذهب إلى السوق ويستفهم عن أرخص
 شيء فيه ويرجع إليه فذهب وسأل ولما عاد قال له لم أجد أرخص من الأبل
 فأقرضه أربعة وعشرين ديناراً فاشتري بها ثلاثة جمال وأحسن مرعاها إلى
 أن تحسنت حالتها فباع جملاً منها بأمر الشيخ بأربعة وعشرين ديناراً دفعها
 للشيخ وباع آخر واشترى بثمنه ما لزمه من الطعام وغيره وحمله على الثالث
 ورجع إلى أهله على أحسن حال باحسان الشيخ وتديره وقد ولي القضاء
 بمدينة وارجلان فمدل في الحكم وأنصف في الفصل وله مصل معروف
 بإجابة الدعاء يزار رحمه الله ورضي عنه *

ومنهم * التقي الورع العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الشيخ
 قاضي الإمام أبي اليقظان *

ومنهم * ابنه العلامة أبو محمد عبد الله قاضي الإمام أبي حاتم
 وسيأتي ذكرها *

ومنهم * الخطباء الخمسة المشهورون الآتي ذكرهم في كلام ابن الصغير
 * ومنهم * الزاهد المتقشف الشيخ أبو سيمل صاحب التأليف الكثيرة
 باللغة البربرية فإنه كان أفصح أهل زمانه فيها وكان ترجمانه للإمام أفلح ثم
 الإمام يوسف ومنزله قيل بمرسى الخرز وقيل بمرسى الدجاج بجزائر بني مزغني

قال في السير قال أبو العباس الغالب من أحواله إهمال الدمع والتلف على فائت ليس له رجوع فجل هجره في مرآتي الدين وأهله والبكاء عليه بوابل الدمع وطله فدونت الدواوين من كلامه اه فكانت اثني عشر كتابا وعظا وتذكيرا وتخويفا وتاريخا لأهل الدعوة احترقت كلها لما أخذت قلعة بني درجين ففقدت كما وقع لكاتب أهل المذهب كلها والأمر لله •

• ومنهم العلامة الشير بالعدل الشيخ أبو عثمان سعد بن أبي يونس عامل الامام أفلح على قنطرار •

• ومنهم رفيقه في طلب العلم من الامام بتيهت ذلك الفهامة الذي الذي كان يضرب بحفظه المثل ثقات بن نصر الذي خل في بدئ أمره من الحق ومال وتاب في آخر عمره على ما يقال وستأتي أخباره مع الامام ان شاء الله •

• ومن شعرائها النبغاء صاحب القصيدة الآتية القائل فيها •

(سقى الله تيهت المني وسويقة يساكنها غيثا يطيب به المحل)

• ومنهم الولي الصالح الزاهد معدن العلم والعمل أبو مرداس التبرستي حامل المذهب من الامام عبد الوهاب رحمه الله صاحب المناقب والكرامات المشهورة في الكتب •

• ومنهم العلامة المشهور بالزهد والورع عيسى بن فرناس الذي ذكر ابن الصغير أنه كان يجلس أمام الامام أبي اليقظان •

(ومنهم العلامة محمود بن بكر وهو من خواص الامام أبي اليقظان أيضا وسأني كلام ابن الصغير فيه •

ومنهم المتكلم العظيم الشيخ عبد الله بن الاعملي الذي ذكره ابن الصغير

وأثنى عليه وقال الشماخي عند ذكرهما وكان الشيخان (عبد الله بن اللمطي
ومحمود بن بكر) غاية في علم الكلام وكانا يردان على الفرق وينقضان مقالات
المتبعة وألما كتبنا في ذلك اهـ

ومنهم العلامة أبو عبيدة الأعرج قال فيه الشماخي رحمه الله * وكان
غاية في العلم والعمل والورع والادب وقال فيه ابن الصغير المالكي * كلهم
مقرون له بالفضل مسلمون له في الورع اذا اختلفوا في أمر من الفقه أو
من الكلام صدروا عن رأيه وقد رأيت أنا هذا الرجل وجلست اليه فما
رأيت في أسود الرأس أخشع منه اهـ وله معه حكاية طويلة ستأتي
ومنهم الفقيه الكامل ابن المغير * والفقيه البارع عبد العزيز بن الأوز
الآتي ذكرهما في كلام ابن الصغير

عن المشكوك فيه

وأما الذين لم يتحقق مذهبهم فتهم ذلك العلامة الأديب صاحب النظم
المجيب والانشاء العريب المشهور في الشرق والغرب بين أرباب العلم والادب
(وهو اما أبيافي أو صفري على الغلب) بكر بن حماد بن سهر بن أبي
إسماعيل الزناني المتقدم الذكر القائل في حق (تيهرت)

ما أخشن البرد وريسانه وأطرف الشمس (بتاهرت)
وهو القائل مادحاً أبا العيش عيسى بن إدريس الملوي حاكم مدينة
جراوة المجاورة لتاهرت على ثلاث مراحل منها

(سائل زواغة عن طعان سيوفه * ورماحه في العارض المتحال)
(وديار نفزة كيف داس حريمها * والخليل تمرغ في الوشيع الذبل)
(غشي مفيلة بالسيوف مذلة * وسقي جراوة من نقيع الخنظل)

قال ذلك المراكشي في تاريخه وذكر أنه ولد ونشأ (بتيهرت) ورحل إلى الشرق سنة ٢١٧ وهو حدث السن (أي في دولة الامام افلح ولعله ذهب هارباً على ما يؤخذ من أبياته التي قالها يستعطف بها الامام أبا حاتم كما سيأتي) فسمع بالمشرق من العلماء والفقهاء وكان عالماً بالحديث وتميز الرجال وشاعراً مفلقاً ومدح المعتصم ووصله بصلات جزيلة واجتمع بحبيب وصريع ودعبل وعلي بن الجهم وغيرهم من شعراء العراق وله أبيات إلى المعتصم يحرصه فيها على دعبل وهي

أيهجو أمير المؤمنين ورهطه	ونمشي على الأرض المريضة دعبل
أما والذي أرسى ثبيراً مكانه	لقد كادت الدنيا لذلك تزلزل
ولكن أمير المؤمنين بفضله	يهم فيمنقو أو يقول فيفعل
فعاتبه حبيب فيه وقال له قتلته والله يا بكر فقال لي قصيدته هذه	
وعاتبني فيه حبيب وقال لي	لسانك محذور وسمك يقتل
واني وإن صرفت في الشعر منطقي	لا أنصف فيما قلت فيه وأعدل



اه

ولما عاد من المشرق قصد القير وان فوشي به إلى صاحبها فهرب وكان معه ابنه عبد الرحمن فاعترضهما في الطريق بعض اللصوص فجرحوا بكراً وقتلوا ابنه وذهب هو في طريقه إلى أن وصل (بتيهرت) كثيراً حزينا يندب ابنه عبد الرحمن هذا وكانت له فيه مرثاة كثيرة تسيل الدموع وتجرح الفؤاد لما بها من الألفاظ المؤثرة الدالة على عظيم أسفه وتلفه عليه ومنها قوله

(بكيت على الأخبة إذ تولوا • ولو أني هلكت بكوا طلياً)

(فيأنسلي بقاؤك كان ذخراً * وقدك قد كوى الأ كباد كيا)
 (كفى حزنا بأنى منك خلو * وأنتك ميت وبقيت حيا)
 (ولم أك آيساً فيشت لما * رميت التراب فوقك من يديا)
 (فليت الخلق اذ خلقوا أطاعوا * وليتك لم تكن يا بكر شيا)
 (تسر بأشهر تمضي سراعا * وتطوى في ليل اليهن طيا)
 (فلا تفرح بدنيا ليس تبتى * ولا تأسف عليها يا بنيا)
 (فقد قطع البقاء غروب شمس * ومطلعها علي يا أخيا)
 (وليس ألهم يحلوه نهار * تدور له الفرائد والثريا)
 وله في الزهد والمواعظ وذكر الموت وأحواله شر كثير وهو في قوة
 التأثير والقبول بمكان * ومن ذلك ما رواه عنه ابن الالباد وهو قوله *
 (لقد جمعت نفسي فصدت وأعرضت * وقد مرقت نفسي فطال مروءتها)
 (فيأسنى من جنح ليل يتودها * وضوء نهار لا يزال يسوقها)
 (الى مشهد لا بد لي من شهوده * ومن جرع الموت سوف اذوقها)
 (ستا كلها الديدان في باطن الثرى * وينذهب عنها طيبها وخلوفها)
 (مواطن للقصاص فيها مظالم * تؤدي الى أهل الحقوق حقوقها)
 (سحاب المنايا كل يوم مظلة * فقد هطلت حولي ولاح بروقها)
 (وللنفس حاجات تروح وتعتدي * ولكن أحاديث الزمان يعوقها)
 (تجهمت خمساً بعد سبعين حجة * ودام غروب الشمس لي وشروقها)
 (وأيدي المنايا كل يوم وليلة * اذا فتقت لا يستطاع وتوقها)
 (يصبح أنواماً على حين غفلة * ويأتيك في حين البيات طروقها)
 ومن كلامه في الاعتبار بالنظر الى القبور والتفكر فيمن مضى ممن

انشبت فيهم المنية أظفارها ما حكاه أبو بكر اللباد حيث قال دخلت على
بكر بن حماد فقال اكتب فأملى علي لنفسه قوله

(زونا منازل قوم لن يزورونا انا لفي غفلة عما يقاسونا)
(لو ينطقون لقالوا الزاد ويحكم حل الرحيل فما يرجو المقيمونا)
(الموت أحجف بالدنيا تخربها وفعلنا فعل قوم لا يموتونا)
(فالا ن فابكوا فقد حق البكاء لكم فالحاملون لعرش الله باكونا)
(ماذا عسى تنفع الدنيا مجملها لو كانت جمع فيها كنز قارونا)

اقول ولعله قال هذا لما حل ~~بجربته~~ ببلده ما حل من قضاء الله كما يفهم
من بعض كلامه عند التأمل ومن كلامه ايضاً قوله

(لقد جفت الاقلام بالخلق كلهم فمنهم شقي خائب وسعيد)
(تمر الليالي بالنفوس سريمة ويبدو ربي خلقه ويميد)
(أرى الخير في الدنيا يقل بكثرة وينقص نقصاً والحديث يزيد)
(فلو كان خيراً قل كان خير كله وأحسب ان الخير منه بعيد)

~~محمّد~~ وقال ايضاً مذكراً ولقد أحسن وأصاب ~~محمّد~~

(نف بالقبور فناد الهامدين بها من أعظم بليت منها وأجساد)
(قوم تقطعت الأسباب بينهم من الوصال وصاروا تحت اطواد)
(راحوا جميعاً على الأقدام وابتكروا فلن يروحوا ولن يعدو لهم حاد)
(والله والله لوردوا ولو نطقوا اذا لقالوا التقى من أفضل الزاد)
(فبرز القوم وامتدت عسا كرم كما يوافقوا لميقات وميعاد)
(ما بالقلوب حياة عند غفلتها والله سبحانه منها بمصراد)
(بيننا نرى المرء في لهو وفي لعب حتى نراه على نعش وأعواد)

(هذي أبا مالك دنيا منقصة فيها حرارات احشاء وأكباد)
 (وكلنا واقف منها على شفر وكلنا ظاعن بمحمدي به الحادي)
 (في كل يوم نرى نعشا نشيعه فرائح فارق الاحباب أو غاد)
 (الموت يهدم ما نبنيه من بذخ فما انتظارك يا بكمكر بن حماد)

ذكر هذا صاحب كتاب رياض النفوس *

وكان نقله من نسخة عتيقة جداً لا نقط فيها على الاصطلاح القديم مع
 رداءة الخط فلا يفهم الا بالقوة والله أعلم

وقال في احمد بن القاهم بن ادريس حاكم مدينة (كرت) بالمغرب
 (ان السماحة والمروءة والندى)

(جمعوا لأحمد بن بني القاسم)

(واذا تفاخرت القبائل واتمت)

(فانخر بفضل محمد وبفاطم)

(ويجمعن الطيار في درج الملا)

(وعلى العضب الحسام الصارم)

(اني لمشتاق اليك وانما)

(يسمو المقاب اذا سما بقوادم)

(فابعث الي بمركب أسمو به)

(علي أكون عليك اول قادم)

(واعلم بأنك لن تنال محبة)

(الا ببعض ملايس ودرام)

فبعث اليه بغلة سنية وصلة جزيلة وكان له فيه من مثل هذا كثير على

ماقاله صاحب البيان

وقد ذكره العلامة محقق المعقول والمنقول ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم
الوارجلاني رحمه الله في سلسلة حديث ساقه في كتابه الدليل والبرهان حيث
قال وروى عبد الوارث بن سفيان ويعيش بن سعيد قالوا اخبرنا قاسم بن
اصغر قال اخبرنا بكر بن حماد الخ ولم يتعرض لمذهبه
وذكر المراكشي ان وفاته كانت سنة ٢٩٦ بقلمة ابن حمة بجوفي مدينة تهرت
وهو ابن ست وتسعين سنة والله اعلم *

سحح علماء غير الاباضية

واما علماء غير الاباضية فينسب منهم الى تاهرت جماعة نذكر هاهنا بعض
المشهورين منهم نقلا عن مؤرخي افاضل المالكية فنقول
منهم العلامة زكرياء بن بكر بن احمد النسالي التاهرتي قال المؤرخ
الفرضي في تاريخ علماء الاندلس عند ذكر الغرباء لما تكلم عليه * يعرف
بابن الاشج والاشج هو احمد (والده) ويكنى ابا جعفر من أهل تهرت يكنى
ابا يحيى دخل الاندلس مع ابيه واخيه سنة ٣٢٦ الى ان قال * قال لي
ولدت بتهرت سنة ٣١٠ هـ وذكر أنه توفي في رمضان سنة ٣٩٣ وذكره
صاحب بنية المتوس وخالفه في تاريخ وفاته بخالفة فاحشة ان لم يكن تحريف
في احدي النسختين قال في صحيفة ٢٧٩ زكرياء بن بكر بن الاشج التاهرتي
توفي بقرطبة سنة ٥٢٤ والنسختان من مطبوعات الافرنج فتأمل ويمثل هذا
يتأكد على طالب الحق ان لا يبول على احوال المؤرخين فيما يحتاج الى النظر
والتدقيق الا بعد اتمام الفكر

﴿ومنه﴾ العلامة عبد الله بن حمود بن هلوب بن داوود بن سليمان ذكره المؤرخ ابن بشكوال في الصلة فقال في صحيفة ٢٩٣ يكنى أبا محمد طنجي فقيه موضعه وأصله من تاهرت اه

﴿ومنه﴾ الأديب ابن هزيمة وقد جاء قاصداً الاندلس فسمع بيت شعر لأحد علمائها فترك العبور إليها وبقي بتاهرت كما قاله صاحب البنية ﴿ومنه﴾ أبو الطيب محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبي بردة الشافعي البغدادي قال العلامة الفرضي ووصل أبو الطيب إلى الاندلس سنة (٣٦١) فأكرمه أمير المؤمنين المستنصر بالله وأمر بإجراء النزل له . إلى أن قال وكان ينسب إلى (مذهب) الاعتزال ورفع ذلك إلى السلطان فأمر بإخراجه من البلد وكان في رجب سنة (٣٧٣) فصار يبيت عند بنت له اه

﴿ومنه﴾ العلامة محمد بن عيسى بن حنين التميمي القاضي نزيل سبته ذكر العلامة ابن الأبار في معجمه بصحيفة ٩٦ أنه انتقل مع أبيه من فاس إلى سبته وأصله من ﴿تاهرت﴾ ويعرف بابن الدقاق

﴿ومنه﴾ العلامة عبد الله بن محمد بن عيسى بن حسين التميمي التاهرتي نزيل سبته ذكره ابن الأبار في الصلة منسوبة إلى ﴿تاهرت﴾ بصحيفة (٥٢٦) (ومنه) العلامة الحسن بن علي بن طريف أبو علي النحوي نزيل سبته قال ابن الأبار في المعجم بصحيفة ٧٢ يعرف بالتاهرتي روى عنه القاضي عياض

(ومنه) العلامة قاسم بن عبد الرحمن تلميذ ابن حماد نسبة المؤرخ الضبي إلى (تهرت) وقال في صحيفة (١٨٨) من البنية دخل الاندلس وكان من جلساء بكر بن حماد التاهرتي ومن أخذ عنه قاله أبو محمد بن حزم اه وذكر ابن

بشكوال في الصلة انه من اهل الحديث

﴿ ومنهم ﴾ ابنه العلامة ابو الفضل قال ابن بشكوال في الصلة ومن
الغريباء احمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي الناهري
البرزاز يكنى أبا الفضل الى أن قال مولده يوم الثلاثاء عند انصداع الفجر في
اول ربيع الاول سنة (٣٠٩) وولد (بتاهرت) الى أن قال وكانت ابوه
محدثا قال ابو الفضل بدأت بطلب العلم سنة (٣٣٤) وانا ابن (٢٥) سنة
ودخلت الاندلس سنة (٣١٧) وانا ابن ثمانية أعوام وتوفي في جمادى
الآخرة سنة « ٣٩٥ » اه وذكره الضبي في البقية أيضاً وقال توفي سنة
« ٣٩٦ » فزاد سنة على ابن بشكوال وأثنى عليه وقال وقد روي عنه ابو
عمران القاسمي موسى بن عيسى بن ابي حاج فقيه القيروان وهو روي عن منذر
ابن سعيد القاضي

﴿ ومنهم ﴾ ابن الخزاز وقد سافر الى البصرة المدينة المشهورة بالغرب
وهي من فاس على اربع مراحل فأعجب بجمال نسائها كما ذكره الحموي نقلا
من كتاب المسالك حيث قال ونساء البصرة مخصوصات بالجمال الفائق
والحسن الرائق ليس بأرض المغرب اجمل منهن قال احمد بن فتح المعروف
بابن الخزاز التبرتي يمدح ابا العيش عيسى بن ابراهيم بن القاسم
﴿ قبح الاله الدهر الا فينة ﴾

﴿ بصرية في حمرة وياض ﴾

(الخر في لحظاتها والورد في وجنتها والكشيع غير نقاض)

(في شكل مرجي ونسك مهاجر وعفاف سني وسمت اياض)

(تبهرت) أنت خلية وبرقة عوضت عنك بيمرة فاعتاض

(لا عذر للحمراء في كلني بها • أو تستفيض بأبجر وحياض)
 وسيق المرأ كشى الحكاية بسينها الا انه أتى بدلاً من صدر البيت الاول بقوله

﴿ ما حاز كل الحسن الا قينة ﴾

وأتى بدلاً من عجز البيت الثاني بقوله

﴿ وجنتها هيفاء غير مخاض ﴾

وهما أرق وألطف من الاولين فيما يظهر

﴿ ومنهم ﴾ سعد بن أشكل التيهري القائل فيما تقدم يتشوق الى مدينة

﴿ تهرت ﴾ مسقط رأسه ويهجو مدينة تنس داروفاته •

﴿ وأصبحت عن ﴾ تهرت ﴿ في دار غربة ﴾

﴿ وأسلمني مر القضاء من القدر ﴾

الى آخر الأبيات

﴿ ومنهم ﴾ العلامة السلفي قال الحموي والولجة ناحية بالمغرب من

اعمال ﴿ تاهرت ﴾ نسب اليها السبكي ابو محمد عبد الله بن منصور التاهري

قال وكان من الفضلاء في الأدب والفقه وله شعر وكتب عني من

الحديث كثيرا •

مدينة سجلماسة

ولما انتهى الكلام بقدر الامكان على ﴿ تهرت ﴾ وما نسب اليها من

البلاد وما دخل في دائرتها ابان عمراتها بالاباضية تحت سيادة بني رستم لزم

أن تأتي استطراداً بطرف مما وصف به المؤرخون مدينة سجلماسة قاعدة ملك

بني مدرار التي كان بعض ملوكها اباضية كما سيأتي وكانت عامرة بالاباضية

حافلة بعلمائهم يؤمها الادباء ورجال العلم من اطراف البلاد للاستفادة
كما يؤمون نيهرت * وقد تكلم عليها المؤرخون فقال المؤرخ الحموي (سجلهاسة)
بكر اوله وثانيه وسكون اللام وبعد الالف سين مهملة * مدينة في جنوب
المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة ايام لقاء الجنوب وهي في
منقطع جبل درن وهي في وسط رمال كرمال زرود ويتصل بها من شمالها جدد
من الارض يمر بها نهر كبير يخاض قد غرسوا عليه بساتين ونخيلاً مد البصر *
على أربعة فراسخ منها رستاق يقال له تيومتين على نهرها الجاري * فيه من
الأغصان الشديدة الحلاوة مالا يحصى فيه ستة عشر صنفاً من الثمر ما بين
عجوة ودقل وأكثر أقوات أهل سجلهاسة من الثمر وعلتهم قليلة ولنساءهم يد
صناع في غزل الصوف فمن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الأزهر
تفوق القصب الذي بمصر يبلغ ثمن الازار خمسة وثلاثين ديناراً وأكثر
كأرفع ما يكون من القصب الذي بمصر ويسلون منه غفارات يبلغ ثمنها مثل
ذلك ويصبغونه بأنواع الأصباغ وبين سجلهاسة ودرعة أربعة أيام وأهل هذه
المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالا لأنها على طريق من يريد غانة التي
هي معدن الذهب ولاهلها جراحة على دخولها * وقال الادريسي في التزمية
وأما (مدينة سجلهاسة) فمدينة كبيرة كثيرة العمر وهي مقصد للوارد
والصادر كثيرة الشجر والجنات رائقة البقاع والجهات * ولا حصن عليها وإنما
هي قصور وديار وعمارات متصلة على نهر لها كثير الماء يأتي إليها من جهة
المشرق من الصحراء يزيد في الصيف كزيادة النيل سواء ويزدريع بمائه حسبما
يزرع فلا حوم مصر ولزراعته اصابة كثيرة معلومة وفي بعض الاعوام الكثيرة
المياه المتواترة بخروج هذا النهر ينبت لهم ما حصدوه في العام السابق من

بذر وفي الاكثر من السنين اذا فاض الثمر عندهم ثم رجع يذروا على تلك الارضين زرعهم ثم حصدوه عند تنافيه وتركوا جمذوره الى العام القادم فثبتت ذلك من غير حاجة الى بذر زراعة وروحي الحوطني أن البذر بها يكون عاماً والحصاد في كل سنة الى تمام سبع سنين لكن تلك الحنطة التي تثبت من غير بذر تتغير عن حالها حتى تكون بين الحنطة والشعير وتسمى هذه الحنطة (يردن تيزواو) وبها نخل كثير وانواع من الثمر لا يشبه بعضها بعضاً وفيها الرطب المسمى بالبرني وهي خضراء جداً وحلاوتها تفوق كل حلاوة ونواها صفراء في غاية الصغر ولأهل هذه المدينة غلات القطن وغلات الكمون والكروياء والحناء ويتجهز منها الى سائر بلاد المغرب وغيرها وبناتها حسنة غير أن المخالفين في زماننا هذا أتوا على أكثرها هدماً وحرقاً انتهى

وقال العلامة المقدسي (١) سجلماسة (٢) قصبة جليلة على نهر بمزول عنها يفرغ في قبليها وهي طولانية نحو القبلة عليها سور من طين وسطها حصن يسمى المعسكر فيه الجامع ودار الامارة شديدة الحر والبرد صحيحة الهواء كثيرة الثمار والاعناب والزبيب والفواكه والحبوب والرمان والخيرات كثيرة الغرائب موافقة لهم يقصدونها من كل بلد ومع ذلك ثغر فاضل (٣) برستانها معادن الذهب والفضة وهم أهل سنة وقوم () جياذ بها علماء وعقلاء لها باب القبلي باب الغربي باب غدير الجزارين باب موقف زناتة وغيرها وهي في رمال اه

وقال صاحب المسالك ان سجلماسة مدينة عظيمة في جنوبي مدن بر المدوة متصلة بالصحرَاء الكبيرة من اكبر مدن المغرب واشهرها ذكرها

في الآفاق وعليها نهر كبير ذات قصور مشيدة وأبنية عالية وأبواب رفيعة
صحيحة الهواء المجاورة للبيداء الى أن قال وبها نخل كثير ثمرة على اصناف يحمل
منه الى عامة الغرب ويفضل ثمرة ما سواه حتى يضاهي به ثمرة العراق وثمرها
يضرب به في المغرب المثل ولها بساتين خضرة نضرة اه وكان لها أعمال
واسعة ومدن كبيرة مشهورة ذكر العلامة البشاري منها في الحجاب هذه
درعة * تاد تقوست * اثرايلا * ويلميس * حصن ابن صالح *
النحاسين * حصن السودان * هلال * إمصلي * دار الامير *
حصن برارة * الخيامات * تازروت * اه

وقد تكلم عليها المؤرخون فقال الادريسي * في درعة * (ودرعة)
ليست بمدينة يحوطها سور ولا حفير وانما هي قرى متصلة وممارات
متقاربة ومزارع كثيرة يتناول ذلك فيها جبل واخلاط من البربر وهي على
نهر سجلة النازل اليها وعابه يزرعون غلات الحناء والكمون والكروياء
والنيلج ونبات الحناء يكبر بها حتى يكون في قوام الشجر يصعدون اليه
ومنها يؤخذ بذره ويتجهز به الى كل الجهات ونبات الحناء لا يوجد بذره
الا في هذا الاقليم فقط ولا يوجد بغيره من الاقاليم البتة وأما النيلج المزروع
في درعة فليس طيبه هناك ولكنه يتصرف به في بلاد الغرب لرخصه وربما
خلط مع غيره من النيلج الطيب ويباع معه اه

وقال العلامة البناء ودرعة لها رستاق واسع ومنابر على نهر جرار نحو
ايام و (عريش) رستاق فيه منابر وسائر المدن محيطة بها في الرمال
عامرات ومعادن الفضة بتازروت ومعادن الذهب بين هذه الكورة وبلاد

السودان وليس في العالم اصفى ولا أوسع منه اه وهكذا نكلموا على غيرها
من المدن والله أعلم

وتد تلقى المأموم بسجل مائة رجال مباروا للدين حياة وللأمة هداة
فسارت بذكرهم الركبان وافنخر بوجودهم الزمان ولولم يكن منهم الا
ذلك الطود الفاخر * والبحر الزاخر * لسان الحسم * ونبراس الظلم *
الشيخ العلامة ابو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي لأغناها نفراً * كما خلد
لها ذكراً فقد رحل اليها مع العلامة النحرين استاذ ابن الجمع من علماء
اباضية الشرق وتجارها العظام *

ارتحل هذا الاستاذ من المشرق الى المغرب وقصد سجلماسة (قال
الشماخي رحمه الله وكانوا) يعني أهلها يومئذ من اهل الدعوة اه) فأقام بها
خير مرشد وأفضل استاذ حتى انتهت به محافلها وتوالت مجالسها وعمرت
بالعلوم ربوعها ثم سار الى رحمة مولاه تاركاً من تلامذته علماء واسمخين ادباء
متهذبين * منهم * ذلك الذكي الماهر الأمير ابو يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى
الذي طنى وتجبى في آخر أمره حتى استوجب براءة المسلمين منه كما سنأتى
بحكاية بعد هذا ان شاء الله * ذكر هذا صاحب السير رحمه الله نقلاً من تاريخ
أبي زكرياء رضى الله عنه وقال في صحيفة ٢٧٩ خضره (اى الاستاذ ابن الجمع)
الموت هناك (اى فى سجلماسة) وأوصى بكتبه لأبى الربيع فرجع الى
قسطالية (أى توزر ونقطة وما يليها من بلاد الجريد) واشتهر فى العلوم
واضطربت قسطالية كلها من اجله واختلف أهل سجلماسة بعد أن خرج
من عندهم فى مسألة كادوا يقتلون عليها فاتفق رأيهم على ان يرسلوا امينين
الى أبى الربيع ليعملوا بما يجيبهم به فأدركه الرسولان واجابهم فأخذوا بما قال

واصطاحوا اه و ممن اخذ عنه التفسير والفقه واللغة والفنون كافة غير علم الكلام
 ذاك الامامان النيران نحر زمانها وزهرة عصرهما ابو القاسم يزيد بن محمد
 وأبو خذر يغلي بن زلتاف رحمهما الله وسيأتي خبرهما والله اعلم

✽ عود الى المقصود بالذات ✽

هذا ولنرجع الى ما كنا بصدده من أمر الامامة بالمغرب وظهورها
 فيه فنقول (ثم اجتمع اهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء وقالوا قد علم
 ما حل بنا من الشنات والافتراق بعد وفاة امامينا ومبارحتنا طرابلس وقد
 اجمنا على انتخاب مكان غيرها يليق بمنصب الامامة ويكون ملجأ للاسلام
 واذ رزقنا والله الحمد بهذا المكان وتم تحصينه على حسب المرام وجب نصب
 امام اذ لا يستقيم امرنا ولا ينتظم شأننا ولا تجتمع كلمتنا الا بامام نرجع اليه
 في احكامنا ومشكلاتنا وينصف مظلومنا من ظالمنا ويقيم فينا ما اوجبه الله
 ورسوله من حدود الشروع الشريف ويظهر الدين ويؤمن السبل ويحقق
 الدماء ويضد قنطرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويعمل في الرعية
 ويوسع دوائر العلوم فان ذلك كله مما لا يسعنا التفريط فيه والتواني اذ كنا
 والله الفضل في درجة القيام بالامامة ولدينا من القوة عدداً وعدة وعلماً ما هو
 كاف لحايتها والدود عن حوضها مع الاعتصام بالله تعالى

فتبادلوا الرأي فيما بينهم بقلوب سليمة من داء الغش والنفاق مطهرة من
 شوائب كدورات الشقاق معطرة بذكي مسك الايمان منورة بأنوار
 الهداية والتوفيق والاذعان وذلك في القرن الثاني من الهجرة عام (١٦٠)
 ستين وقيل اثنين وستين ومائة

هو خلافة الامام عبد الرحمن رضي الله عنه

فاستقر رأيهم بعد طول مذاكرة على نصب الامام الولي اشر لواء العلم
والدين عبد الرحمن بن رستم رحمه الله لما راوه فيه من حميد الخصال ومجيد
الاعمال ولزم المسلمون على تقديمه بطرابلس لولا امتناعه ولرضاه الامام ابي
الخطاب رحمه الله عنه اذ ولاه قاضيا ثم عاملا كما صرّو قد تكلم العلامة
المؤرخ ابن الصغير المالكي المغربي في تاريخه على خلفاء بني رستم (بتبهرت)
كلما يروح الأتقى ويشفي الغليل تأتي ببعض ما وقفنا عليه منه مع الأسف
على ما فقد ولم نثر له على خبر كلما بحثنا عنه (وقال) عند ذكره لهذا الامام
الجليل مانصه (ثم نهضوا اليه بأجمعهم وقالوا يا عبد الرحمن رضيك الامام
(ابو الخطاب) في ابتدائنا ونحن الآن نرضى بك ونقدمك على انفسنا فقد
علمت انه لا يصلح امرنا الا امام نلجأ اليه في أمورنا ونحكم عنده فيما ينوب
من أسبابنا فقال لهم ان اعطيتموني عهد الله وميثاقه على الطاعة فيما وافق الحق
وطابقه قبلت ذلك منكم فاعطوه عهد الله وميثاقه على ذلك وشرطوا عليه
مثل ما شرط عليهم وقدموه على انفسهم والقوا اليه بأيديهم (قال ابن خلدون
في ١٢١ من ٦ وبايعوه بالخلافة) فسار فيهم سيرة جميلة حمداها أولهم
وآخروهم ولم ينقموا عليه في احكامه حكما ولا في سيره سيرة وسارت بذلك
الركبان الى كل البلدان وكانت له قصص حكمها عنه لا يمكن ذكرها الا
على وجهها وأن اتجرى فيها الصدق ولا احرفها عن معناها ولا ازيد فيها ولا
انقص منها اذ النقص في الخبر والزيادة فيه ليس في شيم ذوي المروآت ولا
من اخلاق ذوي الديانات وان كنا للقوم مبغضين وليسرهم كارهين اه
ثم شرع في بيان تلك القصص حسبما وعد الا أن في عباراته من التطويل

وبعض التكرار ما هو معزوف من تأليف اغلب المتقدمين فخذنا مني ايها القارئ مقتبسة من كلامه بعضا باللفظ وبعضا بالمعنى مشيرا الى ما كان بلفظه خالصا لمريم بكلمة (قال) والى ما كان باللفظ نارة وبالمعنى اخرى مع اضافة شئ نذر من كلام غيره مما له المام بالقيام بالنقطة (ممزوج) تشييطا للنفس بالتفنن في الاسلوب وطلبنا للاختصار بطرح المكرر مع كمال التحري والله على ما اتول وكيل *

❦ قال ❦

لما ولي عبدالرحمن بن رستم ما ولي من امور الناس شمر مئزره واحسن سيرته وجلس في مسجده للارملة والضعيف لا يخاف في الله لومة لائم وطار صيته في اطراف الارض شرقا وغربا حتى اتصل ذلك باخوانهم اهل البصرة وغيرها من بلاد الشرق اه فتباشروا وقالوا قد ظهر بالمغرب امام ملاء عدلا وسوف يملك الشرق وعلاء عدلا ايضا فانشطوا لامدادهم وجدوا لاعاته ورب يوم ياتي يشملكم فيه عدله ويمسك حكمه ان تقدر الله بذلك واراد بكم خيرا

❦ الاعانة الاولى من اهل المشرق لامام المغرب ❦
(امتحانا واستكشيفا لآحواله)

(ممزوج) وعند ذلك دبت فيهم الغيرة وسرى فيهم روح النشاط وتسابقوا الى البر فجمعوا أموالا عظيمة ووجهوها اليه مع تفر من ثقاتهم وقالوا لهم انهضوا بهذه الاموال حتى تردوا عاصمة امامته فاذا وجدتم الامر كما نقل الينا من حسن السيرة واقامة العدل بالكتاب والسنة واعلاء كلمة الدين

فادفعوها اليه ليستعين بها على ذلك (والا ففرقوها في فقراء المسلمين هناك) فسار القوم على بركة الله الى أن بلغوا مدينة ^{في} تيهرت ^{في} وزلوا بالمضلي الذي به قبر مصالة اليوم () فأتوا جبالهم ووضعوا أحمالهم ودخلوا من باب الصفا يسألون عن دار الامام الى ان اهتدوا اليها (وكانوا يظنون انها على شيء من المعظمة كديار ملوك الشرق) ولما وصلوها وجدوها دار زاهد ورع ووجدوا عند الباب غلاما يعجن طينا ويناوله لآخر (هو الامام) يصلح به بعض خلل فيه فسلموا على الغلام وطلبوا منه ان يستأذن لهم على الامام ويخبره بانهم رسل اخوانه المشاركة اليه فرفع الغلام رأسه نحو السطح وقد علم ان الامام سمع كلامهم فأشار اليه أن يصبر ثم قليلا فصبرهم الى أن نزل وغسل ما كان يديه من الطين وجدد الوضوء واذن لهم فدخلوا فوجدوا رجلا جالسا على جلد فوق حصير وما في البيت شيء سوى سدة ينام عليها وسيف ورمح وما اشبه ذلك من السلاح الوقتي وفرس فسلموا عليه وبلغوه سلام اخوانه فحياهم بأحسن تحية وأمر الغلام فاحضر مائدة عليها قرص سخنة وشيء من سمن وملح فهشم القرص في السمن وقال على اسم الله ادنوا وكلوا فتقدموا واكل معهم اكراماً لهم وهضموا لنفسه ثم قال ما وراءكم وما الذي جاء بكم ايها الاخوان فقالوا دعنا نخلو ببعضنا ساعة ثم نكلمك فأخلى لهم المكان وقال بعضهم لبعض يكفيننا عن السؤال عنه ما رأيناه منه مشاهدة من اصلاحه لداره بنفسه ومن طعامه ولباسه وحلية بيته فإنا الا ان نسلم له المال ولا نستشير فيه احدا ثم أقبلوا عليه وقالوا له اعزك الله بمثلنا اليك اخوانك بثلاثة اجمال من المال تقوي بها على عمالك وتصلح بها بعض شأنك (فتفضل علينا بقبولها) فقال هذه الصلاة قد حضرت

ونحن ذاهبون الى المسجد الجامع فنعلم المسلمين بما جئتم به حتى نرى رأيهم فيه فقالوا الأمر في ذلك اليك وخرجوا ولما اتوا المسجد وأدوا الفريضة نادى منادى الامام قائلاً لتذهب العامة وليتخلف من كل قبيلة وجوها فخرج عامة الناس وبقي الوجهاء وأهل الشورى وعقدوا مجلساً ثم قال للرسول اخبروا اخوانكم بسبب مجيئكم وبما اتيتهم به ولما اخبروهم استشارهم في امر المال فقالوا الرأي رأيك والأمر أمرك ولكن هذا رزق ساقه الله الينا بطوع من اخواننا وبدون سؤال منا والمناسب ان وافقتنا ان تحضره بين يديك وتجعل منه ثلثاً في الكراع وثلثاً في السلاح وثلثاً في فقراء المسلمين وضعفائهم فقال للرسول قد سمعتم رأي اخوانكم فما تقولون فقالوا سمعنا واطعنا واحضروا المال في الحال وما خرجوا من هناك حتى قسم على الوجه المذكور (وبعد ان اقامت الرسل ما اقامت من المدة بين اكرام واحترام توجهت حامدة تلك السيرة شاكرة ذلك الصنيع) وبعد وصولهم المشرق اخبروا اخوانهم بما رأوه مما أدهش عقولهم وحير افكارهم من زهد الامام واستقامته وعدله فازدادوا بذلك فرحاً واستبشاراً *

ثم شرع الامام في شراء الكراع والسلاح وتقوى بيت مال المسلمين بالذخائر الحربية ومهمات الدفاع الوقية وتقوى الضعيف واتعش الفقير وتحسنت الاحوال وسارت الركبان بأخبارهم في الآفاق ودخل الرعب كل من اتصل به خبرهم من الملوك والامراء على اختلاف مراتبهم وأنسوا من انفسهم قوة دعوتهم الى توسيع نطاق العمران والتمدد في الاقطار لتمهيد البلاد وبسط العدل وتنش روح الاخوة والاتحاد بين أفراد العباد فشرعوا في العمارات والبناء واحياء الموات وغرس البساتين وأنواع الاشجار واجراء

الانهار وسوقها من مكان الى مكان واتخاذ الملاحن عليها والمستغلات وتقتنوا
في الصنائع وتسابقوا في ميادين المعارف وفنون العلم ونصبوا لواء الأمن
والهناء وطمحت انظارهم الى اخضاع كل من ناوأم وحاد عن جادة الانصاف
من اولي الامارات الخارجة عنهم فمدوا لذلك تامين السبل وتسهيل المواصلات
وفتح ابواب التجارة حتى استمالوا الالباب وذلوا الصعاب *

هو قال *

واتتهم الوفود والرفاق من كل الامصار واقاصي الأقطار فقل احد
أن ينزل بهم من الغريباء إلا استوطن معهم وابتنى بيتا بين اظهرهم لما يراه
من رخاء البلد وحسن سيرة امامه وعدله في رعيته وامانه على نفسه وماله
حتى لا ترى دارا الا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه
لفلان القروي وهذا مسجد القرويين ومنبتهم وهذا مسجد البصريين وهذا
مسجد الكوفيين واستتمت السبل الى بلاد السودان والى جميع البلدان من
مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الامتعة والمارة زائدة والناس والتجار
من كل الأقطار قابلون اه بلفظه *

اقول ولهذا والله اعلم يوجد بالمغرب وخصوصاً بجبل نفوسة اما كن
وقبائل كثيرة تسمى باسماء اماكن في المشرق ولعلمهم اتوا في ذلك الزمن
من المشرق * والله اعلم

فمن ذلك قبيلة الجرمان الاباضية بجبل فسطو القاطنة بقريتهم المسماة بهذا
الاسم وفيها مقام ابي نوح المرساوي صاحب الكرامات الظاهرة المذكور في
تاريخ الشماخي رحمه الله

ومن ذلك الموضع المعروف بحزوي في ظاهر جبل فساطو أيضاً * ومن ذلك قبيلة طرميسة التي منها الشيخ عيسى الطرميسي العلامة المشهور في السير وهي الآن في قرية صغيرة على رأس جبل بين بلدة (جادو) (وتاردية) ومن ذلك الموضع المسمى بمجدوبة بناحية كككة وهو جبل صعب المراقي جداً بجانب جبل يفرن لناحية الشرق يتحصن فيه الثائرون على الملوك في تلك الجهات من قديم * ومن ذلك جبل غريان العامر الآن بقبائل مالكية المذهب خرجوا عن مذهب الاباضية أيام عمهم الجبل وانقطعت منهم العلماء والمرشدون وذلك في عصر الشيخ الجليل العلامة اسماعيل بن موسى الجيطالي من ناحية فساطو مؤلف كتاب القناطر وكتاب قواعد الاسلام وغيرها وكان له معهم في هذا الباب كلام * وغير هذا من الاماكن كثير لو تتبعناه لخرجنا عن موضوع كلامنا والله أعلم

❦ الاعانة الثانية من أهل المشرق لامام المغرب ❦

❦ عبد الرحمن بن رستم ❦

❦ ممزوج ❦

ثم في العام الثالث من رجوع الرسل الى البصرة اجتمعت الاباضية بالمشرق وعنصرهم بالبصرة وراسلوا من لم يمكنه الاجتماع بهم وقالوا ان اخبار التقدم في الاستقامة عن هذا الامام لازالت شائعة ومحاسنه مستفيضة وعدالته ذائعة فهو جدير بأن يكون في المغرب خلفاً عن الامام أبي بلال وأبي حمزة المختار بالمشرق فلا تذخروا عنه مالا ولا تحبسوا عنه عطاء وأعينوه بكل ما قدرتم عليه اذ بالمال (مع العلم والعدل) تشد أركان الدولة وبه يوطد عماد

الدين وبه تملو كلمة الاسلام وأهله ولكم في ذلك الشرف العاجل والثواب
الآجل *

فما كان غير بعيد حتى اجتمع عشرة أجمال ذهباً فكلفوا بتبليغها الرسل
الأولين لخبرتهم واطلاعهم على كنه الحال في تلك الاقطار حتى اذا رجعوا اليهم
اخبروهم بما رأوه من الفرق بين الحالين فساروا من (مدينة) البصرة في كنف
الله وحفظه الى أن وصلوا (مدينة تهرت) ونزلوا بمنزلهم الاول ودخلوا المدينة
فأروا هيئتها قد تبدلت ولاح عليها رونق المدنية والملك وعلت وجوه أهلها سيما
الحضارة والرفاهية وبدأت من محياهم آثار النعمة والفنى وأزينت المدينة بقصور
مشيدة ودور منظمة وأبنية مبهجة وقياب مرتفعة وأسواق مزدحمة ومساجد
متعددة بمنازل عالية وحمامات متقنة يحيط بها بساطين متنوعة ومطاحن منتصبة
على تلك الانهار الجارية واتخذ أهلها الفرش والستائر المزخرفة والخيل المسومة
(وقد مرأناها معدنها) وتنوعت الألبسة وتعددت اللغات والأزياء ورأوا
ما لم يخطر لهم ببال ولا سمعوه في مجيئهم الاول بحال من الاحوال .

وعند ذلك دار في خلدكم قائد الوم وتسلطن عليهم سوء الظن بحال
الامام فتسارعوا الى داره ليروا ما تنمير من هيئته وحاله فألقوه بأحسن
ما عرفوه به قبل ذلك من حسن المقابلة والتواضع والزهد في الدنيا مع الحزم
الكامل في ادارة شؤون الامامة وداره كما هي عليه من قبال فاطمات
خواتمهم بعض الاطمئنان الا أنهم خافوا أن يكون ذلك من ظواهر
الاورفام يخبروه بشي من شأنهم وخرجوا من عنده ليكتسبوا الحقيقة ممن يظنون
فيه الصدق والامانة في القول فلاقوا رجالا يشقون بهم ويستأنسون اليهم
فسألوه عن الاحوال فأخبروهم بحسبها وبأن الامام على ما هو مشهور به

وأكثر من ذلك من حسن السيرة والعدل في الأحكام واعتلاء شأنت
الاسلام وأهله ثم أخبروهم بما مهمهم من المال واستنصحوهم فأشاروا عليهم
بتقديمه له وقالوا لهم انا لانراه يقبله منكم وان قبله لم يصرفه الا في مواضعه
الشرعية وفي مستحقه كأول مرة فأتوا الى الامام بعد ذلك وأخبروه
بالمال وبمال من خلفوه بالمشرق من اخوانهم وما هم عليه من موالاته
وولايته والدعاء له فسر بذلك وانشرح صدره ثم سألهم عن أحوالهم من
حيث الظهور والكتبات والقوة والضعف والغنى والفقر في العامة (تلك
الامور التي هم كل حاكم سياسي وعامل غيور) فأخبروه بضد ما أراده
فاستاء لذلك ثم أمرهم بالحضور الى المسجد الجامع ليخبروا اخوانهم كأول
مرة فحضروا ونادي منادي الامام بذهاب العامة وبقاء الوجوه من العلماء
وأهل الشورى فكان ذلك كله في الحين وأمرهم باحضار المال واخبار
اخوانهم فأحضروه وأخبروهم وبأنهم سألوا اخوانهم ثم استشار جماعته في
شأنه فقالوا له الأمر في ذلك اليك فافعل مشئت فقال أما انا اذ رددتم
الأمر فيه إلي فلا أرى الا رده الى أربابه ليعينوا به ضعفاءهم وفقراءهم وما
قبلنا منهم من قبل هذا ما أتوا به الا لما بناؤنا ذلك من الحاجة اليه وأما الآن
فكنا والله الفضل خاصتنا وعامتنا وبيت مثلنا في غنى عن الاعانة وهم أحق
به منا فليتفضلوا علينا برذه ولهم منا مزيد الشكر فوافقوه كلهم على
هذا واستصحبته الرسل لما في رده من المشقة والعناء بعد المسافة فترددوا
اليه المرة بعد المرة مع من التمسوا منه المساعدة من أهل الرأي المقربين عنده
في قبوله فلم يساعدهم واذا ألحوا عليه آلى بأيمان منالطة ان لا يقبل منهم دينارا
ولا درهما ولما استئشسوا من امساكه ولوا به راجعين الى ان وصلوا البصرة .

قال

فمظم ذلك عند القوم خطر عبد الرحمن وزاد في قدره ورأوا أنه لو كان طالباً دنيا أو مؤثراً لها لرغب في الأموال فعند ذلك رغب القوم في إمامته ورأوا أنها فرض عليهم ثم لم تزل الرسل تختلف وتطلع الأخبار والبلد زائدة والعمارة في ذلك كله نامية والسيرة واحدة وقضاته مختارة وبيوت أمواله ممتلئة وأصحاب شرطته والطائفون قائمون بما يجب وأهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في أوان الطعام فيقبضون أعشارهم ويأتون أهل الشاة والبعر فيقبضون ما يجب على أهل الصدقات لا يظلمون ولا يظلمون فإذا حضر جميع ذلك صرف الطعام إلى الفقراء وييمت الشاة والبعر فإذا صارت أموال دفع منها إلى العمال بقدر ما يستحقون على عملهم ثم نظر في باقي سائر المال فإذا عرف مبلغه أمر بإحصاء من في البلد وفيما حول البلد ثم أمر بإحصاء الفقراء والمساكين فإذا علم عددهم أمر بإحصاء ما في الأهرام من الطعام ثم أمر بجميع ما بقي من مال الصدقة فاشترى منه أكسية صوف وجباب صوف وبراً وزيتاً ثم دفع في كل أهل بيت بقدر ذلك ثم ينظر إلى ما اجتمع من مال الجزية وخراج الأرضين وما أشبه ذلك فيقطع منه لنفسه ولقضاته وأصحاب شرطته والقائمين بأموره ما يكتفيهم في سنتهم ثم إن فضل فضل صرفه في مصالح المسلمين اه بلفظه

دهاء هذا الامام وحسن تصرفه مع اماره مستقلة

{ عن تهرت بعض ملوكها بأباضية }

كان هذا الامام رحمه الله ذا بصيرة وقادة * وفكرة نقادة * موقفاً في أعماله متديراً في حركاته وسكناته مراعيًا كل المراجعة بكل حذق عواقب

الامور متحرزا بمبادئها عن أواخرها شأن كل حكيم حنكته التجارب
وتواردت عليه عوامل تقلبات الدهر وأحواله حتى انه لما توفي أبو حاتم
(الامام قبله) بنوحي طرابلس سنة ١٥٥ كما مر وانتقضت تزاوة بعد
ذلك في أفريقية سنة ١٦١ وولوا عليهم صالح بن نصير (قال ابن
خلدون ودعوا الى رأيهم رأي الاباضية) وانهمزوا بعد وقائع متعددة ولم
تقم لهم قائمة تروى عبد الرحمن في الامر وثبت في الرأي فاستنتج ان
السكون والمهادنة أولى بهم وأصاح لشأنهم حتى يندمل جرحهم ويلتئم فليهم وتشتد
قوتهم وتجتمع قوام فمال الى الدعة وجنح للسلم راكنا في ذلك الى استجلاب
الخواطر واستعمال الحيلة مع المتأخين لحدوده فكاتب صاحب القيروان على
ان يكف نفسه عنه ويستقل كل بما لديه وما لديه من حيزه فتقبل منه ذلك
بكل ارتياح كما ذكره ابن خلدون اذ قال في ١١٣ من (٦) ورغب عبد
الرحمن بن رستم صاحب تاهرت سنة ١٧١ في موادة صاحب القيروان
روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب فوادعه اه ومما يمد من سياسته
وآرائه النافعة مصاهرته لمدرار بن الياس أحد ملوك سجلماسة حتى آل الامر
الى ما تستسمعه أيها القارىء ان شاء الله .

✽ خطبة رئيس الصفرية لأروى ✽

﴿كرامة الامام عبد الرحمن رحمه الله وأخبار ذلك﴾

كانت الصفرية في نواحي سجلماسة في جموع كثيرة تفوق الحصر غير
مستقلين بالامر ثم اجتمعوا على تأسيس مدينة سجلماسة فكان ذلك سنة ١٤٠
أي قبل تأسيس ﴿تاهرت﴾ بأربع سنين ودخل اكثر مكناسة المجاورة
لهم في مذهبهم ولما قوي أمرهم وتألفت كلمتهم قدموا عليهم بالبيعة عيسى

ابن يزيد ثم قتلاه وولوا أبا القاسم سمكو بن واسول وكان أباضياً كما ذكر
ابن خلدون في صحيفته ١٣٠ ثم مات سنة ١٦٧ فولوا ابنه الياس ثم خلعوه
وولوا اخاه اليسع وهو الذي شيد سور سجلماسة وحصونها وعلى عهده
استفحل أمرهم واشتد ملكهم وكان يرى في نفسه العظمة لكثرة الجنود
والاتباع وله ابن يعرف بمدرار فلم ير له كفواً للمصاهرة غير الإمام عبيد
الرحمن وكانت له ابنة تعرف بأروى نخطبها اليسع وبعد أن أظفر الإمام
العزة والامتناع مع الخاخ الخطيب أجابه الى طابه وزوجها من مدارار ابنه
ولم يصنع للمعترضين والمنكرين عليه مؤملاً ان يأتي يوم ما على أولادها ان
قدر الله بحملها وهم على مذهبه فيضمهم هو أو خلفه اليه أو تثويق علائق الوداد
بين المماكتين فلا يطرقه منهم طارق سوء ولا يأتيه من قلمهم ما يكدر
راحته أو يوجب له قلقاً أو خلا في داخلته اذ كان تحت حكمه من الصفرية
ما يمد بعشرات الألوف من المقاتلين الموصوفين بالشجاعة والبسالة كما ان
بسجلماسة من الاباضية أمثال ذلك من الفرسان الأشداء ولولا حكم القدر
بهذه المصاهرة مع قرب الجوار لكانت الحروب بينهم متوالية والفتن
متتابعة حيث يطلب كل فريق منهم الانضمام الى امام مذهبه ويظهر التظلم حقاً
أو باطلاً من مخالفته في المذهب الحاكم عليه وهذا أمر طالما سفكت به الدماء انهارا
بجمله مرید الخروج عن الطاعة ذريعة يتوصل بها الى غرضه وحسب المعتبر
شاهداً ما أجراه الافرنج في عصرنا هذا بجزيرة كريد انقاداً لاخوانهم
المسيحيين من أحكام المسلمين ومأم الآن في نسجه بمقدونيا ادعاءً بهذا الوجه
عينه غيره على بني جلدتهم وحمية دينية لا انصافاً وحقاً وبأمر هذه المصاهرة
التي دبرها الامام كفي شر ذلك كله وكانت العاقبة مستتراة ..

سجل حمل أروى بنت الامام بولدها ميمون

كان من قدر الله وقضائه ان حملت الالفه وخسن العشرة والوفاق
 التام بين الزوجين اثباتين مذهبا ومشربا المتباعدين دارا ونسبا (مدرار
 وأروى) وحملت أروى ووضعته ولدا أسماه ميمونا وكان لزوجها ولد آخر
 من البني اسمه ميمون أيضا ولما مات والد مدرار تولى هو أمر الصفرية
 سنة ٢٠٨ وتلقب بالمتنصر وطالت ولايته فكان مع الرستميين في ولده
 ومسألة باب المصاهرة ولشغفه بزوجته أروى مع مارآه في ابنها ميمون من
 الكفاءة حدثته نفسه بتسليم أمر مملكته اليه في حياته ولما أحس ابنه ميمون
 الثاني بذلك أوعز الى رؤساء الصفرية ومقنديهم بذلك فهاجوا وماجوا
 واضطربت أقوالهم واستعظموا الأمر خوفا من انضمام ملكهم الى ملك
 بني رستم ومن سيادة الاباضية عليهم في المملكتين فثار ميمون بمن تبعه من
 الصفرية على والده ونازعه الملك وكان بينها ما كان من الفتن والمقاتلات الى أن
 توفي سنة ٢٥٣ لخمس وأربعين من ملكه وأقام ميمون في الامارة الى أن مات سنة
 ٢٦٣ وولي ابنه محمد قال ابن خلدون في صحيفة ١٣١ وكان أباضيا وتوفي سنة
 ٢٧٠ ثمان من ملكه فولى البسع بن المتنصر (مدرار) الى اراقتحم عليه الشيعي
 سجلماسة سنة ٢٩٦ وقتله وولى عليها ابراهيم بن غالب المراسي الكتامي وبقي
 فيها الى أن قامت عليه أمراء سجلماسة سنة ٢٩٨ وقتلوه وولوا عليهم الفتح
 الاباضي ابن ميمون قال ابن خلدون وبانعموا الفتح بن ميمون الامير بن
 مدرار ولقبه واسول وميمون ليس هو ابن البني الذي تقدم ذكره اه فيظهر
 أنه أراد ميمون بن الرستمية اذ لا ميمون آخر لمدرار غيره قال وكان أباضيا
 وهلك قريبا من ولايته لرأس المائة الثالثة فولى أخوه احمد واستقام أمره

الى أن هجم عليه مصالة بن حيوس من طرف الشيعي فنزعه وولى مكانه
 ابن عمه المعتز فاستبد ومات سنة ٣٢١ وولى ابنه المنتصر الى ان ثار عليه
 كما قال ابن خلدون ابن عمه محمد بن الفتح (الاباضي) بن ميمون (الاباضي)
 الأمير وتقلب عليه الخ اه وذكر أن محمداً هذا رجع في آخر أمره أشعرياً
 وتقلب بالشاكر واتخذ السكة باسمه وكانت تسمى الشاكرية الى أن زحف
 اليه جوهر الكاتب في جموع كتامة وصنهاجة سنة ٣٤٧ فقر امامه تاركا
 ملكه ثم قبض عليه واخذه اسيراً الى القيروان واتقضى ملك بني مدرار
 الذي علمت ايها القارئ أن بعض ملوكه صفرية وبعضهم اباضية على ما ذكره
 مؤرخو غيرهم كما سمعته وأمامؤرخوهم فلم يترضوا لهذا الامر قط اذ لا ذكر
 لذلك في سير الشماخي رحمه الله ولا في الطبقات ولا غيره فاما ان يكونوا
 قد احدثوا احداً أو جبت البراءة منهم فاهملوا ذكرهم (ولا نظن انهم
 ارتكبوا من الموبقات اكثر مما اتاه ابو يزيد صاحب الحمار الا في خبره وقد
 ذكره كثيراً) واما ان يكونوا مذكورين في تاريخ نفوسة الكبير وغيره
 من الكتب القديمة التي لا وجود لها الآن الا بالاسم والله اعلم .

والحامل على ذكرهم هاهنا مجرد الافادة للمطالع وبيان ما آل اليه تدبير
 الامام عبد الرحمن رحمه الله وما تبع عن مصاهرته لمدرار من بث دعوته في هذه
 المائة القابضة على زمام ملك الصفرية بدون ربح ولا سنان وهذا لاشك
 مما يشهد له بطول الباع في القيام بادارة مملكته واخذ الاحتياطات لدفع كل
 طارئ يطرأ عليها * وأمر المصاهرة وقع كثيراً قديماً وحديثاً من الملوك
 لغرض التوقي من فتنة قبيلة كبيرة او سلطان آخر كما وقع للامام عبد الوهاب
 على ماسياني في كلام ابن الصغير ولتيم بن المعز بن باديس الشيعي صاحب

افريقية فانه صاهر بيته الناصر صاحب القلعة سنة ٣٧٤ على ما ذكره ابن خلدون في صحيفه ١٦٠ وانطقت نار الفتنة بينهما بسبب ذلك * وفي زماننا هذا يقع بكثرة خصوصاً عند الافرنج حتي صار أغلب ملوكهم وأمراءهم أقارب لبعضهم بعض .

وبهذا عظم اتحادهم وقتر ما كان بينهم من الخلاف وتناصروا على المسلمين وتحالفوا على محو كلمة الاسلام وأهله الذين لم تربطهم ببعضهم بعض الكلمة الشهادة وهي رابطة عند التحقيق منحلة لما تهدد به منذ ظهرت من الاختلافات المذهبية والمشاكل الاعتقادية التي صارت أساساً متيناً لا تزلله الا زمان والدهور لكل شقاق وتباين بين أفراد الجماعة الاسلامية *

ومن طالع التاريخ ورأى الوقائع الماضية التي جرت بين أهل الاسلام من عهد الصحابة بعد الخليفتين ابي بكر وعمر الى مالا يبعد عن عصرنا هذا رأى بلاريب ما يرعب قواده ويكدر صفو راحته وأغلبه ان لم نقل كله متولد من انتحال المذاهب ولو كانت لديهم آلات الحرب الحاضرة براً وبحراً لقضي أمر هذا الدين وأهله من زمان بعيد

ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك * فلو فتح أمراء الاسلام باب المصاهرة بينهم وسعوا في توحيد المذاهب لأصبحوا وكتبتهم واحدة والحق في ذلك على أعظمهم سلطاناً وأشدهم شوكة في هذا العصر أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان فانه لو صاهر الأمراء المنفصلين عن دائرة تفوذه وحكمه بينات وزرائه فضلاء عن كريماته لبادروا الى معاضدته وعضوا بنواجذهم على حبل الاتصال بعرشه وأضحوا ولا وجهة لهم

غير انتظار اشارته وفي ذلك مما يهيم العالم بأسره ويزلزل دعائم السياسة مالا
يخفى على الناقد البصير .

وكان الامام بالشرق في عاصمة عمان ذلك الوقت الامام الوارث وذكر
أبو زكرياء رحمه الله ان في مدة الامام عبد الرحمن توفي أمام المذهب الكبير
أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة البصري رضي الله عنه والصحيح ما سنده
بعد ان شاء الله .

... وكان رحمه الله مشهوراً بالعلم معدوداً من فحول العلماء الراسخين له
تفسير جليل القدر تكلم عليه المؤرخون ولا وجود له الان * وله ديوان
خطب نفيسة ذكر العلامة الوارجلاني رحمه الله أنه رأى * وله رسائل متعددة
وجوابات كثيرة مفيدة في فنون من العلم بعضها موجود وبعضها مفقود
وبالجملة فقد كانت مدة هذا الامام بالمغرب أيام سكون وراحة وعدل لا حرب
ولا شقاق وكان محبوباً عند الجميع مهيباً مطاع الاوامر والنواهي .

— وفاته —

(قال) فلم تزل أموره كذلك وعلى ذلك والكلمة واحدة والدعوة
مجتمعة ولا خارج يخرج عنه ولا طاعن يطعن عليه الى أن اخترمته منيته
وانقضت أيام مدته وكنت قد وقفت على عدد امارته كم كانت ولكن نسيها
مع مرور الايام وكان قد نشأ له في أيامه ولد يعرف بعبد الوهاب وكان محمود
الافعال وكان قد رشحه لقيام بعده فلما انقضت أيامه صيرت الاباضية اليه
الامر بعده اه

أقول ولما أيقن رحمه الله بدنو الاجل وانقضاء العمر وأيس من الحياة
تأسى بأمر المؤمنين تأتي الخليفين صر بن الخطاب رضي الله عنه واقتنى أثره

اعتناء بشأن الاسلام والمسلمين فجعل الامامة شورى بين سبعة رجال ممن
 تفرس فيهم الصلاح لتلقيها بما أحرزوه من كمال الاقتدار وبما علمه فيهم من
 التضلع في العلوم مع التقوى والورع * وهم ولده المهام العلامة المقدام عبد
 الوهاب * والعلامة مسعود الاندلسي ذلك الرجل الفاضل البارع في الفقه
 وغيره الشهير بالورع * والعلامة أبو قدامة يزيد بن فندين اليفرني * والعلامة
 عمران بن مروان الاندلسي * والعلامة أبو الموفق سعدوس بن عطية * والعلامة
 شكر بن صالح الكتامي * والعلامة مصعب بن سديمان..

ولما ختمت أفعاله رحمه الله وسيقت روحه الطيبة الى حيث أراد بارئها
 من مواقع التمتع ان شاء الله شيع البسامون جنازته ودفنوه وولوا وأعينهم
 تفيض من الدمع حزناً وأفتدتهم ترجف فرحاً * وكانت خلافته أحد عشر
 عاماً لا أربعين كما قيل ولا سبعة كما قاله المراكشي وسيأتي وجه ذلك * ثم اجتمع
 أهل الشورى منهم والصالحون للنظر فيمن يولونه الامر بعده * ولشدة تحريمهم
 رحمهم الله لم يقصدوا بها أحداً الا وتبرأ منها ودفعا علماً بمخرج موقفها وبقي الامر
 كذلك موقفاً نحو شهر كامل لم يثبت لهم فيها قرار ولم يستقر لهم رأي الا ان
 امامة الناس ميلا زائداً الى اثنين من السبعة المذكورين وهما الامام عبد الوهاب
 والعلامة مسعود الاندلسي فبعض يريد هذا وبعض يرغب في ذلك ثم مال الكل
 الى مسعود وقاموا لمبايعته وفي حين ما أدركه الخبر اختفى فراراً من الوقوع فيها
 واذ لم يجدوه أصرضوا عنه وابتدروا عبد الوهاب لمبايعته ولما سمع مسعود
 بذلك خرج الى مجتمع الناس ليكون في مقدمة المبايعين منهم وكان فيهم يزيد
 ابن فندين وقد أدركه من الغيرة ما لم يستطع إخفاؤه اذ لم يرغب فيه أحد ولما
 رأى أنه لا حظ له في الإمامة اشتدت رغبته في تولية عبد الوهاب رجاء أن

يدرك في ظله بعض المناصب العالية وان يقلد مهم الأمور اعتماداً على علاقة النسب التي بينهما لما أنه من أخوال عبد الوهاب فان والدته عبد الوهاب كانت يفرنية الا أن لعل له هو ومن معه بما انطوت عليه بواطنهم من المقاصد السيئة أيقنوا بأن عبد الوهاب على ما هو معروف به من الشدة في الحق والصلابة في الدين لا يدع لهم مجالاً يلفنون به أمانيتهم ولو أدركوا من المنزلة عنده ما أدركوا * ولما وقف الكل بين يدي عبد الوهاب قام ابن فندين خطيباً فقال انا تقدم لك يعبداً عبد الوهاب على شرط واحد وهو أن لا تقطع أمراً دون اتفاق جماعة معلومة معك عليه راجياً أن يكون هو من المتخمين في ذلك المجلس (وبمثل هذا المطلب ينادي الحزب المسمى بالاحرار من الترك وغيرهم من أهالي الدول ذات الحكم المطلق في هذا الزمان) فوقف مسعود وأجابه قائلاً على طريق الإنكار * ماسمعنا بهذا وما علمنا أن في الإمامة شرطاً غير أن يحكم الامام بكتاب الله وسنة رسوله وآثار الصالحين أهل الحق والصدق ممن تقدم فسكت يزيد تاركاً ذكر الشرط وأجمع هو ومن معه من المسلمين على البيعة .

✽ خلافة الامام عبد الوهاب رحمه الله ✽

✽ وكناه المراكشي بأبي الوارث ولم نره لغيره ✽

فقام مسعود الى الامام عبد الوهاب وبايعه ثم بعثه الحاضرون وحملوه الى دار الإمامة في موكب حافل غصت به طرق المدينة ومناهجها وهناك تمت البيعة العامة وامتلاً الناس فرحاً وسروراً وسكن بعض ما كان بهم من الجزع على والده اذ حل هو في محله ورجوا سعادة مستقبلهم وذلك في صدر عشرة السبعين بعد المائة تقريباً اذ لم تقف على ما يوجب اليقين في ذلك كل

بحسب ما غير انا علمنا أن تولية الامام عبد الرحمن كانت سنة ١٦٠ وانه في سنة ١٧١ عاهد صاحب القيروان كما مر غير بعيد وعلمنا أن الامام عبد الوهاب كان راسخ القدم في الامامة في تلك السنة نفسها أعني سنة ١٧١ أيضا على ما ذكره ابن خلدون حيث قال في صحيفة ١٩٤ من الجزء ٤ ورغب يعني زوحا صاحب القيروان في مواعدة عبد الوهاب بن رستم وكان من الوهبة فوادعه اه ولم نثر على ما يحقق وجود عبد الوهاب في الامامة قبل هذا التاريخ ولا على ما ثبت وجود عبد الرحمن بعده فالمواعدتان وقعتا في سنة واحدة كما رأيت فاما أن تكون الاولى وقعت مع عبد الرحمن مباشرة والثانية مع عبد الوهاب بالنيابة عن والده وهذا مما لا معنى له لاختلاف الطالبين لها واما أن يكون عبد الرحمن طالب المعاهدة ووقعت وعلى اثرها توفي فطلب روح تجديدها من عبد الوهاب توقيا منه لما شرب به من علو الهمة والشدة فساعفه عبد الوهاب جزاء لما ساعف به والده من قبل وما جزاء الاحسان الا الاحسان وهذا هو المناسب والله اعلم فليحرر

فقام رضي الله عنه بالعدل احسن قيام واجرى الامور على احمد وجه وأتقن نظام فظهر ما انطوت عليه خلقه السليمة وانقاسه الكريمة الى عالم الظهور من الآثار الشريفة والمقاصد الخيرية والبسالة الكاملة والانعامات الشاملة وأرسل في اطراف مملكته ودواخلها اوامره الشديدة بامثال الاوامر واجتناب الاناهي الشرعية ورتب العمال والحكام والقضاة ورجال الشرطة في سائر انحاء اتباعه فعملهم عدله وشملهم حكمه ولم ينقم عليه احد شيئا في احكامه وسيرته الى ان حدث خروج ابن قندين عنه

مخرج خروج ابن قندين عن طاعة الامام

لما رأى ابن قندين ما عليه الامام من الحزم وتنقية ارباب الخبرة والعفة والاستقامة في تعيين الموظفين ولم يبلغ هو ما كان يؤمله من التقديم ونيل بعض المناصب لم يطلق صبرا على ذلك وأظهر الانكار على الامام في توليته لبعض من كان يرى انهم لا ينالون مع وجوده شيئا وقال ان هؤلاء الذين ولاهم الامور ليسوا بأحسن منا سيرة ولا اقوى منا اقتدارا على اشغال الدولة وتدير امر الرعية بل نحن اولي بالتقديم اذ كنا نحن السبب في اخذ البيعة له وغير هذا من الكلام الذي لم يصب من الناس كافة اذنا صاغية ولم يستمل به قلب أحد ولما علم ان ذلك لا يجديه نفعا قام مطالب بالشرط الذي تكلم به أولا (بحاس الشورى باصطلاحنا تقريبا) وتدرج بذلك الى انكار الامامة قائلا انا قد شرطنا عليه أن لا ينهي أمرا دون موافقة جماعة عليه وهما هو قد استقل برأيه ولم يشارك أحدا في شيء ونبذ الشرط ورائه ظهريا فطاعته غير واجبة علينا لفسخه البيعة بتركه الشرط ثم زاد تدرجا في دركات الشقاق واعلن بفساد البيعة من مبدئها بدعوى ان في المسلمين (الاباضية) من هو أكثر منه فهما وأغزر علما وأوسع ادراكا وفكرا فلا يجوز تقديمه ولا البيعة له ما داموا موجودين وطلق ينشر هذه الاقوال في المجامع والمنتديات حتى استمال لفيضا من الناس ممن كانوا على شاكلته في المقصد والطبع واكثروا التجوى والاجتماع والدخول الى المدينة والخروج منها الى المنازل والجبال جماعات يتلو بعضها بعضا قصدا لاثارة الفتنة وتشويشها لخواطر العامة وارهابا لنفوس رعاع الناس فأبلغهم الامام النهي عن ذلك وحذرهم سوء العاقبة ان لم ينتهوا فقالوا للمرسل اليهم من طرف الامام

هذه مدينتنا وتلك منازلنا فان عصينا في الدخول والخروج اليها فليخبرنا
الامام بوجه ذلك فاعرض عنهم وتركهم وشأنهم مع مراقبة حركاتهم
وسكناتهم بالتدقيق التام بواسطة الامناء (البوليس السري في اصلاحنا الآن)
﴿ تدير مكيدة لقتل الامام ﴾

ولما رأى ابن قندين ومن معه خيبة مساعيمهم وتحققوا عدم نجاحها وانيلها
بنتيجة تضمن لهم حصول أموالهم فكروا فيمن تقدمهم من الثائرين على
الملوك والخلفاء فوجدوهم لم يظفروا بشيء مما كانوا يحاولونه الا بالقتل فلجوا
أعنة أفكارهم الى تدير مكيدة يتوصلون بها الى القتل بالامام والقدرة به
ولاشدة تحفظه رحمه الله وأخذوا الحذر من نفسه بما ارتسم في صحيفة ذهنه مما
درسه في وقائع المتقدمين ووقف عليه في اخبارهم من قتل الملوك في الطرقات
والقدر بالخلفاء في المساجد حيث كانوا بسطاء الحالة لم يجدوا له سبيلا ثم بعد
استمالمهم الجهد في التفكير ضلوا الى مكيدة لو لم يعارضها القدر فذهبت
أدراج الرياح وردت عليهم لكائنات القاضية على الامام والمصيبة العظيمة
على المسلمين *

وذلك ان الامام كان له بيت خصصه لنفسه فيه ما يحتاج اليه من
كتبه يخلفه للمطالعة والتهجد بالليل على ما يؤخذ من كتب السير فاتفق
القوم على ان يجعلوا رجلا بسلاحه في صندوق ذي قفل من داخله ويحمله
اثنان منهم ممن لا رية فيهم الى الامام ويظهران له انهما متارعان فيه ويطلبان
منه حفظه على وجه الامانة حتى يعودا اليه وكانهم علموا انه اذ قبله لا يضعه
الا في ذلك المحل المخصوص به محافظة على الامانة وحرصاً عليها فيخرج
صاحبهم من صندوقه في الليل ويقتله اذا علم انه نام فاتفقوا على هذا الرأي

وتيقنوا بنجاحه وقاموا لانجازه على نحو ما ذكر فزجوا صاحبهم بطلب ورغبة منه في صندوق مصيبتة متقلداً سيفه وهو لا يعلم انه وقع في هوة هلاكه * واتفقوا معه على انه اذا قتله يذهب الى المنارة ويؤذن فيها ليعلموا بتمام مرادهم فيهاجموا المدينة ويحتلوا في ذلك الليل دار الامارة ويتمكنوا من الحصون والنقط الحربية من سور المدينة وغيره مما لا حرس فيه . ولما أتوا به الى الامام أجاب طلبهم وأمرهم بحمله الى المحل المخصوص ولا يخط حركاتهم عند حمله فرائى فيهم من الرفق بالصندوق مادله على ان مافي جوفه انسان وأدرك بفطنته الوقادة في الحال أن المسئلة لا تخلو من كيدة غريبة فوضعه في المكان وذهبوا مستبشرين فرحين بما توقعوا اليه من الرأي .

فأقبل الامام على الصندوق وتأمل فيه ملياً وجسه من جهاته الاربع فلم يجد له قفلاً من خارج فازداد يقيناً فيما فهمه أولاً . ولما جن عليه الليل قضى بما يجب عليه من أمور البيت ثم عكف حسب عادته على مطالعة الكتب جانباً من الليل ولما حان وقت النوم عمد الى زق (قرية) ونفخ فيه حتى امتلأ هواء وربطه وربطاً خفيفاً بحيث يخرج منه نفس خفيف ذو حس كنفس النائم ووضع في احدى زوايا البيت وغطاه برداء أبيض ليرى في الظلام وأوقد قنديلاً في زاوية أخرى وغطاه بوعاء يحجب ضوءه عن الناظر وتنحى لجانب من البيت لحياء بقية ليله بالصلاة والاستغفار ولما أحس صاحب الصندوق بعدم وجود القنديل وسكون حركة الامام ظن انه نام ففتح الصندوق برفق وخرج وسيفه في يده ووقف مصغياً الى ان سمع النفس من القربة وتمخيل بياض الثوب في تلك الظلمة فظن انها

الامام فحمل عليها حملة الابطال وقدها نصفين وعند ذلك كشف الامام
الغطاء عن القنديل فبهت الآخر وأحركه الفشل وسقط في يديه فبادره
الامام بسيفه البتار وقده نصفين أيضاً وضعه في ثوبه وردّه في صندوقه حفرة
الخداع وبيت الخيانة وأتم بقية ليله بالذكر والصلاة حامداً لربه على ما وفقه
اليه من التنبيه لهذه المكيدة ولعمري انها لمن أعظم المكائد لو صادفت
المرمى وانها لأشبه شيء بحكاية الزباء وهي من أقوى الدلائل على ما كان
لهذا الامام من الاتباه والذكاء المفرط *

ولما أصبح الله بالصباح ولم يقع بالمنارة أذان وقد قضى القوم ليلتهم في
سهر تساءلوا فيما بينهم عن صاحبهم وقالوا اما انه لم يفعل شيئاً واما ان يكون
قد دارت عليه الدائرة وقتل ثم اتفقوا على الذهاب الى الامام لاختصاصه الصندوق
بدعوى انهم أصابحوا ولم يبق بينهم في شأنه نزاع ولما أتوه قابلهم بكل بشاشة
بحيث لم يفهموا منه مما كان له مع صاحبهم شيئاً وهذا لعمري الحق أيضاً من
الثبات الذي لا يطيقه الا أمثال هذا العظيم القلب واذا سألوهم رد الصندوق
قال لهم هو في مكانه الذي وضعتوه فيه لم يتحول فخذوه ولما حملوه وذهبوا
به الى مأمئهم وفتحوه وجدوا صاحبهم ملفوفاً في ثيابه مخضباً بدمائه وقد
صدق عليه قولهم *

(من حفر حفرة سوء لأخيه المسلم أوقعه الله فيها)

وعندئذ توقعوا فتك الامام بهم فخرجوا من المدينة وأعلنوا أنصارهم
بالتأهب للحرب وصاروا يردون الى المدينة بالسلاح في جموع مع اظهار الشدة
فكرر لهم الامام النهي عن ذلك بواسطة بعض خواص دولته فقالوا ما في
امساك السلاح معصية ولا في حمله من باس والمؤمن بسلاحه وان رأي

الامام ان في ذلك معصية فليقمنا بالحجة فتركهم وشأنهم أيضاً وأمر أهل المدينة بأخذ الحذر بحمل السلاح مثلهم وبالاستعداد للحرب عند مجرد الإشارة منه فازداد الناس خوفاً واشتدت وطأة الثأرين واكثروا من التمدي حتى فتحوا مع الامام باب الحرب وكانت وقائع متعددة سفك فيها من الدماء ما اضطربه الامام والمسلمون معه الى طاب المدة ووضع أوزار الحرب حقنا للدماء الى ان يكتبوا لآخواتهم المشاركة بايضاح القضية وتفصيلها ويعود اليهم الجواب منهم بتخطئة الخطي وتصويب المصيب من الفريقين فقمع الطرفان بهذا الرأي وأذعنوا للسلم وكتبوا الكتب على نحو ما اتفقوا عليه من حكاية الواقع (وبكل أسف لم نثر على شيء من هذه الكتب قط مع طول البحث عنها) ووجهوها مع امناء مخصوصين ليعرضوها على علماء أباضية الشرق ورجالهم بمصر والحجاز واليمن والبصرة وعمان وخراسان وغير ذلك من بلاد الشرق العاصرة بهم *

ولما وصل الرسل مصر قصدوا العلامة أبا المعروف شعيباً ومن معه وأخبروهم بما كان من وفاة الامام عبد الرحمن ومبايعة عبد الوهاب وخروج ابن فندين وادعائه الشرط في الامامة وغير ذلك مما وقع كله وتوجهوا الى مكة المكرمة وكان بها يومئذ من معتبري علماء الاباضية ورجالهم ذلك العلامة الجليل المحدث المشهود له بالورع المقدم في الفتوى والمرجع في الرأي عند المشاركة كافة أبو عمرو الربيع بن حبيب صاحب كتاب المسند في الحديث والعلامة أبو غسان مخلد بن المعمر النسابي والعلامة وائل بن أيوب وغيرهم من رجال العلم والدين فدفعوا لهم الكتاب وبنوا لهم مشافهة ما استفهموا عنه وانتظروا الجواب

— جواب علماء المشاركة الى المغاربة —

فجمع الرقيم رحمه الله خيار المسلمين وعلمائهم والوجوه من أهل الفضل
والصلاح وطرح الكتب في المجلس وبمد مطالعتها وفهم معانيها وادراك روح
القصد منها أجمع رأيهم على رد الجواب بما اقتضته قواعد الشرع العزيز وميزانه
الحكم ولم يألوا جهداً في النصيحة وبيان الحق فجازاهم الله عن الاسلام
وأهله خيراً وهذا نص ما كتبوه بالحرف الواحد *

— بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبيئنا محمد وآله الطاهرين —
* اما بعد * فقد بلغنا يا اخواننا ما كان قبلكم وفهمنا ما كاتبتمونا به *
اما ما كتبتم به من أمر الشرط * فليس من سيرة المسلمين ان يجعلوا الشرط
في الامامة ان لا يقضي أمراً دون جماعة *

* ولو صح في الامامة شرط لما أقيم لله حق ولا حد ولمطالت الحدود
وبطلت الاحكام وضاع الحق * على ان الامام اذا قدم اليه سارق فلا يعيب
ان يقيم عليه حداً فيقطع يده حتى تحضر الجماعة التي ذكرنا أو زني أحد فلا
يرجم ولا يجلد حتى تحضر أيضاً ولا يجاهد الامام عدواً ولا ينهي عن فساد
الا بحضرة الجماعة المعلومة والجماعة يتعذر اتقادها * فالامامة صحيحة
والشرط باطل *

واما ما ذكرتم من تولية رجل من المسلمين اذا كان فيهم من هو أعلم
منه * فذلك جائز اذا كان الثاني من القناعة والفضل بمنزلة حسنة * فقد ولي
أبو بكر الصديق رضي الله عنه * وزيد بن ثابت أقرض منه * وعلي ابن أبي
طالب أقرض منه * ومعاذ بن جبل أعلم منه * وهذا ليس فيه اختلاف لقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرضكم زيد وأقرضكم علي وأقرضكم أي واعلم

أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل وقوله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل
سيد العلماء سيحشر غداً يوم القيامة امام العلماء وعليكم السلام ورحمة الله
وبركاته اهـ

ثم ألقى العلامة محمد الكتاب الى العلامة عبد الله بن محمد بن مسلمة
وأمره بنقل نسخة منه وحفظها لتكون حجة للمسلمين بعدهم في مثل هذه
الحادثة والله أعلم

✽ ارتحال شعيب من مصر الى تيهرت طمعاً في الامامة ✽
هذا ما كان من أمر الرسل مع علماء الحجاز واما العلامة شعيب المصري
فانه لما أخبرته الرسل مع من معه بمصر من العلماء بما صدر من ابن فندي من
شق عصا الطاعة ومفارقة الامام هزته شنشنة الطمع في الامامة وسوات له نفسه
مالم يكن له أهلاً فعزم على التوجه الى (تيهت) ولما سمع من في مصر من
عقلاء وعلماء الاباضية ورجالهم وكانوا أهل فضل وورع نهوه عن السفر الى
المغرب وقالوا له لا يسوغ لك الذهاب الى قطر فيه من الاختلاف والشقاق
بين الامام ورعيته ماسمته ووعيت تفصيله وان كان ولا بد فالزم مكانك
حتى تنفرج أزمة هذه الحوادث وينحسم الاشكال ويزول الاختلاف ثم
ان شئت الزيارة فاذهب في أمان سالماً من التهمة فلم يقنع برأيهم وكانه
أظهر للعلماء أنه يريد بذهابه الى المغرب اصلاح ذات البين (وما هو الا من
المفسدين) اذ جعل الامامة نصب غيبه ورآى ان حصولها له أقرب اليه
من جنبيه وما ذلك الا غرور وغلط وجهل بمقام الامامة فهي بعيدة عنه
بعد ما بين المشرق والمغرب ومصر وتيهت لو تأمل.

ثم انه خلا ببعض خواصه وأصدقائه منهم الرجل المعروف بالمتوكل

وكشف لهم عن خفي سره واستشارهم فيه وأظهر لهم من وجوه التحسين
وضروب الترغيب ما أخذ بمجامع قلوبهم ومنافعهم بما جعلهم على مساعفته
وتصويب رأيه .

فخرج بهم في اليل من مصر وطلق يمسح الارض مواصلاً الليل
بالنهار رغبة في دخول تهرت قبل رجوع الرسل من المشرق قبلتها يوم
العشرين من خروجه من مصر وقد أضنى السير رواحلهم وكأنها من الهجين
الذي يطوي مراحل في يوم ويعرف عند بعض القبائل بالمهري والافان المسافة
بعيدة جداً لا تقطع بالسير العادي الا في اضافة هذه المدة .

وقبل ان يجتمع بأصحابه استأذن على الامام لتقديم الزيارة فأذن له
وقال له بما يجب من الاكرام والاحترام اذ كان من مشاهير العلماء ورجال
المذهب ولم يخطر له انه انطوى على نية سوء وفساد لما عرف به قبل ذلك
من حسن الحال وبعد السلام والسؤال عن الاحوال الشرقية سأله الجواب
عن المسئلتين المختلف فيهما وامامه بما عليه الامام من غزارة العلم والاطلاع
لم يمكنه الا أن يجيب بما هو الحق طبقاً لما أجاب به الربيع ومن معه وهو
أن الامامة صحيحة والشرط باطل وأن امامة من استكمل أوصاف الامام
جائزة ولو كان في المسلمين من هو أعلم منه .

﴿اجتماع شعيب بابن فندين وخروجهما عن الطاعة﴾

ثم خرج وذهب الى ابن فندين وأصحابه فأظهروا له الاستبشار بقدمه
وبالفوا في اكرامه واحترامه وأكثروا التودد له والخضوع بين يديه حتى
طمع في الامر ورجا نيل ما كان يؤمله الا انه ندم كل التدم على ما أجاب
به الامام في المسئلتين واغراء لابن فندين واستماله له بالغ في الرضاء عنه

وفي تخطيطه الامام ووازره على رأيه ورأي جماعته وتداعوا الى الاجتماع خارج المدينة فخرج اليهم كل من كان على رأيهم واجتمعوا بكديّة غير بعيدة عنها واتفقوا على انكار امامة عبد الوهاب والسمي في نزع السلطة من يده وعولوا على الحرب الا انهم لم يجمعوا رأيا على تقديم واحد منهم باسم امام ولو مؤقتا الا ما كان من تقدم ابن فندين في الرأي لا غير ولما لم يدرك شعيب من هذا الحال نتيجة ولم ينل شيئا مما كان يمني به نفسه وأصحابه الذين أتى بهم معه من مصر ضاق صدره وخاف ان يكون من المذبذبين لا الى جهة الامام لما ظهر منه من موازنة ابن فندين ولا الى جهة ابن فندين لما صدر منه من الجواب للامام في المسائلين بمحضر من الناس وخاف رجوع الرسل من المشرق بتخطيطه ابن فندين وحزبه وهو منهم فتقوم عليهم الحاجة ويفارقهم كل عاقل ممن استفلوه واتيهم على غير هدى وبصيرة.

فقال لابن فندين ما الذي تنتظرونه من القوم وقد أظهرتم انكار الامامة وشهزت عنكم وما لكم في رسل الشرق وكتبه من تقع فناوشوم الحرب اهلكم تنصرون فلا تمود الرسل الا وانتم قد توليتم الامور وصفت لكم الولاية وارفع النزاع.

فأجابوه الى ذلك وهيثوا اتقسم وتفقداوا أسلحتهم وجعلوا ينتظرون غرة الوثوب على المدينة على حين غفلة من أهله الى ان صادفوا خروج الامام لبعض ما رآه بعيدة عن المدينة فزحفوا بجيشهم ونارت الصيحة الى المدينة وكان أفلح فيها عند أخيه قد ظفرت له أحد شقي شعر رأسه فقام قبل ان تتم له الشق الآخر وتقلد سيفه وقد اشتد غيظه وزفرت نيران غضبه على الثارين وكان عظيم البنية قويا شديدا واقضى أثره أهل المدينة

مساحين وتلاقى الفريقان لدى بابها فوقف أفلح على العتبة مدافعاً وانسلخت
رجله الى العرقوب ولم يشر بها وصارت الابطال تتوارد عليه وهو يناضل
بسيفه متقياً بدركته الى ان ابادتها السيوف ولم يبق بها ما يصلح للتوقي به
فاختطف احدي دفتي باب المدينة بيده وصار يتقي بها وكان ممن أثقل كاهله
بشدة البأس والقوة من مقابليه ابن فندين نفسه فلولى عنان الطرف اليه
وقصده وهو يسوق الناس ميمنة وميسرة وعلى رأسه يضتان وضربه على
قمة رأسه فشقه مع البيضتين نصفين وصوب معه السيف الى ان نشب في
الباب فحس أفلح عند ذلك زلزلة واضطراباً في يده لم يعدهما قبل ذلك
فظن ان ذلك من صلابة رأس ابن فندين فقال ما أقوى رأسك يا بربرسيه
يا مشوم ولما خر صريعاً وراه قومه بين القتلى ولو آمنهم من وقد مات منهم
بشر لا يقل عن اثني عشر ألفاً سالت بدمائهم البطاح وتلطخت بها
الابواب ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم .

فيا ليت الامام كفى المؤمنين غناه الحرب بتسكين هذا الرجل من
أول الامر ولو بأدنى وظيفة من وظائف الدولة حيث كان قيامه وخروجه
انما هو لمجرد ذلك على ما صرح به حسب ما صر ولكن القضاء المبرم غالب
وما تشاءون الا ان يشاء الله .

ولما افرق الجيشان قصد جمهور من أهل المدينة الى رد دفعة بابها في مكانه
فلم يقدروا فقالوا لا فلاح لهم لترد ما نزعنا فقال ردوا على ذلك النبط الذي
كان بي اوان نزعته حتى أردته والا فاننا الآن كواحد منكم فتعاونوا عليه
ورددوه كما كان .

ثم عاد الامام من سفره ووجد القتلى في أماكنها والناس على أثر حرب
مهولة في رعب وانزعاج فاستغرب السبب وسأل عنه فأخبر بالواقع فأمر
بجمع قتلى الفريقين وصفت صفوفاً وصلى على الجميع صلاة الجنائز تطيبها
لنفوس بقية أتباع ابن فندين وتأنيساً لهم وتأييماً لقلوبهم ولما وقع البحث
عن شعيب وجد قد خرج عقب الهزيمة هارباً الى مدينة طرابلس ولما وصلها
أظهر البراءة من الامام والانكار عليه وتعالى في ذلك حتى صار يمرض الحاج
ابان التشرقي ويعلم بذلك فالتصل خبره بالمشرق فأجمعوا كلهم على البراءة
منه ومن ابن فندين وأتباعه الا من تاب وأشد الناس عليهم في البراءة منهم
العلامة الربيع رحمه الله فانه كان يجهل بذلك في مجالسه ويعان بولاية الامام
قائلاً عبد الوهاب امامنا وثقتنا وامام المسلمين أجمعين فانا برآء ممن خالفه
أو أنكر عليه شيئاً على غير حق واذا قيل له كيف تبرأ من شعيب بدون
حدث قال وأي حدث أعظم من براءته من عبد الوهاب أمير المؤمنين
* وبموت ابن فندين انقطعت القلاقل وسكنت الحركات وانحسرت
جرثومة الفساد وانحاز من بقي من أصحابه الى ربوة خارج المدينة يملأ
ظواهرهم الخضوع والمسكنة وفي القلوب حزازات وضغائن لم ينشأ عنها
شيء يكدر الراحة .

✽ عودة الرسل من المشرق وما وقع بعد ✽

✽ ذلك من قتل ميمون بن الامام ✽

ولما عادت الرسل من المشرق بكتاب الربيع المتقدم ومن معه من
المسلمين وفيه مامر من صحة ولاية الامام وبطلان الشرط وغير ذلك فرح
المسلمون بموافقتهم الحق وتأكدت أسباب المؤدة بينهم وبين امامهم وازداد

هو نشاطاً في التقدم في الإصلاحات وبينما الحال كذلك اذا صبح ميمون
ابنه قتيلاً ممزق الالجهم مفروق الاعضاء ممثلاً به تمثيلاً شنيعاً غدر به أصحاب
ابن قندين لما كن في صدورهم من الحقد على الامام بسبب تلك الوقائع
المتقدمة ووقعة صاحب الصندوق وكأنهم أرادوا بهذه فداء تلك واذ بلغ
الخبر الامام قام مسرعاً الى موقع الحادثة ووجد ابنه ميمون الناصية ثمرة
فؤاده على تلك الحال فتسربل ثياب الصبر وأبرز من شهامته عظيم التجلد
وكامل الثبات وان كان في نفسه من الكثابة والحزن ما يذيب المهج ويداك
الجبال وقال وهو ينظر اليه .

* أي بني اجتمع فيك ثلاثة قولهم . ويل لمن صرت الخليل على كسائه
وقولهم . ويح من أصيب بليل . وقولهم اذا مسست ابن السلطان فامسسه
مساً عنيماً . ثم أمر به فكفن وشيئت جنازته حسب الواجب وغض طرفه
عن الطالب بدمه اذ لم يثبت ذلك على أحد ولم يعول على الظنون وأتوا بالهركين
وأرباب الاغراض وكان بشديد التحري في الدماء وحسب القاتل بذلك
حجة هذه الحادثة التي قل من يتربص امامها التحقيق مع الاقتدار وتوجه
الهمة من أول وهلة الى أرباب الجريمة .

وكان لميمون ولد هو من النجابة والذكاء بمكان رفيع فرق جده
الامام لحاله وولع به ولوما زائداً واقامه مقام والده يتسلى به عنه صارفاً همته
في تربيته معمرأً جل أوقات فراغه في تربيته وتهذيب اخلاقه وطبعه على
الآداب اللطيفة حتى شب على ذلك وحصل من العلوم النافع منها ولاغرابه
اذ كان يقترب من ذلك البحر الزلال * كل مارق وطاب من السحر الحلال
ويختار النفيس من اللاك * من معدنها المباح له في العدو والآصال * فنا

كذب اذا آمن أظن فيه المقال * ولا ينسب الى الاتيان بالمحال .
ولما حسن ذكره وتأكدت الثقة به وتحلى بحسن الصفات ورآي منه
جده القدرة على القيام بمعالي الأمور قدمه على جباية الحقوق الشرعية وغيرها
من مطالب بيت مال المسلمين فقام بما عهد اليه قيام عاقل حكيم يعامل الرعية
بكل رفق وسياسة وصار ينتقل من حي الى حي حتى استخلص مطالبه بطيب
نفس لا إزعاج ولا قهر فيها لا أحد الى أن بلغ مجتمع بقايا ابن فندين فطالبهم برفق
حتى استوفى حقه وقبل ان يرتحل عنهم سمع بعضهم يقول وهو يعنيه (يا ابن
المهدور دمه) فتغافل عنه وأوهم الحاضرين بأنه لم يسمع ذلك أو لم يدرك
المراد منه ولم يفهم ينت شفة سياسة ودهاء وتأديباً مع جده بعدم الدخول في
أمر كهذا قبل استئذانه وهذا يعد من نتائج تلك التربية وذلك الارشاد * فما
أحسن العمل بالعلم . وما أهنى صراعاة الحقوق وجانب الأدب . وما
أسلم عواقب الثبات . وما أشد تأثير الدهاء وثقوذاً أعمال السياسة . وبعد
استيفاء ما كلف بجمعه من الحقوق قفل راجعاً بحملة ثيار الفيظ الى ان
وصل (تبرت) وفي الحال دخل على الامام جده وباح له بما حل به وما سمعه
من القول فأمره بالصبر والكتمان وعرفه بما لسفك الدماء في نظر الشرع
المزير من التعظيم وأفرمه بأنه سيأخذ بثار والده متى وجد لذلك سبيلاً شرعياً
بينة لا تقبل الشك ولو طالّت المدة وامتد الزمان ان ساعد القدر وكانت
لامر مجال يسم ذلك . ثم عمداً الى البحث على الجاني وثابر على ذلك حتى
اتضح جلياً بالحجة التي لا ريب فيها ان ذلك القاتل من القاتلين لميمون الممثلين
به فأرسل في طلبهم فامتصوا واحتسوا بمن كان معهم من بقايا قوم ابن
فندين

✽ الأخذ بثار ميمون ✽

فوجه اليهم حيثئذ جيشاً يرأسه ابن ميمون المذكور فوافاهم في واطنهم على مسير أيام من المدينة مستعدين للقائه متحصنين وما كاد يصلهم حتى شملوا لمبارزته وصففوا صفوفهم وأوقدوا نار الحرب والتحم القتال بين الفريقين مدة أظهر فيها ابن ميمون من البسالة سعياً وراء نار والده ما شئت أعدائهم فولوا الأدبار منهزمين وتركوا من قتلاهم ما يكثر عدده وقد قيل ان بعضهم رام حصرهم ولما رأى كثرتهم عجم إلى أقل الاسماء استمالا عندهم وهو هارون فمد من سمي به من القتل فكانوا ثلاثمائة فأنكسرت من هذه الواقعة شوكتهم وتفرق جمعهم وأخذ من بقي منهم إلى الطاعة والالتقياد فاستراح الامام عند ذلك وعمت الطاعة سائر رعيته. الا أن بسبب توالي هذه الوقائع وحصول هذا الافتراق في عصاة هذه النحلة وهو أول افتراق وقع فيها صارت الدولة مظنة للضعف ومرى لسهام الطاعنين والطاغين من سائر الفرق الأخرى الداخلة تحت سيطرة هذا الامام ولوائه .

ولشدته رضي الله عنه مع ذلك في اقامة الحدود المرعية والانتقام من كل من ظهر منه انتهاك حرمة من شعائر الدين المقدسة تضايقت النفوس الميلالة إلى الهوى وحب الذات والشهوات انقياداً لقائد الاغراض وطلباً لحل عرى عقدة الاجتماع القاضية بالضغط على النفوس الشريرة والمنع من تنفيذ المقاصد الخبيثة . ثار الثائرون من ذوي العصابات القوية والأتباع الكثيرة من رؤساء العشائر والقبائل من اخوانه الاباضية وغيرهم من الفرق الموجودة تحت لوائه كالأصليية من المعتزلة وكالصفورية والازارقة والمجهم فتكدر صفوف الخواطر وتغير سماء الراحة وكثرت الآراء والاقوال واتحل البحث في

المذاهب وعظم الجدل وفشت المناقشة في المسائل الخلافية بين علماء الفرق وأهمها مسألة الإمامة فقام كل فريق يطلب الاختصاص بها ويدعي أنه أولى وأحق بها ويقيم على ذلك الحجج ويرتب الأدلة

فمعظم التباغض وظهرت مبادئ الاختلال والفساد ونبغ في كل جهة داع للجدال ومناد بالمبارزة والنضال وشتت الفارة في الأطراف ونصبت أعلام الفتن والحروب فسفكت الدماء (بين أهل الإسلام والامر لله) وقطعت المواصلات من الجهات لمعوم البلوى بقطع السبل ونهب الأموال فكان ذلك سبباً نهوض الإمام رحمه الله واقتحامه المفاوز والوهاد لكبح جماح الطاغين وقطع دابر المفسدين فشر عن ساق الحزم وكشف عن ساعد الجد وجمع العساكر وجهز الجيوش ووالى الحروب الهائلة وصرف الأموال الطائلة حتى أخذ نيران تلك الفتن وشتت شمل تلك الجموع القوية الطاغية بعد وقائع يشيب لها الشباب وأعظمها خطراً تلك الحروب الواصلية . . .

— خروج الواصلية من المعتزلة عن الإمام —

﴿ وحروبه معهم ﴾

كانت الواصلية وهي فرقة من المعتزلة في جموع قوية عدداً وعدة بجهات المغرب وهم قوم من البربر أكثرهم من قبائل زناتة لهم رئيس في مدينة قريبة من مدينة طنجة وهو الذي بايع ادريس صاحب المغرب الأقصى وكان بنواحي تهرت منهم فريق لا يقل عن ثلاثين وقيل عن أربعين ألف مقاتل فيهم من مشاهير العلماء وأبطال الحرب وأولي الثروة عدد وافر لا ينكر قدره يفوق الكل رجالاً أحدهما عالم غائر الألفة حائز قصبة السبق في ميادين المناظرة

ذو علوم حجة ولسان طلق ومنطق بليغ وله في المجادلة أطوار وطرق يعجز
دونها فحول العلماء قدأ عجب بنفسه فأضحى يزخرف للملا مذهب به ويزين
حججه ويطلب مناظرة كل من ينسب الى العلم من علماء غيرهم من الفرق
وبفوزه في مواطن متعددة تطاول الى الامام وفتح معه أبواب البحث وجرت
بينها محاورات عديدة كاد الامام يعجز فيها عن الجواب.

* والآخر وهو ابن رئيسهم فتى عرف بالشجاعة وشدة الاقدام والبسالة
وشهر بالتهرورية والبطش بكل من بارزه حتى صار أشهر من نار على علم في
في تلك الاقطار.

* فاهتدت رجال هذه الفرقة الى تأليف القلوب وبث روح التعارف بين
افرادها حتى اتحدت كلمتهم وتوحد رأيهم فقامت تشق عصا الطاعة تأسيساً
بابن فندين وتطلب الاستقلال والخروج عن حكم الامام زاعمة انها في درجة
يمكنها ان تحكم فيها نفسها بنفسها وان تقوم بادارة شؤنها وكأنها رأت ان
من العار عليها خضوعها لمخالف لها في المذهب مع وجود رئيس لها يدعي
الامارة . ولعل هذا الرئيس أغراها على ذلك فتكاتب رؤسائها على الخروج
ومناصبه الامام الحرب وأتوا من أقاصي الأطراف رجالا وعلى كل ضامر
من كل حدب ينسلون حتى اجتمع منهم وممن انضم اليهم ممن يسمى في
الارض فساداً من غيرهم قريباً من المدينة جيوش غطت السهل والجبال
فناصحهم الامام المرة بعد المرة وخوفهم الوعيد وكرر لهم الارشاد والتنبية
ودعاهم الى ترك ما به ضلوا والى الاستسلام والسكون فلم يكن منهم الا العتو
والعناد والجهر بانكار امامته ثم بدأوه بالحرب فصار يجهز اليهم المساكر
ويسوق الجيوش فتظفر تارة وتهزم أخرى وفي كلا لم يدرك ذلك

الفتى ابن الرئيس الممتزلي أحداً من الفرسان الا ويقتله ويتولى سلبه حتى
تتهقرت امامه الأبطال وطارحيته فهابه كل موسوم بالشدة والبسالة ولما
كان الامام لا يقل عن درجة والده في الدهاء ان لم يتجاوزها وعلم انه قد انتقل
من حرب قوية (حرب ابن فندين) الى حرب أقوى منها مع قوم هم أشد
من الاولين بأساً وأكثرهم قوة وان الاسترسال في ذلك ربما يؤدي به الى
مالا تحمد عقباه دعاهم الى الاتفاق على هدنة الى أمد معلوم يكف فيها القتال
ويتصرف فيها الفساد وينظر فيما هم قائمون لأجله ولعله يهتدي الى ما فيه
اصلاح الحال فأجابوه الى ذلك وكف القتال واستراح الناس .

حجج طلب الامام الاعانة الحربية من جبل نفوسة ٥

هو لمحاربة الواصلية ٥

لما أنهى الامام عقد الهدنة مع الواصلية صرف همهته الى الاستعداد لهم ونهية
ما يظن به جذوة نفاقهم ولما كان جبل نفوسة وما يليه من حيز طرابلس من
جملة ولايات مملكته التي تدين بطاعته وتتغنى في رضائه وفيه من أهل النجدة
والشجاعة وأبطال الحرب وفحول العلماء ما يعد بالالوف رأى ان يطلب منهم
الاعانة على مستقبل حروبه . فأرسل الى عامله بالجبل كتاباً طلب منه جنداً
يتألف من أربع مائة نفر مائة منها من خيرة فرسان نفوسة وصناديدهم
الممارسين لفنون الحرب الماهرين فيها الموصوفين بشدة الاقدام . ومائة
من المتبحرين في علم التفسير . ومائة من علماء الكلام الواقفين على نزغات
الفرق العارفين بطرق الرد على المخالفين ونقض مقالاتهم . ومائة من العلماء
المتضلعين في مسائل الحلال والحرام .

ولما بلغ العامل أمره المطاع جمع أهل النظر في الامور وأصحاب الرأي

وعرض عليهم كتاب الامام وبعد مذاكرة وتربص في الأمر اتفقوا على توجيه أربعة من خيار رجالهم قد شہروا في اصنافهم ببلو المنزلة والكمال يقوم كل واحد منهم مقام مائة ممن طلبهم الامام وهم العلامة المتكلم مهدي النفوسي والعلامة المفسر محمد بن يانس. والعلامة الفقيه أبو الحسن الأبدلاني. والفارس الشجاع البطل الشهير العلامة أيوب بن العباس.

* فأرسل العامل اليهم ولما حضروا عنده أخبرهم باتفاق اخوانهم المسلمين على ارسالهم الى المغرب اجابة لطلب الامام فأجابوا بالسمع والطاعة مسرورين وبعد أن هيئوا أنفسهم للسفر وودعهم اخوانهم ودعوا لهم بالفوز سازوا على بركة الله ملحوظين بعنايته محفوظين برعايته.

ولما تجاوزوا حد جبل نفوسة ودخلوا البادية احتاجوا الى من يقوم بخدمتهم فطلب ابن يانس وهو منهم ان يتولى ذلك بنفسه وان يقوم بأمورهم الى أن يصلوا المغرب فامتنعوا وأبوا نظراً لعلو مقامه ورفعة مكانه عندهم فألح عليهم في الطلب الى أن ساعفوه وصار كلما نزلوا منزلاً هياً لهم مقعدهم ومصلاتهم وربط خيلهم وأحضر لهم الطعام والماء حيث يلزم للشراب أو الوضوء ثم اذا صلوا وناموا قام الى التهجيد والصلاة فيفضل راکماً ساجداً حتى يطالع الفجر فينبههم ويهيئ لهم الخيل وبعد الصلاة جماعة يركبون وكان هذا دأبه ودأبهم وهو صائم النهار قائم الليل فشق عليهم الأمر شفقة عليه فسألوه الرفق بنفسه والتخفيف مما هو عليه اما بترك الصوم واما بترك جانب من السهر والقيام بالليل فأبى الا التماسي وأبوا الا التخفيف ولما لم يمثل قالوا له اما أن تترك السهر واما ان نظر غيرك لخدمتنا. وأما قيامك بخدمتنا بالنهار مع الصوم والقيام بالليل الى الصباح فلا نرضاه منك بعد هذا اليوم وان

لنفسك عليك حقاً حافظها .

ولما لم يجد ملجأ مما الزموه به قال لهم اني رضىت بحكمكم الا اني
استأذنكم في صلاة ركعتين كل ليلة مع البقاء على خدمتكم فرضوا بذلك
وأذنوا له .

وفي الليلة المقبلة قام بعد أن تاموا ليصلي الركعتين فقرأ في الاولى النصف
الاول من القرآن وفي الثانية النصف الثاني وما سلم حتى طلع الفجر ففطنوا
له فازدادوا اشتغالا وقائوا له قد نهيناك عن طريق فسلكت أشد منه فانك
كنت تستريح في كل ركعتين برهة من الزمن لقراءة التحيات فصرت تنف
من العشاء الى الفجر فارحم الى ما كنت عليه أولاً فانه أخف مشقة وقد
رضينا بك خادماً .

فرجع الى ذلك ولم يسأم رحمه الله ولم يقطع عادته طال الليل أم قصر
محا الجو أم أمطر الى أن وصلوا تهرت. ومما يحكى عنه انه قام حسب عادته
في ليلة ذات برد شديد ورياح عاصفة ومطر قوي فانتبه أحد رفقاته فراه
واقفاً يصلي والريح تعبت بطرف كسائه كالمعلم فقال ان كان لا يدخل الجنة
الا من كان مثلك يا بن يانس ستصيبك فيها الوحشة . فله دره من مجاهد
صابر مخلص جامع بين خدمتي الظاهر والباطن ورحمة الله رحمة واسعة . هذا
ما كان من أمر هؤلاء .

وأما الامام فانه بقي في انتظار جيش نفوسة منذ أرسل الكتاب الى
الجليل ونذر أن يعتق من يبشره من مماليكه بوصوله فصاروا يترقبون ويقفون
على قارعة طريق الشرق ويستخبرون من القادمين أخبارهم وكان له مملوك
أعرج لا يقدر على الخروج فلأزم إحدى شرافات السور ناظراً نحو طريق

الشرقيين غير غافل عن الممالك الواقعة هناك الى أن رآهم يوماً يتسابقون الى المدينة فأدرك أنهم متسابقوا الا ليشرخوا بوصول الوفد فنزل ودخل على الامام قبل أن يصلوا وأخبره فوفاه بما وعد به من العتق ولما وصل الآخرون ليبلغوه الخبر قال لهم (فاز بها الاعرج) فأرسلها مثلاً وهو أول من قالها ثم وصل النفوسيين واذ علم أنهم أربعة لا غير وقع في نفسه ما وقع من أنهم نفوسة بالتقصير في اعائته اذ طلب أربعاً وثلاثين ألفاً وجاءه أربعة رجال فقط .

* فأمر بأنزالهم في دار الضيافة وبعد استراحتهم اجتمع بهم وأظهر لهم السرور التام بقدمهم وان كان في نفسه من الانكسار ما كان .

* وبعد أن أخبروه بوظائفهم وبما كلفهم به اخواتهم وتعهّدوا لهم بالوفاء به طابت نفسه وقال لمهدي اصنع اليّ حتى أعرض عليك ماجرى بيني وبين المعتزلي من المحاورات لتكون على بصيرة من الامر وتعلم مقدار معرفته فأصغى اليه وصار يسرد له الحديث وكما رأى خطأ في كلام المعتزلي قال ها هنا حاد عن جادة الصواب وسفسط وكان من الصواب ان تجيبه يا أمير المؤمنين بكذا وكذا فأطلع الامام عند ذلك على جميع خطأ المعتزلي في كلامه وأدرك حيلته في السؤال والجواب فازداد بذلك سروراً ورجاء بلوغ القصد وهم بالأمر بالمناداة في القبائل للاجتماع وفتح باب المناظرة أولاً ثم المبارزة فقالوا له دعنا أياماً نستريح فيها وتستريح دوابنا فقد أضناها السفر ولحقها التعب فترك الامام ما هم به والنفوس من الفريقين في اشتياق الى رؤية النفوسيين اذ كان لحيثهم صدى أطبق الاقطار .

* وفي بعض تلك الايام غيب مهدي عن رفقائه من الصبح ولم يأتهم

الا في ائيل قنط في عجين كان في وعاء بجنب عشائه فأكله وبعد أن أتمه قال لهم أري ان عشاءكم لم ينضج كثيراً واذ تحقق غلظه قال اني أحمد الله على ثلاث خصال لم أرها لتيري * أفني أربي من كل طعام صادقه ولا ياحقني ضرر منه * وأقل شيء من النوم يكفيني ولا يضرني السهر ولو توالى. ولا أخاف باذن الله مخالفاً ان يضحض حجتي الا ان داهنت في دين الله. (لا سأل الله) ثم قال لهم قد أخت في هذا اليوم تسمين عالمين المخالفين واسترحت منهم والحمد لله. ولما قرب انتهاء مدة استراحتهم تقدم أيوب الى الامام وقال له ان جوادى قد أضعفه السير وأدركه الحفاء وأخاف أن لا يقوم بحاجتي عند مبارزة فارس المعتزلة فاختر لي غيره من خيل بيت المال فأمره الامام ان يدخل المحل ويختار ما أعجبه منها فدخل وكلم رآى جواداً حسن الصورة قوي البنية قبض على ناصيته بيده وجذبه اليه فلا يثبت ويكاد يقع على ركبته فيتركه وينتقل لغيره وهكذا حتى أتى عليها كلها ولم يجد فيها ما يناسبه فقال علي بجوادى فأوتي به اليه وفعل به كما فعل بغيره فراه لم يتزعزع عن مكانه وأرسي أرجله في الارض ثابتة كأنها ضربت بمسامير فقال البركة في البرذون فأرسلها مثلاً وأخذته وعالجه بالدهن والرمل المحمس حتى زال مابه من أثر التعب .

المنافرة والمبارزة

وبعد أن انتهت مدة استراحتهم دعا الامام المعتزلة الى الطاعة فأبوا فنادى مناديه بالحضور الى المناظرة والمبارزة فهرعت من الفريقين أمة كالجراد المنتشر شاكّة السلاح في خيول تدك حوافرها الجبال ورجال تذيب لامة حربهم بهج الابطال أزعج ضجيجها الثقلين وسد نفع عبار حركتها ما بين الخافقين في يوم

بلغت فيه أرواح الفريقين الحناجر، وخطب فيه خطباء الرخم والسباع على
المنابر وزلت فيه عند الامتحان أقدام الطامعين ورفعت فيه رايات النصر لاهل
الحق المبين وكانت القائم بأمر المناظرة في هذا اليوم المشهود من الاربعة
المذكورين ذلك العلامة المقدم السعيدع الهمام خائن لجبع الفنون على
الاطلاق، حائز قصبات السبق في ميادين السباق، الشيخ مهدي النفوسي بعد
أن عرضها على العلامة ابن يانس وقال له تقدم أنت ولست بأعلم مني .
* وكان المعتزلي داخله الرعب أو قصد الخيانة فقال لمهدي ما لنا ولا بداء
عورانا للناس وكلانا ممن شهر في قومه ونال الصيت البعيد فهل لتعاهد على
أن يستر كل مناصبه سواء حاجبتي أم حاجبتك ولا يعلم أحد بمن كانت
له الغلبة منا على صاحبه فأجابه مهدي لذلك وقد أدرك انها مكيدة منه وقال
لأصحابه اني قد عاهدته على السر وعدم التكلم ولكن اذا نزع القلنسوة
من رأسي ووضعتها تحت ركبتي فادركوا اني قد فزت عليه وظفرت بالقضية .
* ولما خرجا الى ما بين الصفوف ومع كل منهما خواصه من العلماء كان
الامام معهم فتناظرا في المسائل الخلافية وأطلا في ذلك ودخلا ابوابا وفتونا
صعب على الحاضرين فهمها حتى كان الكلام بينهما كصفق الحجر لا يدرك
أحد من الحاضرين معنى له على ما قيل ثم عجز المعتزلي وسلم .
* فنزع مهدي قلنسوته كما وعده أصحابه فكبروا لما رأوا ذلك تكبيرة
رجل واحد بلغ صداها غنان السماء فهت المعتزلي وقال غدرت يا مهدي
وخالفت العهد وما هكذا كان الوعد بيننا وقاما والفخر يصاحب هذا والقهر
يوزر ذلك فبرز على أثر ذلك فارس المعتزلة وابن رئيسهم في هيئة مرهبة
شاك السلاح على جواد سابق وهو يزأركا لا سد ويرمح كالعقاب ويظهر

للناس من أنواع فروسيته ما جعلهم في غرابة وعجب .

* فخرج أيوب من بين الصفوف يقود جواده مع سكينته وهدو الى أن
 ترا أي للفريقين وكانت العيون شاخصة لرويته مصوبة السهام نحوه من كل
 الاطراف لما يلفتهم من أخباره في الفروسية وشهرته ولما أراد الركوب وكلهم
 ينظرون تجاهل فركب من جهة اليمين خلافاً لما هو المتعارف عند الناس
 من الركوب من جهة الشمال .

* فضحك المستعجلون من المعتزله الذين لا علم لهم بمكائد رجال
 الحرب واستبشروا وضمنوا الفوز لصاحبهم الا والده فانه أدرك ذلك في
 الحال وقال متأوهاً وقلبه يرجف ولسانه يتلجج هيهات هيهات الآن حل
 أجل ولدي اذ جاء قتله بلا شك .

* فسأله بعض الناس عن ذلك فقال ألم تروا كيف تدلى اليه فرسه ولا يفعل
 الفرس ذلك الا مع الفارس الحاذق .

* وبعد أن استوى مهدية على ظهر جواده قذف حربته في
 الهواء كما هي عادته حتى كادت تغيب وكانت تزن ثمانية عشر رطلاً وهياً
 لها رمح فجاءت فيه مستوية متمكنة لا تحتاج الى تركيب وذلك أول ما ألقى
 به الفرع في قلوب الناظرين فاستعظموه وهاهم أمره ثم جال في ذلك
 المضمار جولات الاسد الضائر وأقبل وأدبر مع المعتزلي على جواد
 كالعقاب الطائر .

﴿ مكر مفر مقبل مدبر معا . كجلمود صخر حطه السيل من عل ﴾
 حتى رأى منه الاقران من فنون الاحتيال وغريب طرق الفروسية في النزال
 وبديع الخداع في الاقوال والافعال ما قذف في قلوبهم الرعب

وصدهم عن القتال .

* وما كان غير ساعة حتى التقم فارس المعتزله وابن رئيسهم التمام عصا موسى سحر سحرة فرعون وجندل به الارض مع ذلك الجواد المستأسد وذلك السلاح المكنون فتجمست المعتزله وزحفت الى القتال فتسمرت نار الحرب بين الفريقين برهة من الزمن حتى فيها الوطيس واشتد الخطب وعظم المصاب وكانت اقلح بن الامام وأيوب يجزان الهام ويشتان الصفوف ميمنة وميسرة الى أن سقط في أيدي القوم ورأوا أنهم قد ضلوا وضربت عليهم الذلة وباءوا بغضب من الله وولوا الادبار منهزمين وقدمات منهم خلق كثير حسبوا منه ما قتله اقلح وما قتله أيوب فوجدوا لا يوب قتيلا زائداً على اقلح وكأن كلا منهما استقل بجهة والا فكيف يصح تمييز ذلك خصوصاً في يوم كذلك اليوم المزدحم والله أعلم.

* وكان أيوب قد أحس في اثناء الضرب بزلزلة شديدة في ذراعه فاخبر بها بعد ذلك وقال اني قد ضربت شيئاً صلباً لا أدري ما هو ولا أظنه آدمياً فتصفحوا القتلى فوجدوا بينها عموداً قائماً ولما جسوه بأيديهم وقع الى الارض نصفين فعلموا أنه هو الذي أخبر به أيوب وقد ضربه وهو يظن أنه رجل وكان لسيفه مقدار شبر لا حدة له مما يلي مقبضه لكي لا يضره ان جعله على عاتقه اذا سم من حمله أو تعب من الضرب به وبعد استسلام المعتزلة واقرارهم بالطاعة التامة لم يبق لهم طعم ولا رجاء في القيام بهذه الحادثة

* فعاد الامام الى عرش خلافته يكتنفه الظفر ويتوجه الفخر وقد ناله من الجذل ما حمله على نشر الشتاء الفاخر والذكر العاطر على ذلك الوفد

النفوسي المنصور.

استدعاء المعتزلة أبا العباس للضيافة

﴿ بقصد الغدربة ﴾

ثم بعد ذلك يومين على ما قيل ارسل وجوه المعتزلة الى أبي العباس
يدعونه للضيافة عندهم فمنه خواص المسلمين وحذروه الغدربة فأبي الا
اجابة دعوتهم والمسير اليهم ولما وصلهم رحبوا به وأظهروا له من أنواع
التبجيل ما ظنوا انه أغتر به ولدى اجتماعهم وتبادل الرأي في كيفية غدره
وقتلهم رأوا أنه لا يمكنهم ذلك وهو في اليقظة لما علموه من شدة بأسه وأجمعوا
أخيراً على أن يكثروا له من الاطعمة الجمالة للنوم حتى اذا نام قتلوه فقدموا
له عند المشاء قصعة. طعام عليها عجل صغير برمته وقربة من اللبن الحامض
وكان رحمه الله عظيم البنية جداً كثير الاكل فاستوفى الطعام أكلاً وانتقي
العظام عظماً عظماً وشرب ذلك اللبن كله اظهراً للقوة أمامهم اذ فهم مرادهم
من ذلك ثم استوى في وسط الخصى متربعا وأخذ في تلاوة القرآن العظيم
حتى طلع الفجر فصلى الصبح بوضوء المشاء اذ لم ينتقض لا بنوم ولا بمحدث
وكان ما أكله من الطعام واللحم وما شربه من اللبن لم يكن شيئاً مذكوراً
ولما طلعت الشمس طلب جواده لينذهب فأحضره وقد أبهرهم مارأوه
منه في تلك الليلة وقالوا له ان فتيان الحلي طلبوا منك ان تعلمهم شيئاً
من الفروسية ومما عندك من فنون الحرب فقال أجل وليحضرُوا فركبوا
خيلهم وبأيديهم قضبان ليعلمهم كيفية العمل بها عوضاً عن السيوف وكان
فيهم رجل مشهور عندهم بالاقدام والقوة تعهد لهم بقتله وبينما هم
في أثناء التعلم أخذ الرجل في الاحتيال لضربه ففطن له وتناقل عنه حتى

هم به فائق ضربته والتفت اليه فصرعه الى الارض ميتا ومال عن يمينه فقتل
 ثمانية ثم عن شماله فقتل مثلها وصاح بنساء الحي وهن يرقبن ويبيكن فقال
 أزيد أم يكفيكن وترك الكل في نجيب وعويل وتوجه راجعا من حيث أتى
 فر بواد فيه سباع قل من يتجاوزوه وينجو سالما ولما أحسوا به تسارعوا اليه
 فشمروا لهم عن ساعده وقطع أرجلهم وتركهم يزحفون وجاز على بعض أحياء
 البربر فقال لهم من أراد اللحم المكروه فليذهب الى الوادي الفلاني ولما جاء
 الى الامام ورقفته أخبرهم بما جرى فحمدوا له السلامة وشكروا الله على
 نجاته وخلاصه من هذه المكيدة * ذكر هذه الحكاية كما سمعتها كل من
 العلامة الشماخي والعلامة أبي زكريا، رحمهما الله والظاهر ان في كلامهما
 اختصارا عجبا بما يقتضيه المقام من الايضاح والا فني بعضها عندي نظر
 فان استدعاء المعتزلة أبا العباس بعد يومين من تلك الحرب العظيمة مع ما حصل
 منه فيها مما يستبعد العقل جدا ثم أجابته دعوتهم وذهابهم اليهم بدون رفقة
 كما يفهم من كلام الشيخين أشد بعدا اللهم الا ان تكون الحكاية راقصة قبل
 اعلان الحرب رسميا لا يندها أو كان الذين دعوه لادخل لهم في هذه الحرب
 وانه استصحب معه رفقة وأهل الشيخان ذكرها والله أعلم بالحقيقة. وكان يقول
 لا أعلم أن لي مقابلا يبارزني فيما بين مصر وفاس. وبعد أن قضوا وطرهم من
 تيهرت في أيام وليالي قطعوها بين احترام وتعظيم ونالوا حسن التوجه
 من الامام وتزودوا بالدعاء من أكابر العلماء وأفاضل الصالحين والاولياء
 عطفوا أعنتهم نحو وطنهم ومقر عزهم موطن الفخر والعلاء اذ ذاك ذلك
 الطود الشامخ عالي القمم والهمم مرتفع الرؤس والنفوس بجبل نفوسة
 سيد جبال الغرب ومجمع الفحول من الرجال ومنبع علوم العقول والمنقول

في ذلك الوقت بلا جدال .

وللهؤلاء الاربعة فضائل ومآثر كثيرة وكرامات ذكر الشماخي رحمه الله بعضاً منها فلتراجع هـ.كـ

ومما يؤثر بالذكر من كرامات العلامة مهدي في هذا السفر ما ذكره الشماخي من أنهم ضربوا أخيتهم في الطريق أثناء رجوعهم من (تيهرت) لحر أصابهم وكان مهدي خارج الاخية فسمعهم يتننون آه وراأ خطرت لهم فقال أحدهم لا أتمنى في هذا الحر الا لبناً صافياً بارداً وقال آخر ما مناي الا شربة من ماء (أيندل) وهي عين بقرب الجزيرة المعروفة بقرب (مدينة شروس) ولم اقف على ماتناه الثالث ولما سمع ذلك منهم دخل اليهم وسألهم عهد الله وميثاقه على كتمان ما سيطلعهم عليه من السرفاعطوه العهد على ذلك فخل وكاء قربة لهم فيها شرابهم وصب منها لمن تمنى اللبن لبناً خالصاً ومن تمنى الماء ماء لا يشك في انه من دين (أيندل) وصب للثالث ماتناه أيضاً فحمدوا الله على نيل مطالبهم وشكروا فضل مهدي وزادوا في توقيرة لما رأوه من الكرامة على يديه ووجدوا السير الى ان وصلوا الجبل وقد خلفوا الامام بتيهرت راضيا مستريح البال لا حرب ولا شقاق ولا اتفاق الى أن تنوسي الامر بمرور الزمان وبلغ الامن منتهاه وحدث من لم يحضر تلك الوقائع من حديثي السن وقربي العهد بالدخول في زمرة الممدودين من الرجال وأولي الثروة فثبت في قلوبهم بذر النفاق وسري فيهم سم الخيانة فكانوا سبباً لحصول وقائع وحروب اخرى حملت الامام ودولته مشاق التجهيزات والخسائر البقوية في الاموال والرجال وقد ذكرها ابن الصغير المالكي مفصلة على وجه لم يذكره غيره من المؤرخين فخذها على سبيل الاجمال طبقاً للقاعدة المتقدمة

حرب أخرى لهذا الامام

(ممزوج) جرت عادة قبائل البربر وغيرهم من سدراته ومزاته وغيرها من أهل البوادي أن يرتحلوا من أوطانهم التي يجتمعون فيها من بلاد الزاب وغيره من الجهات في زمن الربيع إلى حوالي (تبرت) وما يليها من الأودية والجبال والغابات لما فيها من المشب والاعتساع مع الأمن ولما يجري رؤسائهم عادة من الأكرام والضيافات والاحسان من أقاربهم وأحبابهم الذين هم بالمدينة ومن وجوهها وتجارها مع مشاركتهم في الرأي فيما يختص بمصالح الاسلام والامام ولا داء حق التزاور في الله وصلة الرحم.

ولما دار في الخواطرها جس الفساد وسرى سم النفاق في صدور أهل البني والعناد من أهل المدينة كانت الارتحال من قضاء الله في سنة من السنين (ولم يعين ابن الصغير تاريخ تلك السنة) خارقا للعادة فجاء من كل قبيلة وفرقة خلق لا يحصى حتى امتلأت المدينة بروؤساء تلك العشائر فوجد أرباب الفساد ومن قصد الشقاق من رجال المدينة فرصة لبث وسائل البغضاء وبذر نافع السم في الدسم فاستمالوا القوم على حين غفلة من أنفسهم وناجوه بالظن في ولاية الامام وقضائه وأصحاب شرطته وقالوا لهم قد ساقكم الله الينا وأنتم من أكرم الاضياف يسمع لكم القول ويقبل منكم النصيح وقد تعين عليكم الدخول إلى الامام لتسألوه عزل هؤلاء الولاة وتبديلهم بغيرهم ممن يحمد الناس سيرتهم (ولا يخفى على العالم الخير ما عليه غالب أهل البوادي من جهل السياسة الحضرية وعدم ادراك الحيل ومقاصد أهل الحضرة شأن سائر أرباب البادية) فأثر ذلك في نفوسهم وظنوا أن ذلك من النصيحة في الدين بمكان كبير به ينال المرء عظيم الدرجات

عند ربه .

* فاجتمعوا واستأذنوا على الامام فاذن لهم ولما دخلوا تلقاهم حسب عادته بكل بشاشة وقابلهم أحسن مقابلة وبعد تبادل عبارات التحية قام متكلمهم فحمد الله وأثنى عليه وقال . ان رعيته يا أئمة المؤمنين قد ضجت من قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك وقد جئتاك نطلب منك أن تستبدلهم بغيرهم ممن يرضونه من خيارهم وبذلك تحوز رضاهم وتحوز برضا مولاك .

* فأظهر الامام الارتياح لهذا الطلب وقال لهم جزاكم الله من وفد خيراً فقد افتقدتم من الاسلام ما يفتقده من كان مثلكم وها أنا ذا قد فوضت لكم الامر في ذلك فينبوا لي من ترونه صالحاً لذلك لا أقدمه .

* فدعوا له وأثنوا عليه بخير اذ ساعفهم فيما اقترحوه عليه وانصرفوا فدخل على الامام بعدهم وجوه رجال دولته وقواده وأهل الاصلاح من جماعة المسلمين وقالوا له ما بال اخواننا أتوك اليوم بأجمعهم وأخليت لهم المجلس وحجيت غيرهم ولعلمهم أشاروا بخير ودلوا على صلاح .

* فذكر لهم ما قالوه مفصلاً وما أجابهم به فاغتموا وقالوا له قد أسأت الى نفسك والى جميع اخوانك المسلمين ورجالك فقال وكيف ذلك وقد قالوا خيراً وما سألوا شططاً . فقالوا لو كان ذلك منهم لقصد الاصلاح والنصيحة في الله لمان الامر ولحسن المآل ولكنهم سألوك عزل من أرادوا من رجالك بدون سبب ليحرفوا عنك قلوب العامة ثم اذا فعلت ما طلبوه شكروك وحمدوا فملك وأتوك بعد ذلك قائلين ان المسلمين قد تقوموا عليك أشياء أخرى فاركها فان أجبتهم الى ذلك شكروك وان أبيت خلعوك ثم لا تأمن

وان أجبتهم الى كل ما سألوه ان يقولوا لك ان المسلمين لم يجتمعوا عليك في ابتداء أمرك فارد اليهم أمرهم حتى يجتمعوا عليك ويكون ذلك زيادة في شرفك .

* وعلى كل حال فسئوالهم هذا هو عين الفساد وأس الاضطهاد .
 * فأمعن الامام النظر وقدح زناد الفكر في الكلامين الى أن أدرك سر الطالب وما كن فيه من المكائد فقال وما الرأي الآن وقد تقدم مني لهم من الجواب ما سمعتموه ولا يحمل بمثلي الرجوع فيما قال . فقالوا له ان الامر في ذلك سهل قال وكيف ذلك قالوا اذا رجعوا اليك غداً لانجاز الوعد فقل لهم ان لناواكم اخوانا لا غنى لنا عن مشاركتهم في الرأي في أمر عظيم كهذا لما فيه من العزل والتولية فيجب حضورهم معنا ثم أجمع بيتنا وبينهم فنكفيك . ونة الجواب ان شاء الله .

* وفي الغد دخل القوم على الامام في الوقت المعين لهم لاتمام ما وعدهم به وبعد تمكن كل من مجلسه سأل مقدمهم من الامام الوفاء بالوعد فقال رضي الله عنه اني على ما عاهدتكم به من قبل ولكني أرى من القبيح بي وبكم أن نستأثر بمثل هذا الامر دون اخواننا لما فيه من تغيير قلوبهم وكسر خواطرهم الموجبين لشتات الرأي والاختلاف فقالوا صدقت وأصبت فأحضرهم ولا نراهم الا موافقين لنا فأمر بهم فحضروا في الحال وقال لاؤائلك أخبروا اخوانكم بما به أشرتكم وبما لأجله اجتمعتم فينبوا لهم عند ذلك ما دار بينهم وبين الامام من الكلام فقالوا لهم جزاكم الله عن الاسلام وأهله خيراً على هذا الاهتمام الا انا نطلب منكم بيان علة هذا الطلب والداعي اليه اذ لا يتحى على كل عاقل مثلكم ان العزل بدون سبب بين وجرحه واضحة لا يمكن

ان يصدر من الامام لما قد ينشأ عن ذلك من المضار فأبرزوا ان علمهم شيئاً
يوجب ذلك حتى يجعله الامام حجة عليهم جبراً للخواطر وأما العزل بمجرد
سمي السمة فلا نرى انكم تطلبونه مع ما أنتم عليه من الدراية والعقل فلم
يكن منهم الا أن قالوا هذا رأي حادث وأمر مبهم وما هكذا كان اتفاقنا
مع الامام بالامس .

* ثم خرجوا ممثلين غيظاً خالفين على أن لا يدخلوا في أمر دون عزل
من سألوا عزله أو محاكمة الامام فشاع خبرهم بين قبائلهم وأنضم اليهم لفيف
من الناس ومن كان على رأيهم وظهرت المناقشات في ذلك وفشا الخلاف
واتسع خرقه فاستشار الامام رجال دولته ومن تجب مراجعته من ذوي
الرأي والعلم فأشاروا عليه بالقاء المواعظ اليهم واعلامهم بخرج موقفهم
وانذارهم بسوء عاقبة ما اتحلوه من الشقاق ان لم ينتهوا عما يقولون ثم ان
أصروا وأبوا الا المناد والعتو في الارض كانوا بغاة فيجب على الامام والمسلمين
ردعهم وقتالهم (عملاً بقوله تعالى فان بغت احداها على الاخرى فتاتلوا التي
تبغي حتى تنفي الى أمر الله) .

* فعمل الامام بمقتضى هذه الاشارة ولم ير منهم الا الاعراض والعتاد
والسعي في اثاره الفتنة فشمز لا قناعهم بالسيف .

— قال —

* فلما رأى ذلك عبد الوهاب ومن معه برز اليهم فما كان الا كلعج البصر
الا وجهيهم صرعى الا من شذ وولوا ولم يتبعوا لهم مولياً ولا أجهزوا لهم
على جريح ثم انصرف عبد الوهاب قافلاً بمن معه وولت القبائل الداعية الى
مواضعها واستملك الأمر لعبد الوهاب وبقيت حزازات في النفوس في

قلوب عشائر من قتل ثم اشتد أمر عبد الوهاب وقوي واثقل من حال
الإمامة الى الملك اهـ .

﴿ تزوج الامام من قبيلة لواتة وحرب ﴾

﴿ بني مسالة معه ذلك ﴾

« ممزوج »

* لا يخفى أن القبائل الكثيرة المدد قلما تخلو في الغالب من رؤساء
متمسدين متفاوتين في كثرة الاتباع والمنتسبين اليهم وقد كانت القبائل
القاطنة بازاء (تاهرت) على هذا المنوال فكانت في هوارة تلك القبيلة الطويلة
المریضة من الاباضية رؤساء مقدمون يقال لهم الاوس ويعرفون بني مسالة
فتقرب رئيس قبيلة لواتة (وقيل لغيرها من قبائل البربر الكبيرة)
بقصد مصاهرته في ابنة كانت له توصلوا الى تعزيز جانبه بضم تلك القبيلة اليه .
ولما أحس من له بصيرة وعلم بحقيقة ذلك أشار على الامام بالمبادرة
الى تلافي الامر بأن يخطب البنت ويتزوجها او يسي في تزويجها من يامن
شره اضعافا لشوكة ذلك الرئيس وابعاداً له من الالتحام بقبيلة البنت وانضمام
القبيلتين بطريق المصاهرة اتقاء من حصول الاتحاد على الفساد والتعصب
(وهكذا شأن الملوك في سياستهم حتى الآن فانهم يخافون من حصول الوفاق
بين القبائل ولا يطمثون لكل من رأوا له اتباعاً من الرؤساء واصحاب
الطرائق لما ينشأ عن ذلك غالباً من الفتن وظهور الثائرين حسبما قضت به
التجربة وشهدت به التواريخ بما دون فيها من الوقائع)

* واذا ذاك خطب الامام البنت وتزوجها ولما بلغ خبر ذلك الى الرئيس
الأوسي غضب وآلى أن لا يساكن الامام في مدينته وارتمل منها الى واد

ينسب الى هواراة على بعد نحو عشرة أميال من المدينة وهنا لك انضمت
اليه عشيرته ومن غضب انضبه ممن ضاقت بهم سبل الحق وقيدتهم خطة
المعدل وراموا الزبيغ عن جادة الاستقامة ولما صار في جموع كبيرة
أعلن الخلاف .

• ولم نزل السعاة بين الفريقين رائحة غادية الى أن أوقدت نارا للحرب وبدأت
بالقارات فأصابت أول غارة لهواراة ولداً لبقال على نهر هناك يعرف بنهر
أبي سعد الله فقتلوه وتركوه ولم يغيروا من حاله ولا من ماله شيئا وثارت
الصيحة الى المدينة فابتدر الناس الفلام فأصابوه ولا روح له ولما لم يجدوا
فيه تغييراً حاروا في الأمر ثم صاروا يبحثون في متاعه الى أن فقدوا خاتماً كان
في أصبعه .

❦ قال ❦

• فكبروا وقالوا هؤلاء قد استحلوا الاموال والسلب اه فحل للمسلمين
واما هم قتالهم فحملوا قتيامهم وواروه التراب وأخذ الامام في التهيء للحرب
والخروج اليهم فاجتمع له من المسكر خيلاً ورجلاً ما ملأ البقاع واجتمع
للاخرين من الجموع ما لم يجتمع لشاه

❦ قال ❦

• حتي عدوا في خيلهم من لون واحد الف فرس أبلق وخرج عبد الوهاب
بمسأكره من المدينة في جموع لا يعلم عددها الا الله واتصل بخروج عبد
الوهاب ببني أوس . فجمعت جموعها وعبت كتابها على نهر يقال له اسلان
قالوا وكان عبد الوهاب قد أصابته ريح فأمر براحلته فرحلت وجعل عليها
محمل وجعل عذيله رجلاً من تقوسة وقائد راحلته رجلاً من نفوسة

وكان القائد ربما عجل ويقال له رويدا رويدا قال فيقال له ويحك انما قيل رويدا
فيقول هو ذاك فلم يزل يسير حتى تراءى المسكران آه

﴿ ممزوج ﴾

فرتب الامام قواده وصفوفه وجالت الخيل في ميدان الحرب ميمنة
وميسرة وتنازلات الابطال من الصفيين والتحم القتال فسد غباره ما بين
الخافقين وكلما نظر الامام ذات اليمين وذات الشمال والقاب رآى فارسا فاق
الاقران ودوخ الكتاب فيقول من الفارس فيقال له هو ابنك أفلح فقال
معجبا به قد استحق أفلح الامامة (فانها انما تنال بامثال هذا الاقتدار
لا بغيره)

﴿ قال ﴾

* فكان أول يوم عقدت له فيه الامامة قال فلم يزل الناس يقتلون لا
يولي بعضهم لبعض الدبر الى أن سال وادي سلى ذلك اليوم دما .
* (ممزوج) ولما رآى الامام صبر الفريقين وعدم ترشح العدو عن موقعه
والسيوف تمخز الهام ولبرقها لمعان في سحب تلك السهام اشتد غضبه وزاد
في الثقل ونادى يا دينار زم الخطام وتقدم بنا ففرع زميله النفوسي وخف
فرجع الامام به ولما شعر بذلك قال ما بال الحمل قليل له قد خف زميلك
النفوسي (وقد يكبو الجواد والا فان لنفوسة الثبات في الحرب) فقال ثقلوه
بحجر ولا زال دينار يتقدم والامام يثقل والنفوسي يخف فيزيدون معه حجرا
الى ان هزم العدو وولى الادبار ولحق بجبل ينجان واستكان للطاعة وخمدت
نار الفتنة ورجع الامام يحف رايته النصر والظفر فأقبل على ابنته أفلح وقربه
اليه ورشحه للامامة .

قال

* وانقطع له (أي لافلح) المنتقطون ودارت الحوائج اليه والعطاء من تحت يده اهـ .

وصار الامام بعد ذلك في راحة ودولته في تقدم الى ان كان كما وصفه بعد ذلك .

قال

وكان عبد الوهاب هذا ملكاً ضخماً وسلطاناً قاهراً قد اجتمع له من امر الاباضية وغيرهم مالم يجتمع لأباضي قبله ودان له منهم مالم يدن لغيره واجتمع له من الجيوش والحفدة مالم يجتمع لأحد حتى انه لقد حكى لي جماعة من الناس انه لقد بلغت بهيمته الى ان حاصر مدينة طرابلس وملك المغرب بأسره الى مدينة يقال لها تلمسان اهـ .

ومدينة تلمسان الآن من اعمال الجزائر وهي نهاية حكمها بمابلي مملكة فاس فيها من الأبنية العجيبة والصنائع المهمة ما يستحق الذكر واهلها اولو رفاهة ونظافة غير بعيدين في ذلك عن سكان مدينة تونس ذات الأدب والعلم والحضارة في المغرب بهذا العصر ولهم في التجارة غرباً وشرقاً حسن اقتدار وقد استبحرت في العمران بعد استيلاء الدولة الافرنجية (فرنسا) عليها تبعاً للجزائر ونمت تجارتها بما جرى فيها من تسهيل طرق المواصلات والنقل كغيرها من مدن قطر الجزائر وتونس التي لا تبعد كلها في الوضع والشكل والترتيب عن بعضها بعض اذ كان نافخ روح العمران والحضارة المصرية وبث الصنائع على اختلاف أنواعها وفنونها في الكل دولة واحدة .

— ﴿ عزم الامام على اداء فريضة الحج ﴾ —

— ﴿ ومروره بجبل نفوسة ﴾ —

• ولما رأى الامام رحمه الله من سائر اتباع دولته كمال الانقياد واستيلاء الامن والعاية على البلاد وانقطاع دواعي الفساد وجرثومة القتل والعناد حنّ متشوقاً الى زيارة ضريح أفضل الخلق على الاطلاق نور الوجود .
ونبراس اليوم المشهود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الابرار والى تلك الديار المقدسة الطاهرة . وقد علم من نفسه رحمه الله انه ممن تعين في حقه القيام بأداء فريضة الحج المعظم لما لديه مما أتاه الله من فضله من الثروة الواسعة اذ كان رحمه الله قبل تحمله أعباء الامامة من أعظم أولي الاموال الوافرة في عصره فكانت تجارته في أشهر المدن والجهات كالسودان والحجاز واليمن والبصرة وغيرها من مدن الشرق حتى قال شاهداً على نفسه بالغنى شكراً لله تعالى وتحديثاً بالنعمة مامناً به ﴿ لو لم أكن الا أنا وابن جبرني وابن زلغين لأغنينا بيت مال المسلمين بما علينا من الحقوق الشرعية ﴾ فهو ذو ذهب وفضة . وابن جبرني فلاح عظيم كانت زكاته في السنة آلاف حمل من البر والشعير وقيل ان أندر زرعه يرى من مسافة أيام كالجبل . وابن زلغين ذو ابل وغنم له من ذلك ما يعد بمئات الالوف ذكر المؤرخون ان له من صنف الحمير وحده اثني عشر ألف حمار .

• وبعد أن أبرأ ذمته من التبعات وقضى ما عليه من المطالب ديناً ودنيا امتطى متن جواده مستصبجاً معه (زوجته) وتوجه الى الحجاز مع البر في جمع كبير فر على جبل دمر وأقام فيه أياماً اعترفوا له فيها بالامامة وقدموا له البيعة مباشرة واستعمل عليهم عاملاً يعرف بمدرار .

* وله هناك مسجد كبير ومصلى مشهورة في موضع يقال له (تلات) فيه رخامة كان يستداليها تساوي رأسه عند قعوده وقد ذكر صاحب السير رحمه الله وهو من علماء آخر المائة التاسعة منها في وقته تساوي صدر الواقف وكأنه رحمه الله كانه أقبح عظيم البنية . وله في وادي تناوين بحمة أفريقية مصلى أيضاً أصلح خرابه العلامة الشماخي رحمه الله باعانة مجاوريه من العرب كما حكا في سيره أثابه الله .

* ثم سار الامام من جبل ذمر الى أن دخل حدود جبل نفوسة وبينما هو يسير بين المنازل والقرى النرية اذ أدركه المطر واشتد البرد وكان ذلك بالقرب من قرية (وينغو) الكائنة فوق جبل مدينة (سروس) وهي قرية جميلة المنظر تدل اطلالها ورسومها العتيقة على اثنان صنعة بنائها . فقصد الامام دار العلامة مهدي فيها فوجدها دار رجل زاهد عابد لا غطاء ولا وطاء وقد حصل للامام ومن معه من البرد والمطر تعب كبير .

* وكان الشيخ فرج بن خالة مهدي رجلاً مترفاً متحضراً ذا بسطة في المال وكثيراً ما عاتب مهدياً على غلوه في التثقف والاعراض عن الدنيا وكأنه يميل الى استحضات أمثال قولهم لا يستقيم الدين الا بالدنيا . وقول الشاعر .

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتماعا * وأقبح الجهل والافلاس بالرجل
* فيعكس مهدي عليه القضية ويماتبه على اشتغاله بالدنيا وتعلقه بأسباب
جمعها تعلقاً زائداً حتى انهما اجتماعاً ذات مرة بغيرت بين يدي الامام قبل قدومه الى الجبل فشكاه كل منهما صاحبه فقال مهدي ان ابن خالتي هذا يا أمير المؤمنين قد اشتغل بدنياه حتى كاد يضر بآخرته وقال فرج ان مهدياً

هذا ابن خالتي وقد اشتغل بآخرته حتى أحجف بدنياه وطلما نهيته عن ذلك ولم يقبل فمن المصيب منا يا أمير المؤمنين . فسكت الامام ولم يرد لها جوابا الى ان كاث قدومه هذا الى الجبل بعد سنين متعددة وبينما هو بدار مهدي على ما وصفتناه من عدم توفر أسباب راحته من مشقة السفر والمطر اذ أقبل ابن خالته من غيته فطلب منه نقل الامام ومن معه اليه فساغفه وفي الحال حضرت الخدم وهيا لهم ولدوابهم ما يكفيهم من المحلات وخصص لكل واحد منهم فراشا ووسادة وغطاء وبدلة ثياب نظيفة طاهرة ونشر أثوابهم المبلولة بالمطر وقدم لكل واحد كانوا من الجمر امامه وأحضر لهم في الحال ما كفاهم من أنواع الطعام الفاخر وأكرم دوابهم بما لزم من العلف والشعير وبسط عليهم مما لديه من الخير ما جعلهم في راحة تامة .

* واذا ذاك تذكر الامام الحكاية المقدمة فدعا مهديا وقال له قد حاجتك ابن خالتك يا مهدي (لأن الدنيا في اقامة الدين يدا طولى) . وقد تعجب القوم من استحضار فرج في أقرب وقت على حين غفلة تلك الكواين كلها ويقال أنها محابس نغار كان اعد لها للغرس . وكانهم كانوا يعملونها على نحو ما يستعملها الناس اليوم في المدن . وهذا دليل على أنهم كانوا أهل اعتناء وعمل للدين والدنيا لأهل بطالة وكسل على حد قول حكيم زمانه وامام أوانه العلامة أبي نصر اللوشائي النفوسي رحمه الله

احب فتى ماضي العزائم حازما * لدنيا وأخرى عاملا بالتشمر
وأما أخو النومات لا مريح بابه * ولا بالجثوم الراكد المتدثر
* وبعد أن قضى الامام في قرية (وينو) أياما استراح فيها من تعب

السفر ارنحل الى بلدة (ميري) وهي قرية متوسطة بقرب حصن بني زمر
 المشهور في التواريخ وبلدة ابي يحيى التردتي وبلدة أبي الشعشاء السنتوتي
 مستجابي الدعاء الشيرين في جبل نفوسة بالعلم والورع والكرامات الباهرة
 وتعرف تلك الناحية في زماننا هذا بناحية الرجبان لعمرانها بمدخراتها وجلاء
 نفوسها منها بعرب يسمون بهذا الاسم يتمذهبون بمذهب الامام مالك
 وهي تابعة في الحكم الآن لحاكم فساطوا المقيم في بلدتنا (جادو) المسماة باسم
 مدينة جادو المشهورة في التواريخ التي خربتها قبائل العرب عند ضعف
 نفوسها ولا تبعد عنها الا بمقدار نصف ميل تقريبا.

— منع نفوسة الامام من —

الذهاب الى الحج وخبر

« ذلك »

ولما فشا خبر توجه الامام الى الحج اجتمع العلماء وأصحاب الرأي من
 نفوسة وغيرهم واتفقوا على منعه والتعرض له خوفا من غدر ملوك الشرق
 (بني العباس) به ومن قبضهم عليه لان الملك في تلك الاقطار لهم ولانهم كانوا
 منه في رعب شديد .

« فاستأذنوا عليه فأذن لهم ولما دخلوا وأخذوا بحالهم قام متكلمهم وقال
 انك قد تقلدت يا أمير المؤمنين أمور المسلمين فأحسن السيرة وقت بالعدل
 ولا يفتك ما ملوك الشرق يحوك من الحقد وخبث النية وانا لنخاف أن
 يقبضوا عليك أو يفروا أحدا على قتلك فتعظم مصيبتنا وتضيع الحقوق وتعطل
 الاحكام . ولذلك اجمع اخوانك المسلمون الرأي على أن يثيروا عليك
 بالاستخارة في ترك ذلك والرجوع اخذاً بالرخصة (لانه ورد أن الله يحب

أن توخذ رخصه) وما كلفت به من امر الإمامة ومصالح الاسلام والمسلمين
واقامة العدل شيء عظيم عند الله تعالى .

* وبعد أن أثني عليهم بما أظهروه من الاهتمام بالدين بين لهم شدة تعلق
قلبه بزيارة تلك البقاع المقدسة وأنه لا يمكنه الرجوع الا بقول معتمد ظاهر
الحجة من أكابر علماء المذهب وكأنه لم يطمئن الى الاخذ بقول علماء الغرب
باتقراده وبما علمه هو وأراد تقويته بقول علماء المشرق وكان المرجع في الفتوى
لاصحابنا في المشرق اذ ذاك العلامة المحدث الربيع بن حبيب والعلامة ابن عباد
رضي الله عنهما فارسل الامام اليهما رسولا بكتاب من عنده يستفتيها في
ذلك وبقي في انتظار الرسول الى أن عاد بالجواب . فكان من جواب الربيع
جواز اعطاء الاجرة لمن يحج عليه حيث كان مشغولا بأمر المسلمين
والاسلام مع خوفه على نفسه من ملوك المشرق وكان من جواب ابن عباد
سقوط فرض الحج بالكلية ممن كان بهذه الصفة (وبكل أسف لم نثر على كلا
مهما حتى نقله بعينه)

* فأخذ الامام احتياطاً بقول الربيع واستأجر رجلاً من بلدة (تمزدا)
بفتح التاء والميم وسكون الزاي وهي من احدي القرى الكبيرة في ناحية
جبل فساطو عامرة الآن بالاباضية وفيها قليل من العرب المالكية وبعد أن
توجه الاجير الى الحج أقام الامام بقرية (ميري) وكانها من اشهر بلاد الجبل
في ذلك العهد ولذلك اختارها لاقامته أو فعل ذلك لانها جاءت وسطاً بين
طرفي الجبل وبني فيها مسجده المشهور الآن بمسجد سيدي عبد الوهاب
وقد تهدم بعضه لخراب البلدة بجلاء أهلها وهرقهم في البلاد بتسلط العرب
عليهم بالغارة عند قتلهم وفي هذا الوقت يضع عرب الرجبان في وسطه

وفيما يليه من الارض مما يعد من حريمه زرعه تأميناً له من السرقة كما هي العادة في كثير من القرى والبوادي لما يشاهدونه لتلك المساجد والمقامات من الكرامات حتى هابها المفسدون وطالما نهنا عليهم هنالك على هذا العمل ولم يفن الكلام شيئاً لما عليه العامة في كل الجهات من شدة التمسك بالعوائد وأشدّهم تمسكاً بذلك أهل البوادي والقرى الصغيرة والتي لا علم فيها حتى أنهم قد يعدون العادة من الدين وان كانت في الواقع معصية فتراهم يهتكون الحرمه توصلاً الى الاحترام فيدخلون دوابهم الى المسجد فتبول فيه وتروث ليضعوا فيه زرعه حماية له باعتقاد البركة فيه وقد زرت هذا المسجد مراراً فرجده في غاية الاتساع والكبر وما بقي فيه من البناء الاول واتقاضه يدل على ما كان فيه من حسن الترتيب والصنعة طالما عمره هذا الامام بمجالس الذكر العظيم وأضاء فيه الليالي الطوال بالعبادة والقاء الدروس على اختلاف فنونها ويقال ان غالب دروسه في السبع سنين التي أقامها هناك في مسائل الصلاة خاصة ولم يتمها .

* وبالجملة فقد نشر في تلك المدة من درر البيان وجواهر التبيان ما اهتدى به كل جاهل واستضاء به كل مظلم وتنبه به كل غافل من علوم زاهره . ومواعظ زاجره . وأحاديث فاخره . عطفت عليه الالباب . وأخضعت له الرقاب . فأتسعت حلقة مجلسه المهيّب وانتظم في سلك عقدها العلماء الراسخون وأمها من الفقهاء والعلماء والادباء والعباد وأهل الصلاح من نفوسه وغيرهم من يتلج ذكركم الصدور ويملاّ حديث مفاخرهم ومزايهم الدفاتر والسطور . فرحم الله الكل ورضي عنهم .

حكاية أبي عبيدة في نهى

الامام رحمه الله

• وتمادون في التاريخ ان خيل الامام ودوابه أفسدت بعض المزروعات
والاشجار المجاورة لمرعاهما بهاون الرعاة واهمالها فبلغ الخبر أبا عبيدة عبد الحميد
الجنائني ذلك الرجل الباسل علامة عصره وكان شديد الشكيمة في الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر عالي الهمة بعيد ألباه لا يخاف في الله لومة لائم
ذا علم غزير وورع زائد وزهد فائق وفصاحة بالغة فأتى الى الامام مستأذناً
فأذن له ولما دخل وسلم كما يلزم قال وهو قابض على سيفه مخاطباً للامام يا أمير
المؤمنين قد أذيت الضعفاء والفقراء واليتامى بخيلك لاهمال رعائك فكفها
عن المضرة والاحال يتنا ويبتك هذا (يعني السيف) فأطرق الامام لحظة
من الزمن مفكراً وقال ان كان أبو عبيدة في شيء من هذا القطر فهو هذا
فقال له الحاضرون الامر كذلك فقال صدق المشايخ الذين زارونا بتبهرت وأعجبنا
حالهم وسألناهم عن خلفه في الجبل اذ قالوا تركنا من هو خير منا وهو أبو عبيدة
ثم قرب مكانه منه وشرف منزلته ورسخت محبته عنده حتى اختاره بعد
ذلك لامارة الجبل كما سيأتي. ذكر الحكاية كل مؤرخينا وفيما ذكره
اختصار محجف بما يقتضيه المقام بل في كلامهم ما يوهم ان الحكاية وقعت
بعد وصول الامام الى قرية ميري واقامته فيها وهو أمر يستبعد العقل جداً
فان أبا عبيدة مع جلالة قدره وشهرته لا يمكن ان يجهله الامام حتى يستفهم
عنه بل لا يمكن أن يعرف أجداً قبله فالمناسب أن يقال ان القضية وقعت حال
مسير الامام بين قرى الجبل قبل وصوله ناحية فساطو وقبل اجتماعه برجال
تلك الجهة أو يقال ان أبا عبيدة كان مسافراً في بعض جهات بعيدة ولم يأت

الا بعد وصول الامام واقامته والله أعلم بالواقع وعلى كل حال فالمسئلة دليل قاطع على ما كان لرجال الاباضية من قلة المبالاة في الدين وما كان لائمتهم من الخضوع للحق وقبول المرشد من اربابها والمكافأة عليها بزيادة الاحترام والاعتبار والرضاء التام وفي ذلك من الترغيب في ابداء النصائح مالا يخفى رضي الله عن الجميع .

محاصرة هذا الامام لمدينة طرابلس *

* كانت قبيلة هواره من البربر قبيلة كثيرة الانفاذ واسعة الاطراف ذات جموع كثيرة رجالا وفرسانا تحيط منازلها بطرابلس احاطة السوار بالمعصم وكلها اباضية المذهب والآن كلها مالكية وكانت كلها او غالبها خاضعة لعامل بني الاغلب بطرابلس ثم وقع بينهما خلاف كبير (لم يذكر المؤرخون سببه) أدى الى وقوع شقاق فخرج اليها الجند من طرابلس الى وادي الرمل ولما التقى الجمعان وانتشبت الحرب ولي الجند منهزما الى المدينة فاتبعته جنود هواره اليها وحاصروها قال ابن خلدون عند الكلام على ذلك في الجزء (٦) هكذا

* ثم ثارت هواره من بعد ذلك على ابراهيم بن الاغلب سنة ١٨٦ وحصروا طرابلس وافتحوها وخربوها وتولى كبير ذلك عياض ووهب آه ولا ذكر لهذين الرجلين في كتب الاباضية أمحبا لنا ولعلمهما في غير الولاية عندهم . ولما ضاق الحال بالجند خرج هاربا الى ابراهيم بن الاغلب بافريقية وكان بمديته القيروان والياهارون الرشيد ثم لابنه الامين .

ولما بلغه بعد أن لاقى من الخسارة في الاموال والرجال شيئا كثيرا وجه الى طرابلس ابنه عبد الله في ثلاثة عشر الف فارس وعدد وافر من

الرجال وجدد القتال مع هوارة حتى كاد يأخذ بثاره منهم فاستغاثوا بالامام عبد الوهاب ولما لم يمكنه الا تلبية دعوتهم للعلاقة المذهبية ولما في اغاثة المظلوم للقادر من الثواب الجزيل جهرز من الجبل جيشاً جراراً وسار به حتى نزل على المدينة وحاصرها محاصرة شديدة مدة من الزمن لم يبينها المؤرخون فسد عبد الله باب زناتة وصار يقاتل من باب هوارة وفي أثناء ذلك استشهد العلامة الشيخ مهدي النفوسي المتكلم الجليل الذي تقدم انه ذهب الى تهرت في مقام مائة عالم . وذلك انه اقرء عن المسكر على شاطئ البحر ورأوه من المدينة فسيحوا اليه وقتلوه وأخذوا رأسه وعلقوه على السور فان قالوا له انهزم أصحابك الاباضية عيس وانقبض وان قالوا له انهزم الجند تبسم وانبسط . نقل ذلك الشماخي وغيره رحمهم الله (وان لله خرق العوائد فلا غرابة) . وقد صعب موته على الامام والمسلمين كثيراً واستعظموا مصيبته وان كان القضاء لا يرد وكل حي خلق للموت الا ان لموت مثله في مثل ذلك الوقت الذي هم في حاجة فيه الى أمثاله وقع عظيم .

وحيث ان المدينة حصينة جداً وسورها في غاية المنعة صعب على الامام افتتاحها فصار يجمع رجاله لتدبير الوسائل المعينة على ذلك كل ليلة وكلما دبر بالليل رأياً وجده بالانهار فاشيا في العسكر فيؤخر عن حضور مجلسه في الليلة المقبلة من يثمه بافشاء السر وصار يفعل ذلك كل ليلة الى أن بقي هو ووزيره ذلك السياسي الكبير المدبر الخطير العاقل الشير باصابة الرأي والصدق في الاقوال والافعال (مزور بن عمران) فقال عند ذلك لا أحاصر مدينة كهذه في المنعة برجل واحد . وفي ذلك الوقت أرسل اليه عبد الله رسولا يطلب منه الصالح لما بلغته وفاة والده ابراهيم بالقيروان فأجاب الامام طلبه وخفف وطأة

الحصار وأبرم معه عهداً على أن تكون المدينة والبحر لعبد الله وما كان خارج المدينة كله الى نهاية أرض سرت للامام فدخلت هوارة كلها ومن معها من القبائل في دائرة حكم الامام وولى على الكل عمالاً من عنده وعاد بمساكره راجعاً الى الجبل وقد نودي بالآمان في المسكرين وفتحت أبواب المدينة وعادت المعاملة بين الناس الى مجراها واستقل كل بما خصصته له تلك المعاهدة .

والظاهر أن حركة هوارة وتشبثها بمخالفة بني الاغلب إنما كانت والله أعلم لغرض خاص وهو التوصل الى الانضمام الى دولة بني رستم الحاكمة على جبل نفوسة الموافقة لها في المذهب وزادها رغبة في ذلك حضور الامام بالجبل طمعا في اعانتها أياها كما وقع وهو المفهوم من كلام ابن خلدون حيث قال وحجبي هوارة ببعد الوهاب بن رستم من مكان امارتهم بتاهرت فجاءهم واجتمعوا اليه مع قبائل نفوسة وحاصروا أبا العباس الخ وان كان الصحيح أن اصل مجيئ الامام من تيهرت الى الجبل كان لاجل الحج كما مر لا بطلب من هوارة كما قال والله أعلم .

— محاصرة عسكر الامام لمدينة قابس —

ولما توجه الامام من طرابلس الى الجبل أرسل من طرفه قطفان بن سلمة الزواغي في عسكر الى البلاد الغربية من طرابلس فرتب فيها العمال ولما وصل مدينة قابس امتنع عامل بني الاغلب فيها من الدخول في الطاعة والتسليم فشدد قطفان الحصار على المدينة الى ان استولى عليها وهي مدينة مستبحرة العمران ذات نخيل وافر وأنهار جارية مشهورة بين مدن الغرب في ذلك العصر ثم انتقل منها الى ما يليها من القرى والجبال كطماطة وزنقة

الى جبال دمر التي هي في حكم الامام من قبل ذلك والى جزيرة جربة
فاستولى على الكل ورتب فيها المال .

— ﴿ رجوع الامام الى تهرت وتعيينه السمع عاملاً ﴾ —

﴿ على الجبل بعده ﴾

وبعد أن اطمأن الامام على ما استولى عليه في رحلته هذه ورتب كل
ما يلزم ترتيبه مما يعود على الرعية بالراحة والامن في هذه الولاية الطرابلسية
التي تحدها شرقاً بأرض سرت وغرباً بجبال مطماطة ودمرو عاد اليه أجيره من الحج
عزم على العود الى تهرت ولما شاع خبر ذلك اجتمع اليه اهل الفضل
والصلاح من نقوسة وغيرهم وسألوه أن يولي عليهم واليا قبل سفره يستندون
اليه امورهم ويقيم فيهم العدل ويقبض حقوق بيت مال المسلمين
ويرسلها اليه .

* فخيرهم في بعض وزرائه فأبوا الا وزير السمع بن أبي الخطاب عبداً على
الامام الاول بطرابلس وكان الامام ضيقاً به محباً له لما رآه منه من النصيح لدولته
مع سداد الرأي وحسن السياسة فصحب عليه فراقه ولما لم يجد مخلصاً من
توليته لشدة رغبته فيه أجاب طلبهم وقال (قد علمتم يا معشر المسلمين ان
السمع وزيرى وأخص الناس بي وأحبهم الي وأنصحهم لدولتي وبذلك
لا أصبر على فراقه وقد آثرتكم على نفسي تميماً لرغبتكم فما اناذا قد وليته
عليكم فاحسنوا الطاعة له والالتقياد لاوامره ماسار فيكم بسيرة المسلمين ولم
يحد عن جادة العدل والانصاف ولم يرتكب ما يؤذن بسخط الرب وبمخالفتنا)
* وقد ذكر العلامة الشماخي رحمه الله في السير أن من كان مع الامام من
الفرس والاتباع تزوجوا أيام اقامتهم معه في الجبل باماء بني زمور وخوف العنت

ولما أرادوا الرجوع معه أيضا إلى تيمرت رفعوا ما ولدن منهم من
الاولاد أمامهم على الخيل فجاء أبو عبيدة رحمه الله وأنزلهم عن السروج
قائلا خذوا عبيدكم يا بني زمور (لان ولد الامة ملك لسيدها)

ثم ودعهم الامام وودعوه بأعين سائلة وقد حل بهم من الاسف والحسرة
بفراقه وفراق مجالسه العلمية ما جعلهم في حيرة وزاده محبة في قلوبهم
فأحسن السيرة فيهم بعده واليهم السمع وعدل في الاحكام وساس الرعية
بأقوم سياسة ورتب المال والقضاة ورجال الشرطة من امناء الاهالي في
النقط المهمة وراى كز العمران وفق مرغوب أمامه بحيث لم ينكروا عليه
شيئا في مدة ولايته كلها لا يخرج عن رأي الامام ولا يخالف له أمرا إلى
ان أدركته منيته والمسلمون والامام في رضاه عنه

❦ وفاة السمع رحمه الله وولاية ابنه خلف وما ❦

❦ نشأ عنها من الفساد ❦

ولما حضرت السمع الوفاة اجتمع اليه اهل الرأي من المسلمين وقالوا
له أوصنا بما بدالك يرحمك الله وانصحنا فانا طيعون لامرك وقابلون
لنصيحتك اذ لم تقصر من قبل هذا في كل ما يجلب لنا الخير ديننا ودنيا
وانا نقدم لك على ذلك الشكر ونسأل الله تعالى أن يكافئك
بما هو أهله .

فقال لهم أوصيكم بتقوى الله تعالى واتباع ما أمركم به الشرع الشريف
وبطاعة امامكم عبد الوهاب وتأيدته ونصرته ما دام مستقيما على الحق الذي
مضى عليه السلف الصالح من المسلمين .

ثم سار إلى رحته تعالى ماسوقا عليه يندبه كل من عرف سيرته وأطلع

على أحكامه وقد بلغ في الناس موته مبلغا عظيما وبعد تشييع جنازته ودفنه
اجتمعوا للنظر فيما يصلح أمرهم ويحفظ جامعتهم الى أن يعرفوا الامام بوفاته
ويأتهم الامر منه بتعيين غيره .

ولدي المذاكرة بادرت العامة ومن لا نظر لهم في عواقب الامور
الى نصب ابنه خلف مكانه ظنا منهم ان ذلك ارضى لامير المؤمنين وأوفق
لرأيه لما فيه من احياء أثر السمع وجبر خاطر طائفة وتهوين مصيبتهم . وأنكر
الخاصة ذلك كأبي الحسن أيوب بن العباس وأبي المنيب اسماعيل بن درار
الغدامسي وغيرهما وقالوا لا يجوز لنا أن تقدم أحدا قبل ان نستأذن ولي
الامر في ذلك فتعللت العامة ومن رغب في تقديم خاف بعد المسافة قائلين
نقدمه موقتا ونعرف الامام فان رضي به رضينا به وذلك ما كنا نبغي وان
عين لنا غيره قبلناه وتركنا هذا فسكت من انكر ذلك طالبا للسلامة وفرارا
من التفرق وتشعب الآراء ووصولها الى درجة المراء ثم كتبوا كتابا الى
الامام بينوا له فيه وفاة السمع وتقديم بعض الناس ابن خلف وانكار بعضهم
ذلك وقالوا له الامر موقوف الى أن يأتي كتابك فان رضيت به قبلناه
وان أخرته أخرناه وأرسلوه الى الامام مع رسول مخصوص ولما بلغ الامام
تأسف واغم وتحسر تحسرا لا مزيد عليه لوفاة وزيره السمع وأجابهم عن
كتابهم بهذا الجواب .

﴿ جواب الامام رحمه الله الى جبل نفوسة في ﴾

﴿ مسألة خلف ﴾

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله »

﴿ من أمير المؤمنين عبد الوهاب ﴾ الى جماعة المسلمين بميز طرابلس

أما بعد فإني آمركم بتقوى الله واتباع ما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه .
وقد بلغني ما كتبتم به إلي من وفاة السمع واستخلاف بعض الناس خلفا
ورد أهل الخير ذلك .

فإن من ولي خلفا من غير رضا امامه فقد اخطأ سيرة المسلمين ومن
أبى من توليته فقد أصاب فإذا اتاكم كتابي هذا فليرجع كل عامل استعمله
منكم السمع إلى عماله التي ولي عليها الا خلف بن السمع فحتى يأتيه أمري
وتوبوا إلى ربكم وراجعوا التوبة لعلكم تفلحون اه .

ودفعه للرسول فأتى به إلى طراباس ولما فتحوه في الجبل ووجدوا فيه
تمخطة من نصب خلفا والرضا عن أنكر ذلك استعظم الذين قدموه الأمر
وأنفوا من إبطال الامام عمالهم وقد ذاق خاف في تلك المدة حلاوة الحكم
وتلذذ بطلاوة الأمر والنهي ففض بنواجده عليها وحث أصحابه على التمسك
بما فعلوه وأن يكرروا الكتابة إلى الامام في تنفيذ ما كان منهم من تقديمه .

وكأنني به وقد وعدهم بالوظائف وبنام بأمانتي جعلتهم أشد الناس
حرصا على الطلب كما فعل ابن قندين وشعيب فكتبوا عند ذلك إلى الامام
كتابا آخر في ذلك وأرسلوه ولما وصل الامام استشر من القوم الدخول
في دور العناد وأحس بوقوع التفرق فتربص في الجواب وتفكر في سد
هذه الثامة . لئلا ولا ريب في أنه لا محيص له من أحد أمرين خطيرين فاما
أن يجيبهم إلى ما طلبوه فيعدون ذلك عجزا عن معاكستهم ويستفحل أمرهم
وتنكسر شوكة الآخرين وربما يعود خلف إلى التسلط عليهم إذا استبد بال رأي
واستقل (والناس أتباع لمن غلب) واما ان يصددهم عن طلبهم ويعين غيره
فيتمو غيظهم ويتضاعف شرهم ويفسدون في الارض ويجعلون ذلك ذريعة

الى طالب الاستقلال متى وجدوا فرصة بمساعدة أولي الفساد وعلى كلا الحالين
فالأمر مشكل .

ثم جزم بعد اقدام واحجام على طريقة اكتشاف بها الحقيقة ووقف
على نوايا خلف وحزبه وذلك انه كتب باسم خلف كتابين أحدهما فيه عزله
وأمره بتقوي الله تعالى واعتزال أمور المسلمين والتوبة مما صدر منه من
الخطاء وحرم عليه فيه أخذ صدقات الناس . وثانيهما فيه توليته . وكتب كتاباً
ثالثاً الى من اتهمهم من وجهاء المسلمين بيجز طرابلس أمرهم فيه بأن يعطوا
خلف كتاب عزله أولاً فان قبل وسلم الامر ولم يعاند سلموا له الكتاب الثاني
الذي فيه أمر ولايته وفوضوا له الامر وان أبي ترك الامور والتسليم واستكبر
تركوه وفيه وعرفوه بذلك ليدي لهم فيه رأيه .

ولما وصلت الكتب الى من وجهت اليهم بطرابلس امثلوا الأمر فسلموا
خلف الكتاب الاول ولما وجد فيه عزله أبي واستكبر وأصر على مباشرة
الامور غير مكثرت بعزل الامام رضي المسلمون أم كرهوا وساعده على
ذلك جماعته واختل نظام الحكم عند ذلك ثم ات جماعته كتبوا كتاباً الى
السلامة أبي سفيان محبوب بن الرحيل وهو اذ ذاك مرجع أهل الدعوة
بالشرق بعد الربيع ومعاصريه يستفتونه في المسئلة راجين أن يجوز لهم
الخروج عن طاعة الامام ونصب خلف اماماً مستقلاً بدعوى أنهم منقطعون
عن تهرت ومنفصلون عنها بولايات بني الاغلب كما مر فكتب اليهم بعد أن
وصله كتابهم مع رسالهم بخطته من ولي خلفاً وأمرهم بطاعة الامام وحرم عليهم
الخروج عنه (وكما بحثنا عن هذين الكتابين لم نقف لهما على أثر) ولما وصلهم
الكتاب وكان على خلاف ماؤولهم نبذوه وراءهم ظهرياً وأنكروا امامة عبد

الوهاب وبأياموا خلفنا . وعند ذلك حرر جماعة المسلمين الى الامام كتاباً في ذلك مفصلاً .

❦ ولاية أيوب بن العباس رحمه الله على الجبل ❦

ولما وصل كتابهم الى الامام كتب بالولاية الى العلامة الباسل أبي الحسن أيوب بن العباس أحد الأربعة المتقدمين في الذكر وكان ذا بأس وشدة في الدين ولما بلغه الأمر فرح المسلمون بذلك وهابه خلف وأتباعه قالتموا السكينة ورفع هو راية العدل وحمل الناس على الواضحة وسار فيهم سيرة حمدها جلياءهم وحقيرهم ولا زال في رضاء الامام وقبوله الي ان حضرته منيته وسار الى عفوريه وسعة رحمته وهو في رضاء المسلمين (ولم تقف على ما بين مدة ولايته) فالحق المسلمين بفقده من الكدر مالم يلحقهم على أحد قبله لما أظهره في مدة ولايته من العدل ولا خماذه فتنة خلف .

وبعد أن شيعت جنازته ودفن أرسل المسلمون من نفوسة ومن معهم الى الامام كتاباً بوفاته وطلبوا منه تعيين من يقوم مقامه ولما وصله الكتاب أدركه من الكدر ما أنساه حرارة جرة وفاة السمع قبله ثم تفكر ملياً فيمن يوليه الأمر فلم يهتد الى أحد لا رتبك أفكاره وتغير سماء ذهنه بمصيبة هذا الشهم الجليل التي ذكرته رزية ذلك الطود الفاخر فأرسل اليهم ان يختاروا من كان منهم أهلاً لها ويرفوه ليأذن لهم في تقديمه .

❦ ولاية أبي عبيدة عبد الحميد رحمه الله على الجبل ❦

ولما ورد عليهم كتاب الامام اجتمعوا لقراءته واتفقوا على أبي عبيدة عبد الحميد الجناوني ذلك الرجل المشهور بالعلم والورع وكتبوا الى الامام بذلك كتاباً ولما وصله رد في الحال اليهم كتاباً بالاذن في توليته ولما بلغهم استبشروا

وأرسلوا إلى أبي عبيدة (وكانه لم يبلغه خبر اتفاقهم الأول ولعله كان سراً) فحضر إلى المجتمع وبلغوه اذن الامام وقالوا له ان أمير المؤمنين يأمرنا بطاعتك والالتقاد لأوامرك على ان تقضي فينا بكتاب الله وسنة رسوله وآثار الصالحين فماذا تقول .

فاستعظم أبو عبيدة الامر ورهب من ذلك الموقف الجلل لما في مستقبله من الصعوبات بوجود خلف واتباعه الشاقين لمصا الطاعة ولما في تقلد أمور المسلمين من المشقة وسوء العاقبة دينا ودنيا ان زاغ يوماً (لا سأل الله) عن جادة الصواب فلم يكن منه الا أن دفع ذلك عنه وتبرأ قائلاً أنا ضعيف أنا ضعيف أنا ضعيف (عن القيام بهذا الامر العظيم فانظروا غيري) ولما لم ينالوا منه طوعاً ولم يظفروا بمراد بعد كل رجاء اعدوا الخبر إلى الامام وبينوا له ما جرى مفصلاً فازدادت رغبة الامام فيه وتقرس فيه النجاح .

فأرسل اليهم كتاباً مصدراً بأيمان مغلفة بأربع لغات عربية وحضرية وبربرية وحبشية (لانه كان رحمه الله يتكلم بلغات متعددة) على انه لا يقلد أمر المسلمين الا رجلاً يقول أنا ضعيف وكأنه رحمه الله أدرك بذكائه حكمة تكرير أبي عبيدة جملة أنا ضعيف ثلاثاً فكتب إليه الامر بالدخول في العمل وحتم عليه قبول الولاية وقال له ان كنت ضعيفاً في البدن فادخل في أمور المسلمين والله يقويك وان كنت ضعيفاً في المال فبت مال المسلمين يسمعك ويسع غيرك وان كنت ضعيفاً في العلم فمليك بأبي زكرياء التوكيتي . ولما ورد الكتاب على نفوسة اجتمعوا وطلبوا ابا عبيدة فحضر وأطاعوه على قول الامام وقالوا له لا يسمعك الا الآن الا القبول وامثال الامر . واذ ذاك علم انه لا محيص له عن القبول الا أن من باب الثبات

والتاني في ذوات البال من المسائل سألهم المهلة في الجواب ثم توجه الى عبوز هنالك مشهورة بالعلم والزهد وصيكان يتهاجماً للعلماء واهل الصلاح من المسلمين وقال لها ان امير المؤمنين قد ألح علي في التولية على الجبل بعد كل امتناع مني وقد جئتك مستشيراً فما وأيك . فقالت له ان كنت تعلم ان في نفوسة من هو افضل منك واقوي على القيام بالامر وتقدمت فستكون خشبة في جهنم وان علمت انه لا يوجد فيهم ذلك وتأخرت فكذلك . (وليس هذا الكلام من قيل كلام ابن فندين ومن معه فليتأمل) فقال لها أما في امور الرجال فلا اري ان احداً يقوم مقامى (وهذا ايضاً منه رحمه الله حكاية للواقع لانه في مقام الاستشارة الموجهة لذلك لا افتخار) فقالت له ادخل حينئذ في الامر واشهر الحق والا فسخ الله عظامك في النار . فرجع الى الجماعة وهم في انتظار وقبل الأمر قفرح الناس فرحاً شديداً وعمهم السرور حتى قالوا امضوا بنا لزيارة (وقاية) فانها افضل من عمائمنا حيث كانت السبب في قبوله الولاية .

فشمر رحمه الله لاهياء السيرة وعدا في الاحكام واستعمل على النواحي من حسنت سيرته وطابت سريرته من المسلمين واستصحب معه للمشورة في مهمات الامور خيار المسلمين وارباب العلم والنصيحة في الدين كابي زكرياء المذكور وابي مرداس وابي الحسن الابدلي وغيرهم ممن يطول ذكرهم * وقد ذكر العلامة الشماخي رحمه الله نقلاً من الطبقات انه كان اجد علماء نفوسة الموصوفين بالاخلاق النفيسة ميلاً الى ما طبع عليه من الورع واطراح الحرص في الدنيا وترك الطمع وقال كان غاية في انقاذ الامور وامضائها وقائماً بالمدافعة لاحوال البغاة ودفاعها ووافياً بما امر به من

اصلاح النفس والدين والدنيا وتحصينهما اهـ

* ولما بلغ خبر قبوله الولاية الى خلف طارت شرارة غضبه بين قومه وتولى الشيطان كبره ورفع راية العناد وجدد الخلاف والانكار على الامام ثم شن الغارة على بعض الاطراف مما تحت حكم أبي عبيدة وعثا في الارض فأخاف السبل وقطع المواصلات بين الناس فأرسل أبو عبيدة الى الامام ببيان ذلك كله وأستاذنه في محاربته وكان الامام كما قلناه شديد التحري في سفك الدماء واعلان الحرب فلا يقدم على شيء من ذلك الا بوجه شرعي لا خلاف فيه فرد الي أبي عبيدة الجواب بملاطفة خاف ومناصحة وعدم المبادرة الى فتح باب القتال معه الا ان فاجأهم بمكروه فليدفعوه عن أنفسهم بأقرب وسيلة وأبعد طريق عن المضره فامثل أبو عبيدة الامر وعدل الى السكون فهدأت حركة خلف قائماً بما في حيزه ساعياً في استمالة الناس اليه .

حكاية ابن يانس المتفسد التابع لخلف وجواب الامام اليه ~~هـ~~
 وكان من خواص رجال خلف عمرو بن يانس منبع التهمة ومعدن الفساد وجراثيمة الشر وأمس المتعريات الذي كان دابه تتبع خطايا المسلمين وزلاتهم . والنجس عن أحوال الناس خاصتهم وعامتهم لا ينهم عن منكر فعلوه أو يأمرهم بمعروف ضيعوه بل ليتوصل بتلك الاكتشافات الى القاء العداوة والبغضاء بين الناس وايقاد نار الفتنة . فان هذا الرجل كان يكتب الامام بكل ما يسمعه من خطاء في فعل أو قول من أعيان المسلمين مع زيادة أضعاف ذلك زوراً وبهتاناً بدون أن يكلفه الامام بشيء من ذلك زاعماً انه يخدم دولة الامام والاسلام تشبهاً بأرباب الاصلاح (وما هو الا مفسد كذوب) شان كثيرين من شياطين الانس في كل زمان ومكان ويعبر عنهم في بعض

البلاد الآن بالشاشيدات فاز شأهم مخابرة الحكام سرأبعورات الناس مع
الطعن في خواصهم على اقتراء في أكثر الاحوال غواية من الشيطان الرجيم
وحسداً وطمعاً في حطام الدنيا والعباد بالله .

* ولما أكثر عمرو هذا من مخاطبة الامام وتبين له زوره وكذبه كتب
اليه كتاباً في غاية الايجاز كله حكم وجواهر ترشد الحائر وتهدي الضال
وتبكت الكاذب كما تدل على ذلك قطعة منه عثرنا عليها تصدق ما يقال من أن
كلام الملوك ملوك الكلام وهذا نصها .

﴿ أعاذنا الله يا عمر بن يانس من النزول بعد الطلوع ومن الترك
بعد الاجتهاد ومن بغض المسلمين بعد محبتهم ومن نفاق تخفيه الصدور ومن
اقتحام الاشياء من غير تجارب اهـ . ﴾

* وأمر رسله أن يلتموه اليه وقال لهم ما أظنكم الا أن تدركوه ميتاً وقد
كفى الله المسلمين شره . ولما أشرف الرسولون على بلدته رأوا نهشاً خارجاً
فقالوا من هذا فقيل لهم عمرو بن يانس فقالوا الحمد لله الذي استجاب دعوة
الامام فيه .

* وكان عمرو هذا ممن يتلقى العلوم عن شيخه العلامة الكامل أخيه أبي
المنيب مامد (محمد) بن يانس مع الشيخ العلامة أبي خليل الا أن للشيخ رحمه الله
فرقاً فيهما في المعاملة بالهام من الله فكان اذا دخل عليه أبو خليل أظهر
احترامه وتمظيمه حتى انه ليقعد اذا دخل عليه وهو مستند بخلاف ما اذا دخل
عليه عمرو فانه يعكس الامر ولما سئل عن ذلك قال اما أبو خليل فانه يعلم الله
وأما عمرو فانه يعلم ليؤذي المسلمين ويعتهم فآك أمر أبي خليل الى أن
صار قدوة في الدين وكهفاً للمسلمين وآل أمر عمرو الى ما ذكرناه من الانضمام

الى خلف . والله في خلقه تصرف غريب . يفضل من يشاء ويهدي من يشاء .
 ﴿ فن رد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن رد أن يفضله يجعل
 صدره ضيقاً حرجاً ﴾ وبقي أبو عبيدة رحمه الله قائماً بأموره في حيزه مواظباً
 للامام بما يجب من المال حتى اتقضى أجل الامام فذهب رحمه الله الى دار
 البقاء والمسلمون شرقاً وغرباً راضون عنه كما ستطلع عليه في هذا الجواب .
 - ﴿ جواب الى امام عمان ﴾ -

* وقد وقفت على رسالة من أرباب الصلاح والاصلاح من أهل الدعوة
 الاباضية بالشرق كتابها مجبولون أرسلوها الى امام عمان بتاريخ ٢٣٧ هـ جريه
 تقريباً ينصحونه فيها كما هو شأنهم في كل عصر افتحوها بما نصه .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله على نبينا محمد وعلى آله ﴾
 الى امام المسلمين الصلت بن مالك المبتلى بأمور أهل عمان ومن
 وصله كتابنا هذا من المسلمين أهل عمان من أهل النصيحة لهم والشفقة
 عليهم اخوانهم وأهل دعوتهم من أهل الستر في أمكنتهم . سلام عليكم
 الى آخرها . وهي طويلة تتجاوز عشرين ورقة كلها مرشد وقواعد لشد
 دعائم الامامة وحفظ هيكلها وفيها ما يدل صريحاً على أن اباضية المشرق في
 مسألة الامام عبد الوهاب مع ابن فندين بكلمهم على رأي واحد موافقون
 لرأي الربيع رحمه الله في الرضاء عنه والاقرار بامامته في المغرب
 وتخطئة المنكرين عليه وهذا ما حرره كاتب تلك الرسالة في ذلك
 بالحرف الواحد .

﴿ قال ﴾

* ولو أن فرقة من المسلمين خرجوا عن الامام ياتسون منه أشياء

ويدعونها عليه مما لا يستدل المسلمون على أنهم صادقون فيه او كاذبون
والامام ينكر ذلك ويدعي عليهم ظلماً ايضاً لا يعرف المسلمون ما يدكر فيه
نفرجوا عليه واستحلوا قتاله من قبل أن يوضحوا عليه تلك الاشياء التي
ادعوها فهم بغاة على الامام ويحل للامام قتالهم . وذلك لانه لا ينبغي
للمسلمين أن يقتلوا امامهم بالاشياء التي يدعونها عليه حتى يوضحوا له ما
ادعوه ويستتيبوه فيصر ولا يتوب ويأبى الاختلاع عنهم . فان تعدوا عليه
فقاتلوه وزحفوا اليه يطالبون ازالة امامته بمجرد الدعوى لا غير فقد حل
الامام وجميع المسلمين قتالهم لبغيتهم وتركهم رأي من كان قبلهم
من المسلمين .

• وبهذه المنزلة كانت الخارجية على عبد الوهاب (امام المغرب)
لاستحلالهم الخروج عليه بدعوى الشروط التي يقرون على أنفسهم بالظلم فيها
وقولهم نزل لك لانا أصبنا من هو أعظم منك . وقد كان المسلمون رحمة
الله عليهم ولوا من ولوه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الرعية
من هو أعلم منهم في الاحكام ولو كان الامر كما زعموه من عزل الامام
كما حدث من هو أعلم منه لكان أمر المسلمين مختلطاً أبداً ولكانوا كل
يوم في انتظار ظهور من يزيل امامة امامهم والحال أن المسلمين قد ولوا أبا بكر
رحمه الله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ بن جبل حاضر وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ أعلم العلماء وقال معاذ أعلم أمي بالخلال
والحرام فلما استحل الخارجون على عبد الوهاب الخروج عليه بالاشياء التي
يعلم المسلمون انها بدعة وخطأ واتها لا تزيل امامته علموا أنهم مخطئون
مبتدعون فدعوه الى ترك ما دخلوا فيه من البدعة والى مراجعة الحق فأبوا

الاتحادياً على المعصية ثم زحفوا الى المسلمين فقاتلهم المسلمون وامامهم عبد الوهاب على اصرارهم على المعصية وادعائهم زوال امامته بلا حدث واضح عند المسلمين انتهى المراد منه .

❦ تصحيح قول ❦

❦ كنت أعتقد أن الامام الكبير ابا عبيدة مسلماً رضي الله عنه توفي في أواخر دولة الامام عبد الرحمن رضي الله عنه لما يؤخذ من ظاهر كلام أبي زكرياء رحمه الله وقد مر ذكره . واعدت ذكره في الكتب الموجهة الى المشرق مدة خروج ابن فندين عن الامام عبد الوهاب . ثم عثرت في رسالة للعلامة محمد بن محبوب العماني الى أهل المغرب على ما يؤذن بخلاف ذلك اذ قال رحمه الله بعد كلام هكذا ❦ وذلك في زمان أبي عبيدة مسلم وعن رأيه كان ذلك من عقد أهل المغرب لأبي الخطاب ثم ابن رستم بعده ثم عبيد الوهاب بعد ذلك اهـ

❦ فدعاني هذا الى البحث على اكتساب حقيقة ذلك حتى وقفت على قطعة رسالة في مجموع لبعض أصحابنا المشاركة ذكر كاتبها انها من الامام أبي عبيدة الى الامام عبد الوهاب فتبينت انه حضر له وانه كتب الرسالة في صدر امامته وتوفي قبل خروج ابن فندين عنه ولذلك لم يذكر في جوابات الشرق والله أعلم .

❦ والموجود من هذه الرسالة آخرها لا غير لان صاحب الكتاب المنقول منه قال هكذا .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

ومن سيرة الامام أبي عبيدة الى الامام عبد الوهاب

« بن عبد الرحمن بن رستم »

قال لا يخلو اما أن تكون دعوت الناس الى نصرتك على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يجيئك وأفردت فهلك القوم وثبت ولايتك لاخوانك وزالت امامتك . واما أن لا تكون دعوتهم فزالت امامتك بالتضييع واستعلان الباطل قبلك وامامة الحق فلا امامة لك . واما ان تحمل سيفك على عاتقك فتغيء الله بما ضمه لله وتلحق بأئمة المسلمين قبلك فيهلك من استنصرته فخذ لك . واما ان تكون رجلا قد عزت نفسك عليك ومن قبلك فزالت المسلمين من ولايتك والسلام انتهى .

* وعلى أثر هذا تفسير له لم ينسبه صاحب الكتاب لاحد الا ان الذي يدل عليه بعض منه انه له والذي يدل عليه البعض الآخرون انه لغيره وعلى كل حال فقد سلك فيه كاتبه طريق الشدة معرضا فيه بما اشتهر به بيت الرستميين رضي الله عنهم من علي التجيم والرمل مشيراً الى بعض ما ادعاه قوم ابن فندين علي الامام والله أعلم بالحقيقة قال صاحب الكتاب .

* (وتفسير ذلك والله اعلم ان الامام اذا رأى الرعية لم تستقم لله على الطاعة التي ينالون بها ثواب الله عليه ان يدعوهم الى الوفاء لله بطاعته فان لم يجيئوه الى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وبقي منفرداً بنفسه هلك كل من كره الاجابة الي الاستقامة وبقيت ولاية الامام عند من حضر من المسلمين وزالت امامته عند الناس لانه قد صار في هذا الوجه الى حد الكتمان واذا كنتم الامام خرج من حد الامامة والظهور بالاسلام لان

اليمة انما هي على اقامة كتاب الله وسنة نبيته عليه السلام واتباع آثار المسلمين
منه ومن الرعية واذا لم توف الرعية بذلك ضلت وصار الامام الى حد الكتمان
لانه لا يظهر المنكر بحضرة الا على احد وجهين اما ان يكون مقهورا ذليلا
فعلية ان يخرج من الامامة ويعتزلها

* واما ان يكون مداهنا مقصرا فلا امامة له بالنكث وتركه الوفاء بما
عاهد الله والمسلمين عليه

* وقد بلغنا ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه بلغه ان اناسا من المسلمين
كرهوا مقامه فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال (يا ايها الناس كرهتموني
فاستقبلوني اقلكم فقال له علي بن ابي طالب هيهات هيهات لا تقال ولا تستقال)
فاجمع صالحو المسلمين على الرضاء بامامته وذلك لانه لا يلتفت في هذه الامور
الى انكار العامة ولا الى رضائهم وانما ينظر الناظر له ولدينه وللإسلام وأهله
وهم المستنبطون وأما سواهم من الناس فانما عليهم الاتباع والالتقياد وليس لهم
من النظر للإسلام وأموره والتقديم فيها شيء قال الله عز وجل (واذا جاءهم
أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الامر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وهم أهل العلم بالكتاب والسنة لانهم
المنهاج . ألا ترى انه ذمهم حين لم يردوا الامر الى الرسول والمستنبطين .
* وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رأى من المسلمين تقصيرا
قال لهم اما ان تقوهوا بما عاهدتم الله به والا خرجت اليكم من الامامة .
فكذلك ينبغي . لان كلاً قد وجب عليه الوفاء لله بما عاهده به وذلك اذا
كان عن مشورة من خيار المسلمين ورضائهم به لله ولدينه ثم كان منهم الوفاء
بذلك والاستقامة فيه فان عمر رضي الله عنه قال (الخلافة) ما ائتمن عليها يعني

ما كانت عن مشورة أهل العلم والصلاح و (الملك) مأخذ بالسيف فكل
امامة كانت عن غير مشورة من أهل العلم والصلاح فهي ملك وكذلك
من عقد له الاشرار فهي ملك .

* (أصل) واما أن لا تكون دعوتهم فزالت امامتك بالتضييع واستعلان
الباطل قبلك وامامة الحق فلا امامة لك . (تفسير) وذلك لان الامام اذا
ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الحدود وصلاة الجمعة بالناس
من غير عذر يعذر بذلك مثله الفقهاء وترك جهاد العدو ودفعه عن المسلمين
زالت امامته بما قصر فيه من أمر الظهور بذلك كله أو ببعضه وكذلك اذا
بدل السيرة فسار بغير سيرة من مضي وبغير ما هو معروف من سيرتهم
وكذلك اذا ترك الاحكام .

* (أصل) واما ان تحمل سيفك على عاتقك فتفيء الله بماضته له او تلحق
بأئمة المسلمين قبلك فيهلك من استنصرته فخذ لك .

* (تفسير) هذا تفسير لاول الكلام لانه اذا بقي معه أربعون رجلاً من
أهل الصلاح فلا عذر له في الضعف فاذا لم يبق معه أربعون من أهل
الصلاح والامانة فعليه ان يعتزل الامامة ويحل اللواء وتسعه التقية فان
رجعوا اليه فليزِم بيته ولا يقبل ذلك منهم فقد اختبر غدرهم ويقال لا يلذغ
المؤمن من جحر مرتين .

* فكل من دخل في الامامة والعمالة وله فيها رأي اذا كان يعجبه ذلك
يعني يحب الدخول فيها ويحن اليها وامام المسلمين وعاملهم فيها كالمسجون
وهو كاره لذلك فانه على خطر عظيم . والذي يوجد عن المسلمين أيما امام
جبي ارضا جباها غيره من الجبارة فلم يمنعهم من الظلم لضعف منه أو

مداهنة هو امام جائر فاسق مخلمه ونبراً منه ولا تلبس الحق بالباطل ونحن
نعلمه لا تختلف أحكامنا على الناس وهذا ديني ومذهبي واعتقادي ولست ممن
يصدق بالنجوم والكهانة ولا بالملاحم لكني اتبع النبي محمد صلى الله عليه وسلم
وأقتدي بآثار الصالحين الذين لم يتخذوا دينهم لهواً ولعباً ديني دينهم . وان
كنت قد بان لك الحق فالحق مقبول . والسلام عليك وعلى المسلمين من
ملك البلاد أجمعين وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليماً انتهى فليتأمل
— وفاته وعدد مدته وأولاده ومقدار علمه —

﴿ رضي الله عنه ﴾

(هذا) والذي يوجد في بعض التقايد أن امامته كانت ٤٠ سنة
والذي ذكره المؤرخ المراكشي المالكي أنها كانت عشرين سنة لانه على
رأيه ولي سنة ١٦٨ وتوفي سنة ١٨٨ والصحيح ان ولايته كانت سنة ١٧١ كما
تقدم ومدته ١٩ سنة فوفاته تكون سنة ١٩٠ تقريباً كما سيتضح وكان له من
الاولاد المشهورين ميمون المقتول في حياته ويوسف وافلح الامام بعده
ومن الخفدة محمد بن يوسف ومحمد بن ميمون (ولعله هو الذي قدمه قائداً
للجيش المذكور سابقاً) وأبو معبد عبد الرحمن حفيد ميمون . وكان له
عدة رسائل وأجوبة مفيدة جداً في فنون شتى بعضها موجود وبعضها
مفقود قال ابن الصغير وكان لعبد الوهاب كتاب يعرف بمسائل نفوسة
الجليل كتبت اليه في مسائل أشكلت عليها فأجابها عن كل مسألة مما سألت
عنه وكان هذا الكتاب في أيدي الأباضية مشهوراً عندهم معلوماً يتداولونه
قرناً عن قرن الى أن لحق الفضل . . . فأخذته من بعض الرستميين فدرسته
ووقفت عليه الخ .

• وله أقوال مشهورة معتمدة في كتب الفقه وغيرها. وذكر أبو زكرياء وغيره أنه رحمه الله أرسل إلى أخوانه بالبصرة في الشرق ألف دينار ليشتروا له بها كتباً ولما وصلتهم اتفقوا على أن يشتروا بها كلها رقا فكان ذلك واستنسخوها من عندهم فكانت وقرأ أربعين جملاً ولما بلغته اجتهد في مطالعتها وتصفحها أوقات فراغه من الأشغال وجد في ذلك حتى قيل أنه يتجرد من ثيابه ولا يترك إلا السراويل حتى أتمها فقال الحمد لله الذي علمني كل ما فيها من قبل ولم أستفد منها إلا مستلثين وقيل ثلاث مسائل ولو سئلت عنها لاجبت فيها قياساً كما رستمافها. فله درهم من بحر. وكانت مكتبته تشتمل على آلاف من المجلدات وذكر الشماخي رضي الله عنه نقلاً عن ابن سلام أن نقات بن نصر النفوسي حدث أن هذا الإمام أرسل إلى الإمام الربيع بالمشرق اثني عشر ألف درهم (إعانة له كما أعانوا والده الإمام عبد الرحمن قبل ذلك) فاشترى بها الربيع سلعة وأرسلها إليه مع أخيه فكلف الإمام بها بعض تجار تيمرت فباعوها واشتروا له بثمنها غيرها في ثمانية أيام وأرسلوها إليه.

• وقيل أن علماء من أصحابنا المشارقة زاروا جبل نفوسة وتيمرت ولما سألوا بعد ذلك أختاروا من تيمرت الإمام ووزيره مزور بن عمران ومن جبل نفوسة أبا مرداس وأبا زكرياء التوكيتي والعباس بن أيوب وقال أبو العباس في الطبقات وكفاك في فضل الإمام وعدله قول أبي مرداس لا أعرف إلا الإمام ووزيره وهذا الفزاني ولم أره وإنما أعرفه بكتابه اه يعني عبد الخالق الفزاني المشهور وأخبار هذا الإمام كثيرة والله أعلم.

— عمال هذا الإمام —

• وكان من ولاته وعماله المشهورين العلامة وكيل بن دراج النفوسي من

بني يخلف عامله على مدينة (قفصة) ومايلها . والعلامة سلام بن عمرو اللواتي
عامله على (سرت) ونواحيها . والعلامة محمد بن اسحاق الخزري عامله على
(نقزوة) والعلامة جaron بن القمري الزناتي . والعلامة نهدي بن عاصم
الزناتي . والعلامة ييران اليزم رتني المزاتي . وهؤلاء لم أعلم أما كن ولايتهم
اذ لم يبين الشماخي رحمه الله ذلك . والعلامة أبو يونس وسيم النفوسي
التمزيني عامله على قنطرة (مدينة تيجي) والعلامة أبو عبيدة الجنائني
واليه على (جبل نفوسة) ويعرف الآن بجبل الغرب . والعلامة مدمان
المرطلي وقد امتحنه الامام فبث اليه ذات مئة كتابين في أحدهما عزله
وفي ثانيهما ولايته ولما فتح الاول قال رحمه الله الامام علم ضمني وقصوري
عن هذا الأمر فكتب بعزلي ولما رفع اليه الثاني وقرأه قال رحمه الله الامام
علم أن لأحد يحاني من هذا الأمر فاستحسن الناس منه هذا الانقياد
التام وكان مستقيم الحال . والعلامة أيوب بن العباس واليه على (جبل
نفوسة) . والعلامة سامة بن قطفان الزواغي عامله على مدينة (قابس) .
والعلامة مدرار عامله على (جبل دمر) والعلامة مناد . والسيامي الشرير
مزور بن عمران الهواري قبل تقليده الوزارة ولم يذكر أحد محل
ولايته هو والذي قبله . والعلامة السمع بن أبي الخطاب واليه على (جبل
نفوسة) والمشهورون من وزرائه السمع ومزور وغير هؤلاء كثيرون
أهل ذكرهم المؤرخون المتأخرون لعدم وجود المادة بفقدتها بالخرق في
أواخر الدولة وبعدها كما سيأتي خبر ذلك والله أعلم .

« خلافة الامام أفصح بن عبد الوهاب »

﴿ رحمهما الله ﴾

« وكناه المراكشي بأبي سعد ولم نره لغيره »

« لما كانت الامور بجبل نفوسة مضطربة بخلف وأتباعه وقد وقع بأطراف تيهرت ما ر ذكره من الحروب التي أبقت في النفوس حزازات وربت في الضمائر أحقاداً خاف أهل الرأي وأصحاب الشورى من المسلمين بعد وفاة الامام عبد الوهاب ان يحصل بتأخير نصب امام غيره بعض حركات فسادية فبادروا في يوم وفاته الى ابنه الامام أفصح الذي كان مترشحاً للامامة بأعماله العالية وعلومه ومداركة الواسعة فبايعوه وساموا له عقاليده الامور بدار الامارة قطعاً للخلاف على أن يسير فيهم بالكتاب والسنة وآثار السلف الصالح فقبل منهم ذلك على ذلك سنة ١٩٠ مائة وتسعين من الهجرة وعلى قول المراكشي يكون ذلك سنة ١٨٨ وليس كلامه في هذا الباب بسديد لما سيأتي تحقيقه.

« وما كاد ينتشر خبر وفاة الامام عبد الوهاب وولاية الامام أفصح حتى وردت اليه كتب العمال وصالحاء المسلمين من كل الجهات والولايات بالتمزية مع تقديم البيعة ومن ذلك كتاب ابي عبيدة ومن معه في حيز طرابلس وفيه استأذنه في محاربة خاف وحزبه اذ اشتد فسادهم وكثر جورهم وتعديهم بعد سماعهم بوفاة الامام فلما آمنهم أن الامر بتيهرت لا يستقيم بعده وأن الذي يتولى الامامة سيكون له اضطراب وارتباك فلا يلتفت اليهم فينالون في تلك المدة غرضهم فأجابهم الامام بكتاب امره فيه بمسايرة خلف واستعمال كل سياسة توصل الى الأمن وتحقق الدماء وتسد أبواب الحرب كما صنع والده قبله فامثل ابو عبيدة الأمر وزاد خلف في العناد فوالى النهب والقتل والسلب في كل من عثر عليه من

أتباع أبي عبيدة وتميز بجيوشه الى مكان يعرف بتمتي والظاهر والله أعلم انه قرية من القرى التي يسكنها عرب الرجبان في وقتنا هذا وتغلب على ما وراء ذلك من الجبل الى جهة الشرق وقطعه عن أبي عبيدة وهم بين راض وساخط وشدد المضايقة على أبي عبيدة في حدوده حتى ملّ الناس واستمالهم ومن حكمة القضاء والقدر أن أخصب الله جهته وأجذب جهة أبي عبيدة في بعض السنين فرغب أرباب الحيوانات وأهل البادية في جهة خلف ورحلوا اليها تبعاً لرخص الأسعار وجودة المرعى فكثر بذلك اتباعه وقوي جنده وأعجب بذلك حتى حدث نفسه بالمهجوم على أبي عبيدة والاستيلاء على ما في يده وضم الجبل كله اليه .

✽ المحاربة الاولى لأبي عبيدة رحمه الله ✽

✽ مع خلف ✽

« نخرج خلف بجيش كبير قاصداً ناحية (جادو) ولما سمع أبو عبيدة بذلك خرج بمن معه الى طرف غابة الزيتون وعسكر بمكان هناك يبعد عن الجبل بمسافة ساعة تقريباً غير بعيد من قرية (أدرف) بلدة العلامة أبي محمد الدرفي وهي مشهورة الى الآن بهذا الاسم الا أنها خراب مأوى لقطاع الطريق والسراق وه كمن للصوص ولم يشعر أبو عبيدة رحمه الله حتى غشيتهم فرقة من جيش خلف فيها أربعائة فارس بين مواليه وأقاربه وأخوته فأمر أبو عبيدة بالكف عنهم وعدم التعرض لهم الى ان يبدأوا بالشر ويدخلوا حريمه فأغاروا على قرية (أدرف) وهي في طاعة أبي عبيدة وشرعوا في النهب والقتل وكان أهلها ضعافاً قلالاً ولما بلغ أبا عبيدة انهم قتلوا نحو عشرة رجال وتحقق ذلك قال لأصحابه الآن وجب الدفاع واندفع هو وأصحابه اليهم وناجزهم القتل فوولوا

الادبار منهزمين بعد أن هلك منهم من هلك حتى وصلوا خلفاً ومن معه من
العسكر وقد ترك أبو عبيدة سبيلهم ولم يتبع ادبارهم ونهى عسكره عن ذلك
فرجع بهم خلف إلى (تمتي) وعاد أبو عبيدة إلى جنانون وهو يظن أن ذلك
يقنعهم ويردعهم عن الرجوع .

ثم إن أبا عبيدة كتب إلى خلف كتاباً يعظه فيه ويرشده رجاء أن
يتيقظ من محبته ويكف عن الفساد ويقول له فيه هكذا **﴿** واذ نزلت يا خلف
يدك عن الطاعة فكن في حيزك وأكون في حيزي وما بال الحرب **﴿** فلم
يقنع ذلك وحرص قومه على الاعتداء والمثابرة على الغارة والفتك بأصحاب
أبي عبيدة أينما وجدوهم ودام الحال على ذلك نحو سنة وأبو عبيدة يناصحه
ويلاطفه ولم تنفعه الذكري . (ومن يضل الله فلا هادي له)

— المحاربة الثانية لأبي عبيدة رضي —

﴿ الله عنه مع خلف **﴿**

ولما اشتد الحال وضاق القضاء بأبي عبيدة ومن معه من فساد اتباع
خلف وبلغ خبر ذلك إلى خلف خرج بعساكره قاصداً أبا عبيدة كأول مرة
وكان في أربعين ألف مقاتل فلاقاه أبو عبيده لما بلغه خبر خروجه في قليل
من أصحابه إذ جاءه الخبر على حين غفلة ويقال أن الذين كانوا معه لا يتجاوزون
عدد أهل بدروهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وقيل كانوا سبعمائة من أهل الفضل
والعلم الذين لهم الثبات في الحرب .

ولما تراى العسكران تاه خلف اعجاباً بكثرة جنده وقوته وقلة جند
أبي عبيدة غافلاً عن قوله تعالى **﴿** وما النصر إلا من عند الله وقوله كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقوله إن الله مع الذين

اتقوا والذين هم محسنون * واذا ذاك رأي أن قتالهم عبث وتلاعب وان
محوهم وبادتهم بالسيف على زعمه مع اقرارهم بامامة الامام اقلح ممالا يورث
له نغراً يذكر اذ لم يكونوا كفؤاً له ولجيشه على حسب غروره . واستظهر
أن يدعوهم الى خلع الامام ومبايعته هو والاقرار بامامته طمعاً منه في رهبتهم
ومبادرتهم الى اجابة طلبه فيكون ذلك زيادة تعظيم لشأنه واعلاء لقدره واهانة لهم
وامامة لقلوبهم وجعل لذلك مقدمة كانت السبب في انهزامه فسرّح عسكره فيما
قرب منه من قرى أبي عبيدة ورعيته تسلب وتقتل ثم أرسل الى أبي عبيدة
رسولين يأمرانه بخلع الامام والدخول في طاعته هو ولما بلغا أبا عبيدة طلبه قال
لهما وكيف نخلع امامنا بدون حدث يوجب خلعنا والبراءة منه وما الذي سوغ
لصاحبكما (خلف) هذا الخروج والعصيان وقد كان أبوه السمع أعلى منه
شأناً وقدراً وكان راضياً على الامام طائفاً له الى أن توفي فتعلل له على لسان
خلف يبعد ما بين تهرت والجبل وفصل بعض ولايات بني الاغلب بينهما وزعموا
ان ذلك مما يجوز لهم الاستقلال فقال لهما ولم لم يفعل ذلك والده ولم يقله بل
كان يجمع الحقوق ويرسلها الى الامام لما كان عاملاً له .

* ولما طال الكلام بينه وبينهما وأخفهما بالحجة القاطعة عدلاً الى اظهار
القوة والارهاب فقالا انا نخاف عايك ان لم تجبه الى ما دعاك اليه أن تكون
سبياً في اراقه دماء لا يعلم قدرها الا الله وذلك أمر عظيم عنده فقال وأي
الأمرين عندكم أعظم . ترك القيام بدين الله واضاعته أم اراقه الدماء فقالا اراقه
الدماء أعظم فقال لو كان ذلك صحيحاً لما اجتمع أهل النهر وان للدفاع ولا
أهل النخيلة ولا ابو بلال واصحابه ولا ابو يحيى طالب الحق وابو حمزة
واصحابهم ولا ابو الخطاب ومن تبعه ولا ابو حاتم ومن معه . وما اشبه

هو لاء فان كل فريق منهم قام للدفاع في زمانه عن الدين واحيائه علما بأن
 في ذلك من اراقة الدماء واتلاف الأنفس ما تعلمونه وقد استشهد بعضهم
 على تلك النية الحسنة (وانما الاعمال بالنيات) وبلغ بعضهم القصد فانار الملة
 وأظهر الحق وأخذ الباطل ما شاء الله من الزمن. وما نحن الا بضعة منهم وبقية
 من آثارهم فنحن على نهجهم القويم سائرون لا ينبغي به بدلا ولا عنه حولا
 ومن أراد غيره فالله يحكم بيننا وبينه بالعدل وهو خير الحاكمين ثم اعارهما
 جانباً من اللين فقال حيث انكم تعظمون أمر الدماء على الدين فأبلغنا
 خلفاً بأن تترك القتال اليوم ونصبح غداً (وهو يوم الجمعة) صائمين ويأتي
 لنصعد على الجبل ومعنا أبو المنيب اسماعيل بن درار القداسي ثم نبتهل الى
 الله تعالى فنجدل لعنة الله على الظالمين ونسأله أن يفتح بيننا وبينكم الحق
 وهو خير الفاتحين .

* فقام الرسولان الى خلف واخبراه بما دار بينهما وبين ابي عبيدة من
 الكلام فامتلاً غيظاً وأمر في الحال بالتهيء للهجوم عليه بدون انتظار واذ سمع
 ابو عبيدة بذلك استمد له ولما التقى الجمعان ورقت الصفوف جاء الى ابي
 عبيدة رجل من بقايا قوم ابن فندين وقال له دع عنك القتال فالك لا طاقة
 لك اليوم بمقابلة خلف وعساكره ولا حاجة لك في لقاءه وكان ابو عبيدة
 يحسن التكلم بعدة لغات فخلف له بالبربرية والكانمية .. قائلاً لا قاتلته ولو ألقاه
 منفرداً بسيفي هذا وضرب يده على قائم سيفه ثم انسل اليه رجل من جيش
 خلف وقال له اتى مشير عليك بسبيل ان سلكته ظفرت بلاشك أزحف
 بمجيشك الى ناحية الجبل فان ظفرت أدركت ما أردت بسهولة وان انعكس
 عليك الحال كنت في حصن وملجأ لا يستطيعون لك فيه كيدا فقال أبو عبيدة

لما استحسن رأيه (نصيحة نزعها الله من عدو) وهذا الرجل اما أن يكون
مائلاً في الباطن الى أبي عبيدة واما أن يكون قد سئم من القتال مع خلف
على غير طائل فأراد هلاكه ليستريح والله أعلم .

• فأمر أبو عبيدة الجيش بالانتقال الى المحل الذي اشار اليه الرجل وأسندوا
ظهورهم الى الجبل ولعل هذا المكان هو المعروف عندنا اليوم بقصبة
المصلي فانه قريب من الجبل وفيه مصلى ينسب الى أبي عبيدة يزار
ويجتمع فيه الناس في وقتنا هذا من قرى متعددة لصلاة العيدين اذا حضر
(والدنا أو بعض أنجاله وهو الذي سن هذا الاجتماع هناك حفظه الله)
أو هو المكان الذي فيه الآن المسجد الجامع المسمى (أم ييدت) وهذا اللفظ
منحوت من عمي عبيدة نحتاً بربرياً فيما يظهر بعد تصحيف لفظ عمي وموقعه
الآن في وسط بلدتنا جادو مركز الحكومة والمشهور أن المسجد بني على مصلاه
وانه اغتسل هناك كما سند كره ولا يبعد عن شافة الجبل الا بخطوات ولولا
الشجرة المذكورة لقلنا ان المكانين قريبان جداً من مدينة جادو القديمة
فلا يمكن وصول العدو الى هناك والله أعلم .

ولما رأى خلف ما حصل من أبي عبيدة من الرجوع الى ورائه ولا
علم له بما أبداه بعض أفراد جيشه من النصيحة ظن أن ذلك من أبي عبيدة
جبن وفرار تخلصاً من الهزيمة ففرح وهزه الطرب وقدم الابطال والفرسان
من عسكره واقتفى أثرهم ولما غشيت ابا عبيدة الخيل دعا رجلاً من قومه
فنصبوا له سترأ وأحضروا له ماء فاغتسل وتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله
سبحانه وتعالى بما حضر له من الدعاء سائلاً انتصار جنده ثم بسط كفيه
مواجهاً بهما السماء (وهي الجهة المطلوب استقبالها عند الدعاء) مع تضرع

وخشوع وقال (اللهم يا من لم أعرض عنه منذ استقبلت أمره لا تفرق هذه
العصاة على يدي انك على كل شيء قدير) وذكر الشماخي رحمه الله أن أهل
مدينة سروس أقبلوا مسلحين لاعتاة خلف فقال أبو عبيدة اذ رأيتم على
ذلك هيجوا فينا حرارة الخوف فلا أعدمهم الله ذلك قال فبقي فيهم ذلك
الى يومنا هذا وقام أبو عبيدة بين عسكره خطيباً محرضاً ومرغباً فشوق
النفوس الى الاندفاع في الحرب وأزال الرهبة من القلوب

* ثم تدانى الصفان وانتشبت الحرب ساعة من الزمن أظهر فيها رجال
عسكر أبي عبيدة من الشدة والاقدام ما ترك أعداءهم في الهزام وكان
معه من الابطال المشهورين العباس بن أيوب وقد أظهر من شجاعته ما حمى
به الميمنة والميسرة حتى قال فيه أبو عبيدة اذ رآه يجول بجواده في أثناء الحرب
يميناً وشمالاً (انى أرى العباس في عيني كالعقاب مصمم لا أكثته النار)

ثم خرج من عسكر خلف رجل يعرف بعبيد بن سيدي ورجلان معه لطلب
المبارزة فخرج اليهم أبو عبيدة وأبو مرداس والعباس اما العباس فأسرع الى
صاحبه بالقتل واما أبو عبيده فطال امره مع صاحبه وكانا متماثلين واما أبو
مرداس فقد لاقى من صاحبه عبيد المذكور مشقة حتى كاد يفترسه ولما
رأى العباس ذلك عطف على عبيد فضربه على ركبته بالسيف فأبانه ثم
حز رأسه وقال لما رآه طائراً في الهواء من شدة الضربة (الى النار)
فقال الرأس (وبئس المصير) فقال العباس (انا لله وانا اليه راجعون)
جسد طالما دعوت له بالجنة ستأكله النار . لان الرجل كان ممن شهر بالنسك
والعبادة سخي اليد محباً لأهل العلم يهاديهم بأكباش الغنم وأحمال الطعام
وكان العباس يعتقد فيه الصلاح لذلك (ولكن الاعمال بخواتمها . وكلكم

ميسر لما خلق له) ولما رأى أبو مرداس فعل العباس بصاحبه عبيد قال ضربة
فتى لا أكات معصمه النار)

* وبعد أن هلك من عسكر خلف مالا يعلم عدده ولى الأديار خائباً
فنادى أبو عبيدة حسب عادته (ونعمت العادة) في عسكره ان لا يتبعوا لهم
مدبراً ولا يجهزوا لهم على جريح ولوى عنان جواده غير متغص ولا مغلول
الى مكانه وذلك عشية الخميس الثالث عشر من شهر رجب سنة ٢٢١ هـ
وعشرين ومأتين هجرية وعاد خلف الى قرية (تمتي) المشومة عليه وأمر
باخراج جميع من كان فيها من نفوس وغيرهم ممن يميل الى أبي عبيدة وأجل
لهم ثلاثة أيام فارتحلوا تاركين أرواقهم ومنازلهم ومنهم الأرامل واليتامى
والضعفاء ومن لا ذنب له ولا دخول له في شيء من أمر هذه الفتن وأجل
معهم كثيرين من أصحابه الذين ظن فيهم الميل الى أبي عبيدة غلظة وجفاء ولما
أكثر من ذلك تقهقرت نفوس أصحابه وعلموا بأن أمره قد أدير ففترقوا
عنه وأتوا الى أبي عبيدة تائبين فقبل منهم من قبل ورد من رد ممن عظم
خطأه وبقي خلف وحيداً ينتظر وتبة من أبي عبيدة تقضي عليه وعلى من بقى
معه بالهلاك وأبو عبيدة صارف عنه النظر سائر فيما كلف به من الأمر بسيرة
العدل والانصاف . وأرسل الى الامام بوهن شوكة خلف واقتراق حربه .
* ولما بلغ أصحابنا المشاركة احتمال خلف الخروج وما وقع من الفتن قاموا بما
وجب عليهم من النصيحة في الدين كما هي عادتهم فأرسل منهم العلامة أبو عيسى
الخراساني رسالة مع جماعة الى أهل المغرب يرشدونهم فيها الى اتباع الحق ونبد
الباطل وجمع الكلمة واتباع أهل الاستقامة واقتفاء آثار الاولين من المسلمين
وبالغ فيها في الثناء على الامام عبد الوهاب والامام أفلح وعلى السمع وفي

الا نكار على خلف ابنه وأتباعه في كلام طويل جازاهم الله عن الاسلام خيراً .
 * * * * *
 وممن كان مع خلف منيب بن حامل العلم أحد أئمة المذهب اسماعيل
 ابن درار النعماني وأبو يوسف حجاج بن وقتين ذكر الشماخي رحمه الله
 ان أبا يوسف أتى أهله فقالت له زوجته وهو لدى الباب (عندك يا بائع دينه)
 فوقف في مكانه الى الصبح واحدى رجله داخل الباب والاخرى خارجه
 وهو يميز بين أبي عبيدة وخلف ثم ثبت عنده ان الحق مع أبي عبيدة فجاءه
 تائباً وصار بعد ذلك من أفاضل المشايخ .

* * * * *
 ثم أدركت أبا عبيدة منيته فسار الى رحمة الله الواسعة يكيه العدل والعلم
 ويندبه المحراب وقيام الليل وله مسجد مشهور متوسط وآثاره تدل على انه
 كان أكثر اتساعاً مما هو عليه الآن قيل انه اجتمع فيه سبعون عالماً من
 أكابر علماء قرية جناون وقد كانت معدن العلم والعلماء حتى انها لا تحتاج فيها
 دار الى أخرى في العلم كما كانت قرية تدميرة ولأهل القريتين الى الآن
 شهرة في الذكاء وجودة الفهم وتمسك بالدين وقد دفن رحمه الله في المقبرة
 السكائنة بالجنوب الغربي من القرية المذكورة الا ان قبره مجهول فعنده الله
 برحمته الواسعة وسيأتي زيادة كلام على هذه القرية ان شاء الله .

— ولاية العباس بن أيوب على الجبل —

﴿ بعد أبي عبيدة رحمه الله ﴾

« الله »

ولما توفي أبو عبيدة كتب المسلمون من نقوسة الجبل ومن معهم الى
 الامام بذلك كتاباً يمزونه فيه ويطلبون منه تعيين غيره ولما بلغه الخبر اشتد أسفه
 وبلغ منه الكدر مبلغاً عظيماً وأرسل في الحال أمر الولاية الى العلامة العباس

ولما وصله ولم يجد عذراً لدفعه ألزم قبوله وجمع أهل الرأي ومن عليهم المدار
من رجال نفوسة وتلاه عليهم فأملوا حسن مستقبلهم وضمنوا لأنفسهم الراحة
والأمن لما يهدونه في العباس من الحزم والنشاط مع ما أوتيه من المهابة
وعزة النفس في مواظمتها وكان الأمر كذلك وأكثر من ذلك إذ قضى
فعدل وحكم فأنصف وحارب فقاز (وكان خلفاً اتعش حاله بعض انتعاش
وانضم إليه من جمعه بعض من تشتت أولاً وذلك فيما بين وفاة أبي عبيدة
وتولية العباس فتحرك كمادته مكدرآ صفو الأمن وجدد النارة والنهب
وهو من أعلم الناس بما للعباس من الشدة فناصره العباس ونهاه ولما لم ينته
عن غيه خرج إليه في عسكر لا يزيد عن عسكره في الكثرة بل كان أقل
على ما قيل إلا أن فيه من الفرسان من يمد في مقام العشرات من الأبطال
ومهم العالمان الشيران بالشجاعة أبو مرداس التبرستي وأبو الحسن
الأبدلاني ولما تقابل الجمعان بموضع يعرف بفاغيس وأظن أنه قريب من تمي
هال بعض أهل النظر من عسكر العباس ما رآه من كثرة جند خلف فأتى إلى
أبي مرداس وكلمه في ذلك فقال له لا أخاف انهزاماً على عسكر فيه أبو الحسن
الأبدلاني ثم أتى إلى أبي الحسن وكلمه أيضاً فقال له لا أخاف على عسكر
فيه أبو مرداس فتعجب الرجل من اتحاد كلاميهما . ولعمري أنها لموافقة
غريبة تشهد لهما بما كانا عليه من صدق النية وصفو القلوب وتوارد الخواطر
النأشء ذلك كله عن الحب في ذات الله ولأبي مرداس كالأبي الحسن فضائل
عالية ومناقب فاخرة تكفل بذكرها المؤرخون وكان في العلم آية من آيات
الله وفي الزهد نادرة من نادر الدهر صاحب الإمام عبد الوهاب حتى مات
وصاحب أيوب بن العباس ثم أبا عبيدة بعده ثم العباس هذا وكان معه كبيراً

في السن وهو قصير القامة يجر سيفه على الارض اذا مشى امام الجيوش .
ومن غرائب الاتفاق انني كلما ذكرته او تذكرته خطر بيالي المشير أدهم
باشا العثماني قائد الجيوش الشاهانية المنصورة في حرب اليونان سنة ١٣١٥
وهو بطل مشهور في هذا العصر وكلما ذكرت هذا ايضا تذكرت ذاك

* ولما التحم القتال واشتد خلف وعساكره وثبتوا للعباس ثبوت الابطال
ولم ترحزهم من أماكنهم الرماح والنبال أتى أبو مرداس الى العباس وقال
له قد طال وقوفهم معنا في ميدان الحرب وما كان الباطل ان يقف امام الحق
هذا الزمن كله ولعلك أضمرت سوءاً أو صدر منك ذنب عظيم كان عقابه
لنا من الله ما تراه فأظهر التوبة وارجع الى ربك واستغفره لعل الله يؤيدنا
بنصر من عنده ويبدل الحال فكرر العباس عند ذاك الاستغفار وأظهر التوبة
(ولا معصوم من الذنب الا الانبياء واللائكة)

* ويقال ان أبا مرداس قال عند ذلك ماذا فعل العباس . وما علمنا منه
الا الخير . ولكن الحرب عذمت رجالها ثم امتطي ظهر جواده واندفع
للميدان بسلاحه . ولم يمض بعد ذلك من الزمن الا قليل حتى انهزم خلف
وتخرمت صفوفه فنادى أبو مرداس في العسكر بعدم اتباعهم فقال بمض
أصحاب الرأي لا تتركهم حتى نخرجهم من حيزنا فسكت أبو مرداس واقتفوا
أثرهم حتى تجاوزوا (لالت) كما في السير وهو نهاية حكمهم اذ ذاك والظاهر
ان المراد بلالت هو الوادي الفاصل بين الزنتان من جهة (تغرمين) والرجبان
من جهة فساطو المسمى الآن بوادي الآخرة لصعوبته وعمقه ويسمى (متلالة)
ايضاً بالاسم القديم مع زيادة ميم وتاء في أوله على ما يؤخذ من كتاب السير
وانت عبر في بعض الاحيان بلالت على لالوت وهي في طرف الجبل من

ناحية الغرب ولعل هذا الاسم كان يطلق على قريتين شرقية وغربية والله أعلم .
 * وكان (مدينة تفرمين) لم تدخل في الطاعة ولم تحز الشهرة التي كانت
 لها في دولة بني رستم الا بعد هذا . ثم رجعوا وأقبلوا على العباس يهنونه
 بانتصاره فقال لهم انما يهنؤ بهذا ابو مرداس وأبو الحسن اللذان لم يناليلهما
 يدعوان الله ويتضرعان اليه وبذلك اتانا الله من فضله ما اتانا فله الحمد والشكر .
 * ثم لما وصل المعسكر ترجل عن جواده وأقبل يعزي المشايخ الحاضرين
 في اقاربهم الذين كانوا مع خلف وماتوا قائلاً آجركم الله على مصيبتكم في
 اخوانكم واقاربكم فقالوا له يا عباس اما اولئك فاقاربنا وأولو أرحام منا واما
 انتم فاخواننا حقاً .

* ثم لم يزل العباس يوالي الوقائع والمهجوم على خلف ويستميل اولي الالباب
 بمدله واستقامته وبرهب اهل الفساد بشدة وحزمه الى ان اوهن الله
 شوكة خلف وتشتت بقية جموعه واضمحل امره ومات وترك ولداً هرب
 مع من رام محافظته واحياء اثر والده الى جزيرة جربة وكان من امره بعد
 ذلك ما سنده عند الكلام على الامام يوسف ان شاء الله وبقي العباس
 محمود الخصال ممدوح المال يتابع الوقائع والحرب مع من لم يخلد الى الطاعة
 من جرات الجبل الشرقية كجبل شماخ وجبل يفرن وككلة وما حول ذلك
 حتى اطاعوا كلهم واعترفوا للامام افلح بالامامة .

* وكان ابو مرداس رحمه الله كثير التعرض له ومنعه من محاربة تلك
 الجهات وكأنه يؤمل منهم الدخول في الطاعة بدون حرب حيث كان المذهب
 واحداً او علم منهم القوة والكثرة فأراد استجلابهم بالملاطفة واللين ومن
 ذلك ما ذكر من ان العباس خرج ذات مرة (بعد هلاك خلف) بعسكره

الى جهات جبل يفرن وكان معه ابو مرداس فخلاه وأمره بالرجوع فأبى فقال
له ان لم ترجع صحت في العسكر فتفرق عنك (لأنه يعلم ان كلمته مسموعة)
فجمع العباس رجال عسكره وقام فيهم خطيباً فقال (فقد الزاد وضعف الكراع
فارجعوا حتى اذا سمعت الدواب وجددنا الزاد رجعنا) فامثلوا الامر ورجعوا
وكان الواقعة كانت في الشتاء ثم خرج اليهم مرة ثانية فجاء ابو مرداس
واشار عليه بالرجوع فامتنع فقال ابو مرداس معاتباً نفسه على ذلك هكذا
هو ما اكثر جنون مهاصر (يعني نفسه) الذي يطلب رجلاً مثله (يعني العباس
ويترك ربه) ثم دعا ربه وسأله الغيث فانزل الله عليهم ماء غداً وتتابع المطر
حتى طلب العسكر الرجوع وتفرق فقال ابو مرداس للعباس ارددهم الآن
ان قدرت يا عباس . وخرج اليهم مرة أخرى فتأخراً ابو مرداس وابوزكريا
عن الحضور فافتقدتهما فقليل له قد رجعا فخاف ان يكون رجوعهما لحدث
او منكر انكراه عليه فأوقف . العسكر في مكانه واقتفى اربهما الى ان وجدهما
عند أم الخطاب وهي عجوز عالمة مشهورة بالورع والزهد في بلدة (اغرميان)
بناحية ترمين ومعنى هذا الاسم (قصر النفس في مجلس الذكر) فقال لهما
ولم رجعنا فقالا انك على الحق لم ننكر عليك شيئاً وما رجعنا الا لكرامة
لمعان السيوف فحمد الله على موافقتهما وقال اتركا لمعان السيوف لمن يطيقه
وكانت ام الخطاب لم تعلم برجوعهما من العسكر فذبحت لهما شاة ولما سمعت
ذلك اخذت اللحم كله ووضعت في خرج على فرس العباس وقالت للشيخين
هذا هو الذي يستحق اللحم وأتما يكفيكما الجلبان (تعني العدس وما
اشبهه مما طبخ مع ذلك اللحم) فرضيا بذلك واستحسناه وكانها لم تعلم
العباس بذلك فركب جواده ولحق بعسكره .

* وممن كان معه في هذه الواقعة على ما رواه الشماخي رحمه الله العلامة أبو نصر التميمي أحد فضلاء جبل نفوسة علما وعملا وزهداً دار الجبل أربعين مرة يحذر الناس من فتنة نفقات وقيل من فتنة خلف قال وكانت ضرير البصر فنزل إلى القتال وقال اللهم اني لا أبصر ما اتقى ولا ما أضرب فلم تقع به ضربة ولم تخط له ضربة اه وهذا من غريب ما يسمع ويدل على ما كان لهم من الاعتناء والله أعلم .

* وكان رحمه الله على جانب عظيم من الآداب وحسن التخلق ولا سيما مع أهل الفضل والعلم خصوصاً العلامة أبا مرداس فقد ذكر الشماخي رحمه الله نقلاً من تاريخ نفوسة الكبير الذي لا وجود له الآن أنه هو وجماعة معه فيهم أبو مرداس جازوا في طريقهم وهم مشاة بموضع قطعه الماء فتخطاه العباس وعجز عنه أبو مرداس لانه قصير القامة وطاعن في السن فوقف يحاول ذلك ثم قال للعباس لم أقدر على الوثوب مثلك ولا أريد أن أخالف طريقاً سلكته ولو صعدت مع حائط لسلكته لما لك علينا من حق الطاعة والالتقياد فرحم العباس اليه وسلك طريقاً آخر سهلاً وأظهر لهم التوبة مما صدر منه أولاً من تغافله عما ورد من الأمر بمراعاة الضعيف والسير بسيره فما ألطف هذه الآداب وما أبلغ هذا الالتقياد إلى الحق منهما ولا يظن القاري أن هؤلاء الذين يقاتلهم أبو عبيدة في الأول والعباس في الآخر كانوا على مذاهب أخرى . بل كانوا كلهم من الإباضية وشقوا عصا الطاعة وانتحلوا الخلاف في مسائل طفيفة لا تخرجهم من الاتساع إلى المذهب طلباً للاستقلال عن خلافة تهرت لما رأوه في أنفسهم من القوة والكثرة اذ لم يكن الجبل وجهات طرابلس في ذلك الوقت على هذا الحال الموجود الآن من

صغر القرى وقلة الناس بل كان في الجبل وحده وفي ظاهره من قبائل
 نفوسة ومزاتة ما يتجاوز مائة الف فارس وعشرة آلاف فارس وكانت
 فيه من الرجال ما لا يحصى وكانت هذه النياب في الخالية الآن بجهات طرابلس
 والجبل كلها عامرة بالقرى وأهل البوادي كما تدل على ذلك آثارهم المؤيدة لصحة
 ما في التواريخ وبعد أن علم الناس قيمة العدل وعرفوا فائدة الأمن وذاقوا طعم
 السلامة والراحة انقطع الثائرون واستراح العباس وصفا الحال للامام وانتظمت
 له الأمور فبسط العدل في الرعية . وسار فيهم سيرة مرضية . واستقامت له
 الأحوال وساعدته الأقدار فافتتحي سيرة أبويه ولم ينقم عليه أحد في شيء من
 أحكامه وكان من المهابة والفروسية وغزارة العلم والحلم والكرم والاقدام والورع
 بمنزلة يكل عن وصفها اللسان . ويعجز عن حصر صفيرها القلم والبنان . هو
 السيد الأبطال عبيده . وهو الأسد الضارثي والأقران صيده . اذا زار
 دخل الرعب القلوب . واذا جال في ميادين الوغى هيأت اللحد وشقت الجيوب .
 ملأت أخبار بسالته البقاع . وصعدت هيئته الاسماع . وأدهش اعداءه في
 معامع الخطر عقول العقلاء وكان حاتم الجواد بعد فيضان بحره الطامح من
 البخلاء . حدث عنه من باب الكرم ولا حرج . وقل ان شئت هو ممن عن
 دائرة مكنات العقل في هذا الحديث خرج . فله دره من امام واسع
 العطايا . كريم الشجايا . باسط يمينه لادرار الخير وافاضة الاصلات
 قابض شماله على سيف النعمة لنكال الخاطئين وحصاد أعناق العصاة . خاض
 عباب سياسة الملوك بذكائه المستقيم . واستخلص جواهرها الثمينة بمسبار
 عقله الكامل الحكيم . وجعلها نبراس سيره في خناديس مهمات الأمور .
 فكانت سيرته جارية على محور الاستقامة رغماً عما يطرأ من حوادث الدهر

وتقلبات السنين والشهور . فهو وأيم الحق جامع الخصال الحميدة . ناظم عمد
الكملات بفضائله الثمينة .

﴿ ليس على الله بمستنكر ﴾ أن يجمع العالم في واحد ﴿

﴿ فمن سرح جواد فكره في صناعات التواريخ والسير . وريض نير
عقله في رياض ذكر رجال السلف وما لهم من النوادر والمسير . رأى لهذا
الامام العظيم من ينسبهم من الذكر الجليل . والآثر الجليل ما يهر الألباب .
ويؤدي إلى الوله والاستغراب ﴾ وقد تكلم المؤرخ ابن الصغير المالكي
على سيرته فخذها على القاعدة المتقدمة استدلالاً على صحة ما قلناه في حقه
وان كان قايلاً .

— قال —

﴿ فلما ولي أفلح أخذ بالعزم والحزم ونشأ له من البنين مالم يكن لغيره ممن
قبله وطار له الصيت وأتته نفوس الجبل يسألونه أن يقدم عليهم من يتولى
أمرهم ولم تكن الشراة تطعن عليه في شيء من أحكامه ولا في صدقاته ولا
في أعشاره إلى أن قال وكان قد عمر في أمارته مالم يعمره أحد ممن كان
قبله أقام خمسين عاماً أميراً حتى نشأ له البنون وبنو البنين وشمخ في ملكه
وابتني القصور واتخذ أبواباً من الحديد وبنى الجفان وأطعم فيها أيام المجاعة
الجميعان وقد تقدم ذكرها قبل هذا وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال
والمستغلات وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات
وتنافس الناس في البنان حتى ابتنى الناس القصور والضياع خارج المدينة
وأجروا الأنهار فابتنى أبان وحموية القصرين المعروفين بهما بأملق وابتنى
عبد الواحد قصره الذي يعرف به اليوم وغيره مما يطول ذكره ولقد حدثني

من أثق به أن أبان وحموية خرجا يوما إلى قصريهما متزهين ومعهما جماعة من اخواتهما فذكر عن بعضهم أنه قال لما اشرفنا على القصرين أحس بنا بعض عبيدهما فأعلموا سكان القصرين بقدومهما قال فتشوف من كان بالقصرين اليهما قال فوالله ما رأيت شرافة من شرافات القصرين الا وعليها ثوب أحمر أو أصفر على الجدار كالبدور وانتشرت القبائل وعمرت العمار وكثرت الأموال بأيديهم وكانت العجم قد أبنت القصور ونفوسة قد أبنت العدو والجند والقادمون من أفريقية قد أبنتوا المدينة العامرة اليوم وأمنت الساحات وكثرت الأموال حتى أطفئت أهل الحواضر والبادي حتى لقد حدثني غير واحد أنه كان للعجم مقدم يقال له ابن وردة قد ابنت له سوقا يعرف به فكان صاحب شرطة أفلح اذا تخلل المدينة لا فتقادها لم يجسر أن يدخل سوق ابن وردة ولا يتخلله هيبه وكانت نفوسة تلي عقد تقديم القضاة ويوت الاموال * وانتكار المنكر في الاسواق والاحتساب على الفساق آه بانظفه يعني أن نفوسة هم الذين ينتخبون له من يصلح لتلك الوظائف سواء كان منهم أو من غيرهم وهو يعينه وكانت الأجناد تلي بطانة السلطان واولاده وحشيه

— دهاء هذا الامام —

﴿ ممزوج ﴾

* وبينما هو في أرغد عيش وأصفاه . وأتم حال وأهنأه . على نحو ما حكيناه . اذا أوجس من القبائل المنتشرة حول المدينة وداخلها خيفه . ورآى من مباديء الثورة آيات جليلة وحركات خفيفة . لما رآه رؤساء القبائل والمقدمون في أنفسهم من القوة والجاه ونفوذ الكلمة لدى عشائهم بما ملكوه في ظل عدل ذلك الامام من منقوش الدرهم ومدور الدينار وحر

النم ورؤس البقر والشاة وجياد الخيل ولما اتخذوه من الخدم والعبيد والفرش
والستور والاسرة فأشروا وبطروا وخاسروهم الكبر ودخلتهم الالف من أن
تقام عليهم حدود الشرع الشريف أو أن يتقيدوا بقانون من قوانين الدين
المطهر المنيف تصديقاً لقوله تعالى وهو أصدق القائلين .

* ان الانسان ليطنعي أن رآه استغنى (وقوله ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر يقدر ما يشاء)

* فعندها شمر رحمه الله عن ساق الحزم وكشف عن عضد العزم . لضم
الخرق قبل اتساعه . واطفاء لهب تلك المقاصد الشريرة قبل ارتفاعه .
فألقى موجبات التخالف بين كل مقدم واتباعه . وبث الجواسيس بين شعوب
تلك القبائل بطارق سياسته . وتديرات باطنيه . كفته . وثة القتال . وقامت
مقام تجنيد الجنود وسفك دماء الابطال . شان من تقدمه من حكماء الملوك
الذين حنكهم التجارب . وكرعوا في بحار الحكمة واعترفوا من حياض
السياسة البالغة من آباءه وأجداده وغيرهم .

* وما كان غير بعيد حتى اختلفت الآراء بين تلك القبائل وتضادت
الأهواء وصار بين كل قبيلة وحليفتهما من الشقاق . أضفاف ما كان بينهما
من الألفة والاتفاق . فنشرت قبائل زناتة من قبائل لواتة ومطماطة وعظم
الشاحن بين الجند والعجم . وفشت البغضاء بين كل رئيس ومقدم . وصاروا
كلما أوقدوا ناراً للحرب مع الامام اطفأها الله . ورد العاصين بالخيبة وكفى
امام المسلمين القتال فأئت راضخة لسيطرته بدون محال . خاضعة الرقاب
باسطة الأكتاف لقبول أوامره ونواهيه بدون جدال * كل يخاف ان يسمى
به قرينه اليه او يستميله فيقر به منه ويفض عليه . وعندئذ أمن مكرهم بهذه

السياسة . ورد كيدهم في نحورهم بهذا الدهاء والقراسة .

﴿ قال ﴾ فلما رأي ذلك استلقى على ظهره آمناً ومد يديه ورجليه مطمئناً وعلم انه كفي أمرهم وبقيت تلك الضغائن في القلوب اهـ
 ﴿ أحوال الامام أفلح مع الملوك ﴾ هـ

* وكان له مع أغلب الملوك مؤدة ولا سيما ملك (صوصو) او (كوكو) التي تبعد عن تاهرت بمسافة ثلاثة أشهر تقريبا وكان أكثر المسافرين لتجارة السودان في ذلك العهد من أهل مدينة (وارجلان) وهوارة قال الشريف في نزهته * ومدينة كوكو مدينة كبيرة مشهورة الذكر في بلاد السودان وهي على ضفة نهر يخرج من ناحية الشمال فيمر بها ومنه شرب أهلها الى أن قال ثم أن ملك كوكو ملك قائم بذاته خاضع لنفسه وله حشم كثير ودخلة كبيرة وقواد وأجناد وزى كامل وحلية حسنة وهم يركبون الخيل والجمال ولهم لباس وقهر لمن جاورهم من الأمم المحيطة بأرضهم ولباس عامة أهل كوكو الجلود يسترون بها عوراتهم وتجارتهم يلبسون القداوير (العجب) والآكية وعلى رؤسهم الكرازي وحلهم الذهب وخواصهم وجلهم يلبسون الأزروهم يداخلون التجار ويبحالسونهم ويضعونهم بالبضائع على جهة المقارضة وينبت في أرض كوكو العود المسمى بعود الحية ومن خاصيته انه اذا وضع على جحر الحية خرجت اليه مسرعة ثم ان ماسك هذا العود يأخذ من الحية ما شاء بيده من غير أن يدركه شيء من الجزع ويجد في نفسه قوة عند أخذها والصحيح عند أهل الغرب الاقصي وأهل وارجلان ان ذلك العود اذا مسكه يده أو علقه في عنقه لم تقربه حية البتة وهذا مشهور وصفة هذا العود كصفة العاقر قرحامة ولا لا كنه اسود

اللون ومن مدينة كوكو الى مدينة غانة شهر ونصف أم ثم ذكر أن بين غانة ومدينة (أودغست) في شمالها ١٢ مرحلة وبين أودغست ومدينة وارقلان ٣١ مرحلة فتحصل أن ما بين تهرت وكوكو على هذا الطريق يقارب ثلاثة أشهر والطارق اليها مسلوكة مأمونة بما أبداه أئمة بني رستم من الهمة بمحافضة قوافل التجارة الى الشرق والغرب والسودان كما سيأتي عن ابن الصغير * وقال في صحيفة ١٢٠ ومن مدينة المسيلة الى وارقلان ١٢ مرحلة كباراً وهي (أي وارقلان) مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان الى بلاد غانة وبلاد ونقارة (لعلها هكارة) فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلدهم باسم بلدهم (أي يطبعون منه سكة دراهم ودنانير) وهم وهيبة أباضية ومن وارقلان الى غانة ٣٠ مرحلة اه وهذا الطريق اقرب من الاول الى كوكو . وذكر أهل وارقلان في التواريخ بشأن التجارة الى السودان كثير جداً .

* وكذا رأيت لحوارة ذكر أكثر في هذا الباب ومن ذلك ما قاله في النزهة أيضاً وان أراد بذلك حالهم بعد انقضاء دولة الرستميين فنقول انه نشأ في مدتهم قال . وهم (يعني هوارة) أملياء تجار مياسير يدخلون الى بلاد السودان بأعداد الجبال الحاملة لقناطير الاموال من النحاس الاحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف من الزجاج والأصداف والاحجار وضروب من الأفاوية والعطر وآلات الحديد المصنوع وما منهم من يسفر عبيده ورجاله الاوله في قوافلهم المائة جبل والسبعون والثمانون جملاً كلها موقرة ولم يكن في دوله المثلث «بعد دولة بني رستم» أحد أكثر منهم أموالاً ولا أوسع منهم أحوالاً وبأبواب منازلهم علامات تدل على مقادير أموالهم الى

أن قال وأما الآن في وقت تأليفنا لهذا الكتاب (وهو أول المائة السادسة) فقد أتى على أكثر أموالهم (قبائل) المصامدة وغيرت ما كان بأيديهم من نعم الله اهـ .

* وله مع ملوك الاندلس وغيرهم مواصلة وارتباط ومودة يهادونه بالهدايا النفيسة ويهاديهم بمثلها وله عندهم شهرة ومقام رفيع ينظرونه بعين المهابة ويرمقونه بأعين الاجلال والاعتبار بحيث لم يحم حول مملكته طامع من الملوك الأخرى توقياً من وثبته واندها شام من صولته الا ما كان من أبي العباس محمد بن الأغلب لما استولى على غالب شطوط افريقية فانه دعاه الطمع الى التوغل في المغرب حتى تاخم حدود (تاهرت) وشرع في بناء مدينة هناك فسكت الامام رحمه الله ولم ينكر عليه منع علمه بما سينشأ عن عمراتها من المضايقة في الحدود ونقص التجارة الى أن تم بناؤها وترتيب أسواقها على نسق عجيب وترتيب غريب فوئب عليها وثوب الأسد بجيوشه وأجلاهم منها وأبقاها خاوية على عروشها يعمرها المنكبوت واليوم * قال المؤرخ ابن خلدون المالكي وشييد (يعني أبا العباس محمد بن الأغلب) مدينة بقرب * تيهرت * وسماها العباسية وذلك سنة ٢٧٠ سبع وعشرين وأحرقها أفلح بن عبد الوهاب بن رستم وكتب الى صاحب الاندلس يتقرب اليه بذلك فبعث اليه بمائة الف درهم اهـ .

* وقد ذكر الحكاية أبو العباس البلاذري كذلك في تاريخه فتوح البلدان المطبوع ببلاد الافرنج في صحيفة ٢٣٤ الا أنه قال ان ذلك كان سنة ٢٣١ لا ٢٧ ولم يذكر التقرب وأنت ترى أيها القاريء ما في كلام ابن خلدون مما يدل على ما كان له من الحق نحو بني رستم كما قلناه من قبل ولم نعلم له سبباً والا فكيف يتقرب

أفلح الى صاحب الاندلس وهو يهاديه بالمال كما قال وهذا على فرض
 صحة النسخة المنقول منها والا فربما كان الاصل هكذا يرفعت اليه بمائة
 الف درهم يتقرب اليه بذلك (فتأمل) والله أعلم *

بعض رسائل هذا الامام رحمه الله -

* وله رحمه الله عدة مؤلفات ورسائل وأجوبة جامعة لنصائح ومواعظ
 وحكم دلت على ماله في الفضل والكمال والعدل من طول الباع وفي غزارة
 العلم وقوة الادراك من الاتساع ومن كلامه رحمه الله لبعض عماله قوله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلي -

الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

من أفلح بن عبد الوهاب الى البشير بن محمد سلام عليك واني أحمد
 الله الذي لا اله الا هو واسأله أن يصلي على سيدنا محمد عبده ورسوله صلى
 الله عليه وسلم وعلى آله (أما بعد) ألبسك الله عافيته فاني أذكرك عظمة الله
 لا تنساها وفكر في صغير خلقتك وفي عظيم ما خلقه الله وما جعله من النكال
 والعذاب لابن آدم وما عافى به من فاز برحمته من عظيم خلقه من السموات
 والارض والجبال والشجر وأذكرك ما أعده الله لابن آدم من الكرامة التي
 تكل الالسن عن وصفها فلو لم تكن كرامة تطالب الا النجاة من جهنم لكان
 في ذلك ما ينبغي للعبيد أن ينصفوا من أنفسهم ويفارقوا جميع الذات . الا
 اني أقول لك ان الدواء في هذا هو الاستغاثة الى الله في العصمة فمن أراد
 به الاحسان عصمه (أي حفظه من الاصرار على المعاصي ووقفه الى التوبة)
 وجعله من أوليائه الذين قال لا يليس فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
 فاطلب الله وارغب اليه في العصمة والتوفيق وان يحول بينك وبين عدوك

واعلم أنه لا شيء لمن عقل خير ممن وعظه ومن موعظة يأخذها ، فاقبل واجتهد في القبول الى أن قال وأما ما ذكرته من أن أجعل لك سبيلاً وأطلق يدك وأن الحاضر يرى ما لا يراه الغائب : فلعمرى انه لكذلك ولكن ليس في هذا انما هي أسهم جعلها الله وأوقفها وهي وسخ أموال الناس وليس لنا فيها قضاء ولا زيادة ولا نقصان ولا أمر ولا نهى الا على قدر الاجتهاد فاتق الله واجتهد جهدك في توفير الحقوق وتوجيهها اليها على هذا مضى من كان قبلك الخ ومن كلامه أيضاً قوله .

— بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله —
أما بعد عافانا الله وإياك عافية المتقين الذين أنعم الله عليهم بطاعته وهداهم الى ما اختلفوا فيه من الحق باذنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب كتبت اليك ومن قبلي في عافية والله لا شريك له أحييت أن أعلمك ذلك بالكتابة به اليك لتحمد الله على ذلك وتشكره كما هو أهله . وأوصي نفسي وإياك بتقوى الله ولزوم طاعته والتوقي على دينه والتوكل عليه وحده . لا شريك له فانه عز وجل يقول (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) فالزم التقوى نفسك واشعرها قلبك واصبر على ما أصابك ان ذلك لمن عزم الامور . والتقوى من الله بمكان عظيم والمتقون هم الفائزون خلصوا من هموم الدنيا وأشغالها ونجوا من عذاب الآخرة وزكاهم . فهدوا لانفسكم وقدموا المعادكم واعملوا عملاً يسركم غداً مكانه فكانني بكم وقد فارقت الدنيا ولحقتم بالموتى . وعليكم بالتمسك بما مضى عليه سلفكم الصالح أهل الفقه واليقين والبصيرة في الدين

نظروا الى الآخرة بقلوبهم فهان عليهم فراق الدنيا وما فيها . فلا تذكركم فانها
فانية زائلة فكاننا واياكم قد فارقناها فارقنا بين يدي الله تعالى فيجزى الذين أسأوا
بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى عصمنا الله واياكم بالتقوى وورزقنا
العمل بطاعته فانه ولي ذلك ومتبى الرغائب لا شريك له ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

﴿ شعره ﴾

* وكان رضي الله عنه من الادباء ذا اقتدار على النظم وحفظه له منه كل
مارق وطاب فمن شعره الرائق تلك المنظومة المشهورة بين التلامذة الجامعة
لحكم ونصائح هي جديرة بالحفظ والاعتناء بل يحق لها أن تكتب بمداد التبر
على صفحات اللجين وأن يجعلها كل من كان ذا اعتناء بالعلم والعمل به من
مكنونات فؤاده ومن درر محفوظاته حتى يصبح مذهب الاخلاق والخلق
متجليا بمحاسن الآداب العالية والعلوم النافعة وقد عني بتشطيرها ذلك الرحالة
الشهير الاديب الكامل العلامة الملقب الشيخ علي بن أحمد العماني من علماء
أباضية الشرق في أثناء سياحته بالقارة الافريقية في أواسط القرن الثالث
عشر من الهجرة لما زار مشاهد جبل نفوسة ورآى ما عليه أهله اذ
ذاك من التهور في المناهي الشرعية مع خراب المساجد وانطماس معالم السير
ومن هناك توجه الى السودان وفي طريقه ذلك سرق منه ديوانه الجامع
لأشعاره وقصائده وما حرره من رحته فانغم لذلك غمًا لا مزيد عليه وهنا
لك توفي رحمه الله . واليك نص المنظومة الرائقة مع تشطيرها البديع رضي
الله عن صاحب الاصل ورحم من حاذاه بالمثل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
 (العلم أبقى لأهل العلم آثاراً * وليهم بشعوش العلم قد نارا
 يحيى به ذكرهم طول الزمان وقد * يريك أشخاصهم روحاً وأبكاراً)
 (حي وإن مات ذو علم وذو ورع * ان كان في منهج الأبرار ماماراً
 أو أنها غبرت أشخاصهم ومضوا * مامات عبد قفى من ذاك أوطاراً)
 (وذو حياة على جهل ومنقصة * ولا يسالي أخيراً نال أم عاراً
 حياته عدم في طول مدته * كيت قد ثوى في الرمس أعصاراً)
 (لله عصابة أهل العلم انت لهم * في كل أفق من الآفاق أنواراً
 نالوا الأمانى به طراً وبان لهم * فضل على الناس غيابة وحضاراً)
 (العلم علم كفى بالعلم مكرمة * ومن يرد غير خير العلم ما اختاراً
 كم جاهل بأمور الدين مختبط * والجهل جهل كفى بالجهل ادباراً)
 (العلم عند اسمه أكرم به شرفاً * للمرء اذ يكتسي بالعلم اطماراً
 فاللتمى غير نور العلم من رتب * والجهل عند اسمه أعظم به عاراً)
 (يشرف العلم للانسان منزلة * ويحتي من جناء العذب آثاراً
 العلم نخر علا عن كل مرتبة * ويرفع العلم للانسان أقداراً)
 (العلم درة له فضل ولا أحد * محص له كل عقل دونه حاراً
 فصل خيراً وجب غور العقول ومن * في الناس يدري لذلك الدر مقداراً)
 (للعلم فضل على الاعمال قاطبة * كانت ذووه لدين الله أنصاراً
 وفضله الجلم قد نص الحديث به * عن النبي روي في أخباراً)
 (يقول طالب علم بات ليلته * برغبة تورد الضمائم تياراً
 ومن يت في الدجى بالجد مبتدلاً * في العلم أعظم عند الله أخطاراً)

(من عابد سنة لله مجتهداً * ومنفق من كنوز التبر قنطاراً
 ما نال فضلاً كفضل العلم قط ولو * صام النهار وأحيى الليل أسهاراً)
 (وقال ان مداد الطالبين على * دوامهم فيه أصلاً وأسعاراً
 ان أثر النضج منه حين يبدي على * ثيابهم وعلى القرطاس اسطاراً)
 (مثل دم الشهداء المكرمين لهم * في جنة الخلد حور العين أبكاراً
 فضل ذوي العلم حتماً لا يمانله * فضل فأكرم بأهل العلم أخياراً)
 (وقال هم يرثون الانبياء كذا * مراتب العلم لا يرتاب من ماراً
 فهم ولالة لرب العرش لا عدموا * فيهم رونا أحاديثاً وأخباراً)
 (أكرم بهم من ذوي الفضل المبين لهم * برّ كسى مظلمات الارض أنواراً
 ما ارتاب في فضلهم أولو العقول وهم * ارث النبوة في أيديهم نصاراً)
 (الكاشفين معاني كل مشكاة * من العلوم وما فيه النعي حاراً
 النادين الى دين الاله به * والمفهرين خفي الغمض اظهاراً)
 (اشدد الى العلم رحلاً فوق راحلة * وكن الى طلب التعليم سياراً
 واعص الكرى واصطبر دهر أعلى أرق * وصل الى العلم في الآفاق أسفاراً)
 (واصبر على دبلج الاغصاق معتسفاً * واقطع من الارض غيطاً وأقفاراً
 وابذل من الجهد ما يشفي القواد وجب * مهامه الارض احزاناً وأقطاراً)
 (حتى تزور رجالاً في رحالهم * فان لهم واقبس من نارهم ناراً
 واصل زيارتهم طول الزمان تجمد * فضلاً فأكرم بأهل العلم زواراً)
 (والطف بمن انت منه العلم مقتبس * وكن به مشفقاً برأ ولو جاراً
 لو كان فظاً غليظ القلب منقبضاً * جدد له كل يوم منك ابراراً)
 (فاللطف مستخرج منه فوائده * دون اللائي ترى لليم تياراً)

واجمل بقلبك بر الوالدين له * وكن لصولته ان صال صبارا (
 (فصدر ذي العلم ان راجعته خرج * راع الرضا منه واخذ حينما فارا
 واخفض جناحك ان تهدر شقاشقه * فقد يرى الاله هذا الخلق اطوارا (
 (وارصد خواطر ساعات النشاط له * واستمطرن سحاباً منه مدرارا
 وحاذر الزيف واحسن في السؤال له * اذا أردت لبعض القول تكرارا (
 (وأحسن الكشف عن علم تطالبه * وانصت بحسك اسماعا وأبصارا
 ودم عليه ولا تسأم له طلباً * والزم دراسته سرّاً وأجهارا (
 (ولا تكن جامعاً للصحف تخزنها * تملأ التواييت بالأسفار أوقارا
 وأنت عن طلب التعليم في شغل * كالعير يحمل بين العير أسفارا (
 (نعم الفضيلة نعم الذخر تورثه * فكل ذخرك وكنز دونه بارا
 والعلم خير كنوز المرء وهو غني * لنفسك اليوم ان أحسنت آثارا (
 (وان همت بخير الناس تألفهم * تلق أفاضلهم مشى وأوتاراً
 لقد وجدت اصطحاب الاكرمين وقد * ألفت بالعلم أبراراً وأخياراً (
 (فاطلب من العلم ما تقضي الفروض به * واردف به عملاً في القلب نوّاراً
 وطهر النفس من أوساخ شهوتها * واعمل بعلمك مضطراً ومختاراً (
 (واطلبه ماعشت في الدنيا ومديتها * وكن بعزمك والترغيب مغواراً
 واجعله ذخراً ليوم لم يفد ندم * لموقف العرض أن لا تورده النارا (
 (واجعله لله لا بجماله مفخرة * بين الأنام لذيل الكبر جرادا
 وصنه عن كل جبار تهق عملاً * ولا تراءى به بدواً وأحضاراً (
 (تسأل لكل مرأٍ غير مقصود * كانت بطينته شوباً وأكداراً
 لقد عدا طوره فيما يخوض به * وقد تقلد آثاماً وأوزاراً (

- (يصطاد بالعلم أموال العباد كما * ساءت خلائقه واختارت العمارا)
 يلقي الحبالات راج للقيص كما * يصطاد مقتص بالباز أطيارا ()
 (لو كان في فوات الارض معترضا * فزه ولا تنعم من ذاك دينارا)
 ولو ترى الارض من أطرافها ذهباً * وللدراهم في الأسواق طرادا ()
 (فلا تخادع بما تبديه خالقنا * واحذر وكن عن قبيح الفعل فرارا)
 واجهر وسر التقى واذرف دموع ديم * والله يعلم ما تخفيه اضمارا ()
 (ولاك يعلم ما تخفي الصدور فلا * تفتن بفعلك مهما كنت غدارا)
 ان حدث عن ربك الباقي الرؤف فلا * يكن لك الحلم من مولاك غرارا ()
 (ولا تداهن اذا ما قلت مسئلة * وكن من العدل والانصاف ممتارا)
 ولا تداهن بفتياك الأنام لقد * أضرت بالدين ان داهنت اضرارا ()
 (واجعل لنفسك حظاً من مذاكرة * ولا تكن لأخيك البر هجارا)
 ومل الى مجلس تجلو الهوم به * مع الصديق اذا استوحشت اسمارا ()
 (وانشط لعامك اذ لا بد من ملل * اذا عرا قلبك التهام وانضارا)
 وجانب النذل لا تنزل بساحته * ولا تكن من جميع الناس فرارا ()
 (وعاشر الناس وانظر من تعاشره * فان في الناس صدقاً ومكارا)
 صاحب أخا الصديق مع علم تسر به * قصدا ولا تكثرن الصحب اكثارا ()
 (قرب مكثر صحب لا يزال يري * مذاق ودٍ وبالاثنان كشارا)
 ورب صحبة من يهوي الفتى جلبت * لنفسه قرناء السوء أشرارا ()
 (الخير في الناس معدوم وفاعله * أرى الزمان له قد صار غدارا)
 ما في الزمان بقي خلٌ تسر به * الا القليل وذاك القل قد بارا ()
 (وكن بربك لا بالناس معتصماً * فالناس كانوا كاعم الآل غرارا)

وثق به واستكن فيما دعاك له * كفى بربك رزاقا وغفارا)
 (خير العباد عباد الله ان له * طرفا الى خشية الرحمن نظارا
 ترى له عند خوف العبد من ضرر * لطفاً خفياً يرد العسر أيسارا)
 (سبحانه صمد لا شيء يشبهه * فرد قديم مديد الملك قهارا
 أنا الفقير اليه أرجو رحمته * أقررت لله بالتوحيد اقرارا)
 تمت القصيدة مع تشطيرها ❦

* وكفى المطالع دليلا على غزارة علم هذا الامام أنه تصدر للتدريس
 والقاء العلوم على اختلاف فنونها قبل أن يبلغ الحلم وكانت عليه أربع حاق
 وقيل سبع من طلبة العلوم وقد بلغ في العلوم كلها حتى الرياضية والتنجيم مبلغاً
 لا يدرك شأوه حتى أنه كان ذات ليلة مع أخته يتجاذبان أطراف الحديث
 ويتحاوران في المباحث العلمية والفنون الأدبية اذ كانت هي أيضاً كسائر
 عائلتهم ممن رضع لبان العلوم ولها القدم الراسخ في المعارف فخرها الكلام
 الى علم التنجيم وبعد أن تحاورا فيه ملياً قال لها لينظر كل منا أول ماسيذبح
 من الحيوانات في السوق غداً فحسب هو فقال أول ما يذبح بقرة صفراء
 في بطنها عجل أغر فضبطت هي الحساب وقالت له صدق حسابك في البقرة ولونها
 والعجل وأخطأ في الغرة فان العجل لا غرة له وذلك البياض الذي استظهرته
 من حسابك هو في رأس ذنب العجل وقد التوى حتى صار على جبهته وفي الصباح
 أمر أن يعرضوا عليه أول ما يذبح فاذا هو كما قالت اخته بدون خلاف. ومع
 ما سردناه من درجته في العلم كان والده الامام عبد الوهاب رحمه الله يخرج
 عليه الدخول في التجارة تورعاً وبعداً عن الوقوع في بعض الشبه من حيث
 البيع والشراء حتى أنه عزم مرة على التوجه الى جهة {صوحو} بقصد التجارة

في حياة والده لأن السبل إلى السودان للتجارة إذ ذاك ممهدة مأمونة وبعد أن هيا نفسه وبرز برحله خرج إليه والده ووقف له عند باب المدينة وصار يسأله ويناقشه في مسائل الربا والبيع والشراء حتى غفل في مسألة وأجاب فيها بخلاف الواقع فقال له ارجع يا أفلح عما قصدته حتى تستعد لهذا الأمر والا أطعمتنا الحرام من حيث لا تدري فرجع مثلاً لأمر والده وتورعاً اقتداءً بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن تقع في الحرام . ذكر الحكاية الشماخي رحمه الله ولعلها كانت في حال صباه قبل رسوخه في العلم كما يدل عليه سياق الكلام

✽ خبر فرج النفوسي المعروف ✽

✽ بنقات الخارج عن الطاعة ✽

✽ وخبر العلامة سعد بن أبي يونس معه ✽

* وفي أيامه رحمه الله خرج عن دائرة الآداب فرج المعروف بنقات ابن نصر النفوسي واتخذ الطعن في الأئمة الرستميين ديدناً وخالف المسلمين في مسائل استحق بها البراءة *

١ منها قوله إن الله هو الدهر الدائم ولما سئل عن ذلك قال هكذا وجدته في الدقتر . يعني الكتاب المسمى بهذا الاسم *

٢ ومنها إنكاره الخطبة في الجمعة وادّعاؤه أنها بدعة وضلال *

٣ ومنها إنكاره استعمال الإمام العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعية ومطالب بيت مال المسلمين من الرعايا *

٤ ومنها قوله إن ابن الأخ الشقيق أحق بالميراث من الأخ للأب *

٥ ومنها قوله إن المضطر بالجوع لا يمضي ببيع ماله إذا باعه لأجل ذلك وعلى

من شهد مضرته تنجيته *

٦ ومنها قوله ان فقد لا يتحقق الا فيمن تجاوز البحر * الى غير ذلك من المسائل التي اتحل فيها الخلاف * وقد كان ذافهم عجيب وذكاء غريب واطلاع وادراك زائدين أخذ العلوم من منبعها والتقط غرائب الفنون من معدنها مع زميله العلامة سعد بن أبي يونس النفوسي وذلك عن الأئمة { بتاهرت } وسنيين خبره مفصلاً على ما ذكره أبو زكرياء وغيره فنقول وبالله التوفيق * كان نفات هذا من إحدى القرى الغريبة من جبل نفوسة وأظنها هي القرية المعروفة الآن بنفاعة العاصرة بقيلة مالكية المذهب تعرف بهذا اللقب ولعلمها من سلالته اذ كان هذا اللقب موجوداً فيها من زمن جدهنا ذاك الشهير بالعلم الغزير والكرم الواسع والعدل في الاحكام بجبل نفوسة في أوائل المائة السادسة أبي يحيى زكرياء رحمه الله تعالى . وهي في قمة جبل صعب المراقى في سمت بلدة (تنزمت) من جهة الشرق الشمالي تلي بلدة (إجريجن) من جهة الشمال أهلها فقراء جداً وبينها وبين بلدة { تمزين } مسير خمس ساعات تقريباً الى ناحية الغرب وهذه لم تزل عاصرة بمجماعة من أهل المذهب لا تخلو في الغالب من فقهاء ولأهلها محافظة زائدة على عمارة مسجدهم بالصلاة جماعة وبمجلس القرآن العظيم ولهم اعتناء خاص بالسؤال عن مسائل الدين كلما اجتمعوا ينتسب الى العلم وذلك لكثرة المترددين منهم على جبال بني مصعب لطلب العلم من علامة الزمان نادرة العصر شيخ الاسلام أستاذي الشيخ محمد بن يوسف المصعبي صاحب الصيت الكبير بمؤلفاته العظيمة * وكان أبو يونس وسيم النفوس منها وقد ولاه الامام علماً على قنطرة المعروفة عندنا الآن (بثيجي) ذات العمارة الواسعة والثمار المتنوعة والعيون

الجارية في ذلك العهد وان لم يبق فيها الآن الا شيء قليل من النخيل وعيونها
تسيل على وجه الارض لارتفاع كثير من منابعمها ولا يتنفع بها أحد بشيء .
فتوجه العلامة سعد بن أبي يونس بأشارة من والده الى (تاهرت) لتلقي العلوم
فيها فصحبته نفات هذا وأقاما هناك ما قدره الله من الزمن يلان زمان فيه
مجالس الامام وغيرها من نوادي العلم حتى أدركا درجة استحقاقها الذكر
وكانت تظهر في أثناء تلك المدة من سعد دلائل الصلاح وتلوح لديه سجايا
العفة والاستقامة أكثر من نفات وان حاز نفات قصة السبق في الذكاء
والفهم على كثيرين من أتباعه وبينما هما كذلك اذ بلغ الامام وفاة أبي
يونس عامله على قنطرة ووالد سعد ولما سمع سعد بذلك حن الى الرجوع
الى وطنه للقيام بأشغاله فالتأذن الامام في المسير فأذن له وطمع نفات في الولاية
لما رآه في نفسه من القدرة عليها فعزم على السفر مع سعد راجيا أن يعينه
الامام حاكما في مكان أبي يونس ويرجعه على سعد اذا رآه متوجها معه ولكن
الامام بعد استشارته أهل الرأي ترجع لديه صلاحية سعد للقيام بهذا
الأمر لما شاهده منه بعد تكرار التجربة من الصلابة في الدين والشدة
والوقوف عند مناهي الشرع الشريف فكتب السجل {اليورلدي أو القرمان}
باسم سعد وطواه وختمه وسلمه لها بدون أن يخبر نفاتا بشيء ولا بد من أن يكون
قد أخبر سعدا وأمرها بالمحافظة على ذلك الظرف الى أن يسلماه لمن وجهه باسمه
من جماعة المسلمين بقنطرة فاستراب نفات القضية واستغزه الشره وسوء الظن
بالامام فتخلف في طريقهما عن سعد وقتش في الرحال واستخرج الكتاب
وفتحه فاذا هو محرر باسم سعد لا باسمه فامتلا حقدًا وأضر في نفسه كل
شر قدر عليه * وبعد أن وصلا وسلا الظرف لصاحبه واتضح ان الامام عين

سعداً حاكماً جمع سعد أهل النظر والرأي وقرأ عليهم أمر الامام بتعيينه عاملاً عليهم فاستبشروا به وشهدوا باصابه رأي الامام . وقع الرضاء والقبول منهم فأحسن سعد السيرة وأقام منار العدل جارياً على سنن والده في التعفف وجمع الكلمة وكان له مسجد معروف به يقيم فيه الجمعة والعيدين والأوقات كلها . هذا ما كان من أمر سعد وأمانات فانه ذهب الى قريته وهي لا تتجاوز في البعد عن قنطرة مسيرة أربع ساعات أو خمس تقريباً وشهر هنالك الطمن في الامام قائلاً انه يلبس الطرطور ويخرج الى الصيد ويصلي بالأشهر ويزيد في الخلقة (يعني انه عظيم العظمة كبير الوجه طويل اللحية جداً) الى غير ذلك مما يعده في زعمه طعناً وجهر بالقول بمسائله المتقدمة التي خالف فيها فخاف سعد من أن يفر العامة بكلامه فصار يكرره النصائح وكلما اجتمع به ونبخه وهدده وربما ألأزله القول اذا خلا به سياسة وتأنيساً له أملاً في رجوعه ومحافظة على الهيئة الجامعة من الشقاق الا انه لم يجد نفعاً وبلغ من ملاطفة سعد اياه والاحتراس من فتنته أن اشترى داراً بجانب داره وشرع في بنائها ففرح أهل القرية والقرى المجاورة لها بذلك لما شهر به سعد من الاستقامة في أحكامه بتنطرية وصار الناس يأتونه لزيارته واعانتته بلوازم البناء ولقضاء حوائجهم أفواجاً أفواجاً * وللعلاقة التي بينه وبين نفات من حيث العشرة صار نفات هو المقدم في مباشرة الأمور ساعياً بقدر طاقته في الاعانة بما يلزم من نفسه ومن غيره وكان مؤدياً حق الصحبة والجوار مجتهداً في العمل بيده اذ كان بناءً عظيماً له معرفة بطرق البناء فاذا رأى سعد الناس قد اجتمعوا قال لنفات وهو في عمله متى تترك كفرتك وضلالك ينفات خوفاً من أن يتوهم الناس أنه راض عنه وأنه في ولايته اذ استعمله في البناء وقدمه

في أشغاله فيقول ثقات منزهاً نفسه معاذ الله أن أكفر أو أضل يا شيخ وربما قال له ليس الشتم بعبادة يا شيخ وإذا خلا المجلس من ثقات قال سعداً لحاضرين إنما جزاء ثقات مني على عمله هذا وخدمته الخبز واللاحم لا الشتم والتهديد وما فعلت ذلك إلا ليعلم الناس أنني غير راض بسيرته فلا يفترون بأقواله وفتنته * ولما بلغ الإمام خبر ثقات وانتقاده عليه قال ليأت إلينا ثقات فيوضح لنا ما أنكره منا فإن كان حقاً قبلناه (والرجوع إلى الحق فريضة) وإن كان باطلاً (فإياه) فلما سمع ثقات ذلك وعلم بطلان حجته قال إن كلمة (إياه) من السلطان هي القتل عينه فإلى أين أذهب وبقي على ذلك والإمام لم يأذن فيه بشيء والعمال لم يتجاسروا على معاملته بسوء انتظاراً لأذن الإمام فيه بما يراه من الحكم إلى أن شاع أمره وذاع خبر خلافه وفساد عقيدته فكتب عمال الإمام الذين بلغهم خبره إليه ببيان حاله ومساائله التي خالف فيها.

❦ جواب الإمام أفلح رضي الله عنه ❦

❦ إلى المسلمين في شأن ثقات ❦

* ولما كثرت ورود أخبار ثقات على الإمام من عماله أجابهم رحمه الله بهذه الرسالة موجهاً بها إلى عامله على نفاذها وهي تراها بعيدة عن جبل نفوسة وطن ثقات مستقلة عنه وعن قنطرة إلا أن العمال لشدة احترامهم ومحافظتهم كاتبوا كلهم الإمام بشأنه حتى لا يكونوا مقصرين في النصيح وكأن عامله هذا من المقبولين عنده أكثر من غيره لحسن سيرته ولمكان أيه عنده إذ كان وزيراً له .

❦ قال رضي الله عنه ❦

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم »

* من أفلح بن عبد الوهاب * إلى ميان بن يوسف يقرأه على من
 بحضرته ويوجهه إلى كل من يرى توجيهه إليه * (إماماً بعدكم) فالحمد لله المحسن إلى
 أوليائه المذموم عليهم بحسن بلائه معز أهل طاعته وناصر القائمين بحقه فليس من اتبع
 أمره بمخذول * (أحمدكم) على ما أنتم به علينا وأحسن فيه الينا حمداً أبلغ به رضاه
 وأستوجب به الزيدانه قدير * انتهى إلى الكتاب الذي كتب به إليك تحية
 ابن عديين فقرأته وفهمته كل ما ذكره لك فيه عن كل خائب جاهل بما هو عليه
 متحامل على مالا علم له به متخبط في أموره خبط عشواء لم يبلغ العلماء فيقتبس
 منهم ولم يصحب أهل الورع فتحجز آثارهم عن الهجوم على مالا علم له به * لكنه
 نشأ وحيداً وأقام متوحشاً من العلماء فتقلب في جوانحه الشيطان بنفخاته
 فأورثه الكبر وعظم عليه الوقوف دون مالا يعلم حتى يعلم فهمهم على
 مالا يحل له فشكل شيء خطر على قلبه تكلم به مصيباً كان أو مخطئاً * وما
 أصابه من شيء على غير علم فأصابته خطأ اذ تكلم بما لا علم له به وما أصابه
 من خطأ فهو مخطيء فيه * فهو يتردد في الخطأ ان أصاب لم يدروا ان أخطأ
 لم يدروا راكب مشكلات يخبط خبط عشواء كخاطب ليل لا يدري ما يحطب
 ولعله يحتطب ما فيه حته أوحية تأتي على نفسه فتعوز بالله من الفتنة ومن
 السلوك على منهاج ذلك الرجل * لقد كان من مضى قبلكم من المسلمين لا يدعون
 مثل هذا يدخل مجالسهم ولا يشهد جماعتهم وكان عندهم مقصي ومبغداً
 مدحوراً يهجرونه ولا يجالسونه حتى يرجع إلى سنة المسلمين وأنتم
 محقوقون باتباع آثار سلفكم والسلوك على منهاجهم وأن تفعلوا بهذا التائه
 المتخبط ما كان يفعله سلفكم بمن كان قبله لكي ينزجر من أراد الله به خيراً
 وينتبه غيره ممن يخاف عليه الاقتداء به واتباعه ولا تظهر سنن أهل البدع

ولا تقوم للشيطان دعوة وأنا مبديء لكم ما ذكره وراذ عليه ضلالته) * ثم شرع في الرد عليه وفي ابطال مسائله التي اتحل فيها الخلاف للمسلمين بحجج واضحة وبراهين قاطعة وهي رسالة طويلة فاطلها في غير هذا *

* ثم ان تفاتاً لم ينته عن غيه ولم يتيقظ من ضلاله ولم تؤثر فيه مرشد العلماء وأهل الفضل مع توالي النصائح اليه مشافهة وتحريراً من الامام وغيره ممن له اعتناء بشأن الدين واصلاح الأمة بل ازداد عناداً ورياء فكثر الكتابات في حقه الى الامام من عماله وغيرهم ممن اثنهم وخصمهم بمكاتبته واخباره بأحوال الولاية والعمال والرعية في الجهات فأجابهم رضي الله عنه بواسطة مكاتبه بهذا الجواب *

❦ الرسالة الثانية للامام أفلح الى المسلمين ❦

❦ في حق نفات ❦

❦ بسم الله الرحمن الرحيم ❦

❦ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ❦

من أفلح بن عبد الوهاب الى (يياض في الاصل)
* اما بعد البسنا الله واياك عافيته وكفانا واياك مهمات الامور برحمته
* كتبت اليك وأنا ومن قبلي من خاصتي والرعية عامة على أحسن حال
جرت به عادة الله وتواترت به نعمائه فله الحمد كثيراً والشكر دائماً أتاني
كتابك بالذي أحب علمه من سلامتك وحسن حالك وتواتر نعم الله عليك
واحسانه اليك والى من قبلك من الرعية وأهل الطاعة فسرني بذلك وحمدت
الله كثيراً عليه وسألته تمام النعمة علينا وعليكم برحمته انه مجيب * وذكرتم
أمر نفات وأكثرتم فيه الكتب ووصفتم عنه أشياء لا يشك أحد منكم

في أنها بدعة وخلاف لما مضى عليه سلفكم فان يك ذلك كما وصفت فما ينبغي
 لاحد منكم أن يخالجه الشك في أن ذلك ضلال لأن الهدى في أيديكم والحق
 ما شرعه لكم سلفكم الصالح والائمة المرضيون رضي الله عنهم فمن أتى من
 بعدهم بما يخالف شريعتهم ويأخذ في غير طريقهم فهو ذو بدعة وكل بدعة
 ضلال وكل ضلال كفر وكل كفر في النار * وأنتم على يقين من سنة أسلافكم
 ولا يتبع الهدى الا في موافقتهم ولا يخاف العاقل الهلاك الا في خلافهم *
 وقد قلم في كتابكم هو غلام حدث غر لا تجربة له في الامور فنخاف ان
 جشمناه السفر والشخوص أن تحمله اللجاجة مع اعجاب الرأي واليه بالنفس
 على التماذي فيما يهلك به نفسه * فما وجه ما سألتكم من ذلك وهل أنتم على
 شك من دينكم أو ريبة في أمركم * السنة في أيديكم وأسلافكم الماضون كانوا
 على مثل حالكم * بل كانت لهم عمال في حال كتبهم وكبار يقومون بكل أمر
 من الحقوق وغيرها في حال الكتمان وليس أحد منهم يقول ما حكيتموه عن
 هذا الغلام * فلما حدث منه ما ذكرتموه كان أمره واضحا وهو أنه أخذ بخلاف
 ما مضى عليه سلفه وأحدث مقالة لم يقلها عنهم غيره وأنتم على يقين من
 أمركم فما أخرجكم الى محبته واشخاصه وان كنتم تريدون أن تعلموا ما نحن
 عليه فنحن على ما مضى عليه سلفنا ومقرون لما حكيتموه عنه ان قاله
 * فقوموا عليه فان رجع عن مقالته ونزع عن بدعته فقبول منه رجوعه ومرحبا
 بالتائب حيث كان ومن كان وأين كان وان أبي الا التماذي فأنتم تعلمون
 السيرة فيمن ابتدع في دين الله وشق عصا الاسلام وقال بخلاف الحق * فانه
 محقوق بأن يهجر ويقضى ويعد * وفتات مثل واحد من الناس لأخصه بشيء
 دون غيره والسيرة فيه وفي غيره واحدة والسنة قائمة وحكم الله لا يزول

ولا يتبدل . فانا نشهد الله على من كان من أهل هذه الدعوة وعمالنا وقوادنا وأهل العلم من أصحابنا ومن أئمة اليهم من رعيننا أن لا يسمع أحداً يتدع في دين الله أو يسلك طريقة غير طريقة أصحابنا الماضين من أسلافنا الا ويكون قد غير ذلك وأطفأه واستتاب من أظهره فان لم يتب خعله * فهذه مني عزيمة واجبة وأمر لازم وفرض محرم أن يتعدي وأن يقال بخلافه * فمن قريء عليه كتابي هذا فليسمع وليتنبه الى ما أمرت به فان من انتهى اليه كتابي هذا في حرج ان قصر عما أمرت به * * ومن عاب أحداً من عمالنا بخصلة من الخصال أو أنكر عليه شيئاً فليرفع ذلك الينا فنكون نحن الذين يغيرونه ان كان مما يغير وليس للرعية الوثوب على السلطان حتى ترفع ذلك اليه لان الوثوب على السلطان والاقتفاء للخصال التي نحن اولى بالنظر فيها خطأ من الرعية وضرب من ضروب السائبة لان هذا وضربه مما لا يعلم باطنه الا بالبحث وقد يظن الظان في الأمر فيراه خطأ وهو عدل من حيث لا يعلم * ولم يظلم من دعاكم الى نفسه وكلفكم بأن ترفعوا أموركم اليه لان في ذلك شفقة منا عليكم ان تهلكوا من حيث لا تعلمون والله ولي عصمتنا وتوفيقنا وأياكم وهو المستعان لا شريك له * وقد كتبت اليك جواب مسائلك فليتك بتقوى الله والعمل بطاعته وحن النظر لنفسك فانها ان سلمت لك فقد نجوت وفزت فوزاً عظيماً * ولا تدع الكتابة الي بحالك وسلامتك فالك تسري بذلك والسلام اهـ . * ولما بلغ نقاتاً خبر هذه المكاتبات في حقه وأمر الامام عماله بتحقيق ما شهر عنه واثباته ثم اظهار البراءة منه ونفيه وإبعاده ان لم يرجع بعد استتابته ضاقت به الارض وتوقع الهلاك فكتب الى الامام كتاباً (لم نثر عليه) يستفهم فيه عن موجب الأمر بالبراءة منه ويشتمل على كلام حمل الامام

رحمه الله على مكاتبتك برسالة لا بسملة فيها ولا سلام إشارة منه رضي الله عنه
الى البراء منه وعدم الرضاء عنه .

— الرسالة الثالثة للامام أفلح —

﴿ رحمه الله أرسلها الى نقات ﴾

* ﴿ من أفلح بن عبد الوهاب ﴾ الى نقات بن نصر ﴿ أما بعد ﴾
فالحمد لله المنعم علينا والمحسن الينا الذي بنعمته تم الصالحات ولا يهتدي مهتد
الا بمعونه وتوفيقه فله المنة علينا ولا منة لنا عليه * وهو المحسن الينا اذ هدانا
لدينه وجعلنا خلفاً من بعد أسلافنا الصالحين وأئمتنا المهتدين الذين في اتباعهم
نرجو الهدى وفي مخالفتهم نخشى الهلكة * ولن يهتدي من خالف العدل
ولن ينجو من ابتدع غير الحق لان تلك البدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل
كفر في النار *

* وقد كتبت اليك غير كتاب أنصح لك فيه وأدعوك الى رشدك وفي كل
ذلك لا يلغني من عمالنا فيك الا ما أكره ولا أراضاء لدين ولا دنياحتي
حررت كتاباً منشوراً الى عمالنا أمرتهم فيه بمخلم كل من خالف سيرة المسلمين
وابتدع غير طريقهم وسار بغير سيرتهم وبنفيه وهجره واقصائه
* فكتبت الي كتاباً كأنك تسخط ذلك * أرى اني أوازر من ابتدع في ديننا
(كلا) ما كنت بالذي يفعل ذلك ولا أوازر من يسمى في خلافتنا ما كنا
على الهدى *

* ثم قلت انا أمرنا في كتابنا بالبراءة منك * فان كنت كما كتب به الينا
عمالنا فانت محقوق بالبراءة ومقصي من جماعتنا لاننا ما كتبنا كتابنا ذلك
الا على ان كل من ابتدع في ديننا خلاف أسلافنا وزعم أن عمالنا أساقفة

وانهم لا طاعة لهم في حال كتمانهم فهو محقوق بالبراءة ومقصي من جماعة المسلمين * فان تكن أنت منهم فأنت الذي أبحث لنا البراءة منك وأحملت بنفسك ما لا بد لنا أن نفعله بك وبغيرك * وان لم تكن كذلك فظاهر الاتقاء من ذلك وكذب عن نفسك ما قيل عنك لتكون عندنا بالجمالة التي تستحقها وتستوجبها *

* وأما قولك (تب مما كتبت به) فهو منك عبث اذ لم أشاهدك ولم أشاهد موافقتك حتى يجب لك علي أصل ولاية * ولم يكن لك عندي مقدمة في الموافقة * وانما رفع الينا عنك مارقته أهل الثقة عندنا فأمرنا عمالنا ان يسيروا في كل من ابتدع بسيرة المسلمين وكتبنا اليهم بذلك * فجعلت تكتب الينا فيما ليس لك به كتاب * فعلام تتجاهل في الامور * فان كانت غايتك انما هي ان تكتب اليك وتكتب الينا ونجيب فهذه غاية قصيرة والسكوت عنك أهنا وأولى بنا ونحن بآمانينا به أخق من مجاوبة أهل التكاف ومن ليس له غاية الا أن يقال فيه كتب فلان وقال فلان وفلان يفعل ويفعل فلان * وان كانت غايتك التصحيح فاتف عن نفسك مارقتي عليك وكن من جماعتنا وموافقي اسلافنا فاذا تبيئت منك الموافقة والاتقاء مارقتي عليك كان ذلك هو الذي نحبه منك ومن غيرك وليس لك عندي غير هذا * وان يكن حقاً مارقتي عليك وما قيل فيك من مخالفة أصحابنا فأنت ومارضيت به لنفسك * واني غير كاتب اليك كتاباً بعد هذا الا ان انتهى الينا منك ما نحبه فنترك من أنفسنا بحيث نحب والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم آم



هروب نفات الى المشرق

واستنساخه ديوان الامام جابر بن زيد رحمه الله من مكتبة

الخليفة ببغداد

* فلما قرأت نفات هذا الكتاب وفهم اشارات الامام فيه وأدرك منتهى ما ترمي اليه آخر عبارة منه وهي قوله (واني غير كاتب اليك كتابا بعد هذا) علم أن دور الكتابة واللين قد انتهى وانسد بابو ولم يبق الا دور الشدة والعنف الذي فهمه قبل ذلك من قول الامام (إيه) فانهز الفرصة وجمع ما عنده من المال نقدا تحتته وكان غنيا متريا وهرب طالباً للنجاة بنفسه الى أن تجاوز حد نفوذ الامام وهو (أرض سرت) وضل سائراً نحو المشرق حتى أتى مدينة بغداد وهي اذذاك مقر خلافة بني العباس بالمشرق وأقام فيها ماشاء الله ان يقيم مترددا على صديق له بغدادى في السوق يتأنس اليه ويمضي جل أوقات فراغه عنده الى أن طرأت على السلطان مسألة علمية أشكل عليه الأمر فيها وعجز علماءه عن حلها فأمر أن ينادى في الاسواق بأن كل من أجاب عنها بجواب مقنع له ما يسأله من السلطان * وبينما نفات عند صاحبه اذ سمع ذلك النداء فقال لصاحبه انى سأذهب الى السلطان وأسأله يان مسئلته لأجيبه عنها فقال له الزم نفسك فان الحال ليس بسهل وكأني بك وقد عجزت عن اداء ما تحملت به فأمر بقطع رأسك وليس هذا بميدان يجول فيه كل أحد فأصر نفات على كلامه ولما مر المنادي أمام الدكان قال له صاحبه ان هذا المغربي ذكر أنه يقدر على جواب السلطان فلم يك الا كليم البصر حتى اختطفه الشرطي وذهب به الى أث مثل بين يدي السلطان فقر به اليه وأدناه وآسسه وسأله عن أحواله ونسبه ومسقط رأسه

فأجابه عن كل ذلك بأوجز بيان ثم رأى أن يمهّد لنفسه عذراً حتى يكون
مطمئناً آمناً من الهلاك ان هنا هفوة في كلامه عالمياً بأن آفة الانسان اللسان
فقال له اعلم اني رجل بربري اللغة والطبع مغربي المشرب لم أتخلق
بالآداب الشرقية حتى أقوم بما يجب علي من حسن القول امام مقامك
العالي فأطلب الاذن في التكلم بما يخطر ببالي مع العفو عما يصدر مني من
الخطأ المغاير لسنن الأدب * وبعد أن تلفظ له بالاذن كما طلب سأله عن
مسئلته فأجابه في الحال بجواب كاف شاف اقنعه كل اقناع ولا عجب
الخليفة به صار يكرر له السؤال عن معضلات المسائل وهو يجيب وكان
المجلس حافلاً بالعلماء والفقهاء والأدباء والأمرء وأولي الوجاهة من أكابر
بغداد اذ كانت للمسألة شهرة عظيمة ولها من قبل ذلك في الدوائر والمجالس
ذكر شائع وطفق أولئك العلماء يسألونه سؤالاً بعد سؤال وهو يجيبهم الى
أن أعيانهم الأمر وملوا الجلوس ولحق الخليفة من العجب ما أبهر عقله
وحير فكره فنظر اليه وهو على هيئته المغرية فيما يظهر من قرائن الاحوال
وقال معرضاً به (نعم العسل في ظرف سوء) ففطن لها نفات وقال في الحال معرضاً
بديوان جابر المتقدم ذكره وهو موجود بمخزاة (مكتبة) الخليفة (نعم الرجل
في قبر سوء) ففطن الخليفة أيضاً لمراده واشتد به الحق وكاد يأمر بالقتل
به لولا ما صدر منه من الاذن في التكلم والعفو عن الخطاء ثم قال له اسأل
حاجتك لنوافيك بها جزاء لعملك هذا فقال له ان حاجتي هي صدور أمرك
بالاذن لي في نسخ ديوان جابر بن زيد الموجود في مكتبتك * فما تواني
السلطان في اذنه بذلك وقام نفات فرحاً بما ناله من الأقبال والفوز وكان
الحاضرون من وزراء السلطان وخواصه قد أدركهم من الجزع ما كدر راحتهم

اذ رأوا السلطان مسيراً لنفات في أمر الديوان فقالوا له بعد خروج نفات
كيف يصح لك يا أمير المؤمنين أن تأذن في نسخ الديوان وهو معدود من
مهمات خزانتك وغرائبها حيث أنه لا يوجد في غيرها قط وهذا مما لا
رضاه منك * فتنبه اذ ذاك وندم وقال اني قد وعدته ولا يمكن لي الرجوع
في كلامي فانظروا لي وجهاً مناسباً لا يحط بشرفي وأمنعه به من ذلك فقال
له أحد الوزراء اذا رجع اليك فاعلمه بأنك موف له بالوعد الا أن مدة النسخ
لا يمكن أن تتجاوز يوماً وإيلة فانه اذا سمع منك ذلك ترك الطلب لأن هذا
القدر من الزمن لا يغنيه شيئاً فاحتصوب السلطان هذا الرأي وأرسل في
الحال الى نفات يعلمه بذلك فظن نفات لهذه المكيدة وأدرك أن المسئلة
دبرت على أثر خروجه من عند السلطان فرضي بالشرط وذهب فاشتري
ما يكفيه بالتقريب مداداً وأقلاماً ورقاً وصنع أحواضاً مخصصة بالجير مصففة
على هيئة يتمكن بها من الكتابة كل نسخ *

* ثم أمر مناديه فنادى في المدينة بأن كل من يحضر الى المحل القلاني
في يوم كذا ويكتب طول يومه فله دينار وللذي يملي عليه نصف دينار * وغير
خفي ما كان في ذلك العصر العاصر بالأدب والعلم من الكتاب والقراء
فاجتمع له خلق لا يحصى وشرعوا في الكتابة الى الليل وقبل انتهاء وقت هؤلاء
نادى المنادي أيضاً بأن من يكتب ليلته هذه فله ديناران ولن يملي عليه دينار
فبقي من الأولين من بقي وخلف من ذهب غيره واستمروا في الكتابة وما
طلعت الشمس حتى تم له نسخ تسعة أجزاء وبقي له جزء واحد نعه السلطان
من اتمامه لانتفاء الوقت المحدد المأذون به فاستأذن عليه ودخل فطلب
منه أن يتصفحه مرة واحدة ويرده فسله له وبعد أن أنهى سرداً قال له قد حفظته

وان أردت أن أقرأه عليك لتعلم صدقي فعلت فتعجب الخليفة من ذلك وأمره بقراءته فقرأه الى آخره بحيث لم يترك منه شيئاً قط *

* ثم ان الخليفة جمع وزراءه وقال لهم قد أعيانا أمر هذا الرجل وما قدرنا له على حيلة وها هو قد أتم الكتاب وأراد السفر ولا بد لنا من رأي تتوصل به الى سلبه منه فأشار كل برأيه ثم قال هو اني سأسأله عند خروجه الى سفره عن أسئلته فان عجز عنها سلبته منه بوسيلة انه ليس له بأهل أو قتلته وان أجاب فاسأله انتم واحداً بعد واحد حتى يعجز فنفعل به ما ذكرناه فاتفقوا على ذلك واقتروا ولما بلغهم أن نفاتاً برز برحله للسفر حضروا ومعهم الخليفة بصورة أنهم يودعون له وابتدأوه بالاسئلة المتتابعة زمناً طويلاً حتى تنبه الى أنهم ما فعلوا ذلك الا لقصد ارجاع الديوان منه ولما رجعوا ولم يقدروا له على شيء أجمعوا على أن يرسلوا وراءه من يتزعمه منه * فتحذر هو وحاده عن الطريق المعروف فلم يدركوا له أثراً وتوجه الى مكة ثم منها الى طرابلس ولما بلغها سأل عن الاحوال فوجدها قد تغيرت ووجد دولة الامام في قوة عظيمة وثقوذ كامل واذا ذاك علم انه لا مطعم له في شيء مما كان يقصده من الخروج عن الطاعة واستغفال العامة ورأى ان السكون أسلم وأصلح له الا ان الشيطان غره وضاعف حسده وسولت له نفسه ان يعدم ذلك الديوان حتى لا ينتفع به أحد بعده ولعله خاف ان يطلبه منه الامام لينسخوا منه نسخة للمكتبة المشهورة بمخزاة نفوسة الجامعة اذ ذاك لآلاف المؤلفات من الكتب بمدينة (سروس) في جبل نفوسة أو لمكتبة تهرت فحفر له في الارض ودفنه وأخلد الى السكون الى أن مات *

* وقد ذكر هذه الحكاية أبو بكر كريمة الله وجهه وغيره ولا غرابة فيما

ذكره من حفظ نفات فان ما يحكى عن حفظ الشيخ السيوطي وغيره لا
يبعد عن هذا وانما الغرابة في نسخ الديوان في تلك المدة القصيرة مع قولهم
انه كان وقر عشرة جمال وانظر على هذا كيف تأتى لجابر رحمه الله تأليفه
ونسخته مع اشتغاله بأمور المسلمين* الا ان يقال ان الخط في ذلك الوقت غليظ
جداً ولا سبك فيه كما نشاهده في الكتب المتينة وان المكتوب فيه جلد
لا كاغد ولو كتب الآن لكان في أقل من ذلك بكثير* وقد تعرض صاحب
كشف الظنون لذكر هذا الديوان ولم يقل فيه شيئاً والله أعلم

* والذي ذكره بعض أصحابنا فيما رأته ان نفاتاً تاب ورجع عن مسأله التي
خالف فيها وهو كلام قريب اذ لم يرو أحد أنه ذكر الامام بسوء أو تكلف
لاثارة فتنة أوسى في فساد بعد رجوعه من المشرق بل كان الامام بعد ذلك
نافذ الامر ظاهر السيطرة في نفوسة وغيرها والله أعلم بالحقائق *

✽ امتحان الشراة من المسلمين للامام ✽

﴿ أفلع رحمه الله بتولية العلامة محكم القضاء ﴾

* (الشراة) في اصطلاحهم تقريباً لفظ يطلق ويراد به جماعة تتركب من
أربعين رجلاً فما فوق ذلك اشترى آخرتهم بدينهم بمعنى انهم تخلوا عن الدنيا
وعاهدوا الله على انكار المنكر والأمر بالمعروف بدون مبالاة ولا خوف من
الموت ولو أدى بهم ذلك الى القتال* فهم دائماً يتمتعون بالأثمة والعمال بما يستدلون
به على شرائرهم وخفايا مقاصدهم وأعمالهم ويحمدون سيرتهم اويذمونها وعلى ذلك
يكون مدار اقوال الناس فيهم ولذلك تجعل الأثمة والحكام مرآشدهم نصب
اعينهم لعلم الجميع باخلاصهم العمل لله في اصلاح الامة واقامة الدين *

* وقد امتحنوا هذا الامام أيضاً بما جعله في أرفع درجات الرضاء والقبول

عند الخاصة والعامة من المسلمين وقد ذكر ذلك ابن الصغير المالكي في تاريخه مفصلاً فخذ أيها القاريء منه بعبارة *
 ﴿ قال ﴾ وكان أول ما امتحنته به الشراة أن قاضياً من قضاة أيه

مات في أيامه فاجتمعوا اليه وسألوه أن يولي القضاء من استحق ذلك عنده فقال لهم أجمعوا جمعكم وقدموا خيركم ثم اعلموني به أجبره لكم وأعضده على ما يكون فيه الصلاح لكم فقبلوا أمرهم فلم يرتضوا أحداً منهم وأجمع رأيهم على محكم الهواري الساكن بجبل أوراس (صاحب التفسير المشهور) فأتوا إلى أفلح بن عبد الوهاب وقالوا له قد تدافعنا هذا فيما بيننا فلم نرض أحداً منا وقد رضينا جميعاً بمحكم الهواري الساكن بجبل أوراس لخاصتنا وعامتنا وديننا ودياننا فقال أفلح ويحكم دعوتكم إلى رجل هو كما وصفتم في ورعه ودينه ولكنه هو رجل نشأ في بادية لا يعرف لذي القدر قدره ولا لذي الشرف شرفه وإن كان ليس منكم أحد يجب أن يظلم ولا يظلم ولكن تحبون أن يجري فيكم الحقوق على وجهها بلا نقص لا عراضكم ولا امتنان لأنفسكم قالوا فانا لا نرضى لقضائنا أحداً غيره فقال الذي حدثني أخبرني أي أن أشد الناس بولاية محكم على أفلح أخوه أبو العباس قال أفلح أما إذا أيتيم غيره بعد نصحي لكم فابعثوا رسالكم إليه على بركة الله قال فخرجت الرسل بكتاب من أفلح وكتاب من الشراة في داخل كل كتاب منهما بعد اثبات اسم الله العظيم ﴿ أما بعد ﴾ فانه قد نزل بالمسلمين أمراً لا غني بهم عن حضورك وهم منتظرون لقدمك ولا يسمعك التخلف فيما بينك وبين الله عن الحقوق بهم والاجتماع معهم ليجمع رأيك ورأيهم على ما فيه صلاح المسلمين فلما ورد كتاب القوم ورسالهم على محكم عمد إلى دابة له وركبها وأخذ كساءه وعصاه ثم توجه نحو القوم حتى أتى البلد

وقصد المسجد الجامع فنزله وابتدر اليه أصحابه فأحاطوا به وقالوا ان فلانا
 ابن فلان القاضي توفي وقد أجمع رأي المسلمين ورأي الامام عليك عليه السلام وعلم
 انك متى تخلفت عما دعوناك اليه كنت المسؤول عن كل دم يراق بغير حله
 وفرج يوطأ بغير وجهه فاتق الله ولا تخالف الامام والمسلمين فيما دعوك اليه
 وانك ان خالفت أجبرناك وان أطعنا شكرناك * فقال لهم ان الحق مر
 أمر من شرب الدواء الا كرها وانتم مترفون ابناة نعم وغيري احب اليكم مني
 نصحتكم فاقبلوا نصيحتي وذكروا كلاماً يطول ثم قال اما اذا أيتم الا هذا
 فارجموا الى امامكم فاعلموه بما أعلمتكم وشاوروه في أموركم * قالوا لقد
 فعلنا قال على بركة الله فأنزلوه في الدار المعزوفة بدار القضاء واشتروا له خادماً
 صفراء تخدمه وأجروا عليه من بيت المال قوته وسار فيهم السيرة التي أملوها
 منه ورجعها عنده فيئما هو على ذلك من أمره اذ تنازع أبو العباس أخو أفلح
 المشير له والمرغب فيه وصهر لأفلح في أرض فارتقما الى أفلح * أبو العباس
 أخوه والآخر صهره فقال لهما أفلح كلا كما يمز على ولكن ارتقما الى محكم
 وكان أبو العباس يحب ذلك لتقديمه لمحكم وإثاره اياه وكان الآخر يكره
 ذلك ويحب ان لو كان أمرهما عند أفلح فاعتنم أبو العباس كلام أفلح وبادر الى
 بغلة له شبيهة هملاجة فركبها وكان صاحبه على رمكة بطيئة المشي فأتى أبو
 العباس محكما فوجدته خاليافي سقيفة داره ولم ير مع أبي العباس أحداً فأجلسه
 محكم الى جنبه وأقبل عليه يحدثه وخصمه متخلف على دابته فيئما هما كذلك
 اذ أقبل خصمه حتى نزل على باب دار محكم فلما رأى أبو العباس خصمه قد
 نزل نادى باسم جارية محكم فخرجت اليه فاستسقاها ماء ليري أبو العباس
 خصمه دالته على القاضي ليردعه بذلك فلما صار القدح الى الجارية قال الخصم

في نفسه الى من أحاكم خصمي جالس الى جنب القاضي ويستقي الماء من داره وأنا ملقي على باب الدار لا يلتفت الى ولا ينظر نحوي * قال ثم حانت منه التفاتة فاذا بالرجل جالس فقال له ما بالك يا هذا وما قصتك فقال له جئت خصماً لأبي العباس فوجدته جالساً الى جنبك فجلست في موضعي هذا قال فغضب محكم على أبي العباس فقال يا أبا العباس تأتي مع خصمك فتجلس الى جنبي دونه وتستقي الماء من داري ويبد جاريتي (يا غلام) خذ بيد أبي العباس فاقمده مقعد خصمه ولا يبرح وخذ بيد خصمه فاقمده الى جنبي ومصر الجارية فلتسقه ماء ففعل الغلام ما أمره به فخرج أبو العباس مغاضباً قد شق عليه حتى دخل على أخيه (الامام) أفصح فلما رآه قال له مالك وما عراك قال له نزل بي من هذا الهواري .. الجاني مالم ينزل بأحد فقال وما ذاك فقص عليه القصة من أولها الى آخرها فلما فرغ من كلامه قال له يا أبا العباس قد كنت أعلمتك بهذا من قبل والصواب ما فعل والحق أولى ان يؤثر ولو فعل غير هذا لكان مداهنأ فالتصل ذلك من كلامه بوجوه الأباضية فأعجبهم وسعروا به اه بالحرف الواحد وما امتحنه به وفد نفوسة أنهم نزلوا عنده أضيافاً ولما حضر الطعام وقف على رؤوسهم بالقنديل وهم يأكلون فمد له واحد منهم لقمة مما بين أيديهم باتفاق مع رفقاءه ولما كانت إحدى يديه رحمه الله مشغولة بالقنديل ولم يكن من الأدب قبوله اللقمة بيد واحدة وضع القنديل فوق ركبته حتى لا يحتني عنهم نوره وتلقى اللقمة يديه ولم يتكبر فشكروه على ذلك رحمه الله أجمعين *

* ولم يزل رضي الله عنه يوالي الارشاد ويتابع كتب النصائح الى عماله في الجهات والى الجموع في البلاد تارة باللين والسياسة استمالة للنفوس الشاردة

وتأميناً للقلوب الوجلة وتارة بعبارات الشدة وجل الارهاب والفاط التهديد
 قهراً لذوي المقاصد السيئة وقطعاً لأكمال أولي الألباب الفاسدة والنيات
 الخبيثة عادة كل ملك حكيم مدبر جامع للاضداد من الشدة واللين والفضب
 والرضاء والجود والبخل وغير ذلك ليصرف كلاً حيث يجب والا كانت
 عاجزاً عن ضبط ملكه وقهر أعدائه * فليتبع من رام معرفة قدر علو همم
 الكمل من الرجال غصون رسالة هذا الامام القائم بالعدل الشاهر لاحق التي
 اتحف بها عامة رعيته وخاصتهم نصيحة لله وهدية وتليت عليهم بواسطة عماله في
 المجالس فكان لها في النفوس وقع عظيم وفي صفحات الصدور تأثير جسيم
 لما اشتملت عليه من النصيح والترغيب والترهيب وما كفا بممانيتها الفائقة
 والفاظها الرائقة *

❦ النصيحة العامة من الامام ❦

❦ أفصح رحمه الله الى كل من كان تحت ❦

« لوائه من المسلمين »

❦ بسم الله الرحمن الرحيم ❦

❦ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ❦

❦ من أفصح بن عبد الوهاب ❦ الى من بلغه كتابنا هذا من المسلمين

❦ أما بعد ❦ فالحمد لله الذي هدانا للاسلام * وأكرمنا بمحمد عليه السلام

وأبقانا بعد تناسخ الامم حتى أخرجنا في الأمة المكرمة التي جعلها أمة وسطاً

شاهدة لنبيها بالتبليغ ومصدقة لجميع الانبياء وشاهدة على جميع الامم بالبلاغ

من الانبياء عليهم السلام اليهم من آمن الله ورحمة أرسل اليها نبيته محمدًا صلى

الله عليه وسلم بالهدى ووعدته بالنصر على الاعداء وضمن له الفرج والغلبة

ووعد به بالعصمة وقال له عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَاتِهِ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فأدى عليه السلام ما أمره الله به ونصح لأئمة وذعاه إلى سبيل ربه وجاهد عدوه وغلظ على الكفار ولان للمؤمنين فكان لهم كما وصفه الله عز وجل رؤفا رحما حتى انقضت مدته وفيت أيامه واختار له ربه ما عنده فقبضه محمود السمي مشكور العمل صلى الله عليه وسلم * فلم تبق خصلة من خصال الخير الذالة على الرشد الداعية إلى النجاة إلا ودعا إليها وسنها أو فرضها أو أوجبها ولم تبق خصلة من خصال الشر الداعية إلى الهلكة إلا وزجر عنها وأمر باجتنابها رحمة من الله لعباده فله الحمد على ذلك كثيرا * ثم أمر تعالى بالجهاد في سبيله والقيام بحقه والاخذ بأمره والانتها عما نهى عنه وفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف والقيام مع المظلوم والقمع للظالمين لكي لا تقوم للشيطان دعوة ولا تثبت لأهل حربه قدم ولا ينفذ لهم حكم فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عماد الدين واعزازه وهو الجهاد وتأدية الحقوق الواجبة لله تعالى * فعليكم معشر المسلمين بتقوى الله العظيم والقيام له بحقه فيما وافق هواكم أو خالفه وتقربوا إلى الله بالقيام بطاعته وطلب مرضاته لتنالوا بذلك ما وعد به من جزيل الثواب وكرم المآب * وعليكم بتقوى الله واتباع آثار سلفكم فقد سنوا لكم المدي وأوضحوا لكم طريق الحق وحملوكم على المهاج في اتباعهم النجاة وفي خلافهم تخشى الهلكة فاتبعوا ولا تبدعوا واجتهدوا في ادراك ما أدركوه وإياكم والبدع فإن البدع هلكة وسوء طريقة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل كفر في النار * فمن ترك آثار سلفكم الصالحين واتبع غير سبيلهم فقد أحل بنفسه الهلكة ووجب

عليكم القيام عليه والبراءة منه وخلعه مما هو عليه حتى لا يجد عندكم هوادة
ولا ادهاناً وحتى لا تقوم لظالم حجة ولا تطاع له مقالة فانكم متى لم يجد
ظالم فيكم ولا عندكم مقاماً عززتم وعز دينكم وكان لكم ذلك عند الله فوزاً
عظيماً * (واعلموا) أن الله قد أوجب عليكم أن تقوموا لله بالعدل في عباده وبلاده
ولا تأخذكم في الله لومة لائم * فليس لاحد منكم عذر ولا حجة يحتاج بها
على الله فقد أوضح لكم المنهاج وأثار لكم طريقة الحق وجعل لكل زمان رجالاً
تسند اليهم الأمور ويأمرون فيطاع أمرهم * ويدعون فيجاب نداؤهم * وأنتم
رجال زمانكم والكبراء من أهل موضعكم فأعرضوا أعمالكم على أعمال من
تقدم قبلكم من سلفكم وأهل الزمان الأول من أوائلكم فان كانت
أعمالكم موافقة لأعمالهم قاله على ذلك محمود وعليكم الثبوت والازدياد
من كل خير وان كانت أعمالكم قد قصرت عن أعمالهم وحطتكم الذنوب
عن البلوغ الى درجاتهم فاحسنوا محاسبة أنفسكم واتقوا من نومة الغفلة
وخذوا لانفسكم من أنفسكم وانتم سالمون من قبل ان تؤخذوا ويؤخذ منكم
بالكظم وتصيروا الى حالة لا يستغيث فيها مستغيث ولا تقبل من نفس فدية
فاتقوا الله حق تقاته وتواصوا بالبر والتقوى ومروا بالمعرف المفترض عليكم
وانهوا عن المنكر الذي قد نهيتم عنه * وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة
عرسها السموات والارض أعدت للمتقين * فانكم لن تسارعوا اليها بالآثاني
والتوكل * وانما تسارعون اليها بالعمل الصالح والمسارة الى مرضاة ربكم
ولن تنالوا ذلك الا بعون من الله وتوفيقه *

* ثم أذكركم أهل البدع الذين لم يعرفوا حقاً فيتبعوه ولن يلقوا أهل
العلم فيقتبسوا منهم الدين * عاشوا مع أهل الجهل تغلبهم الشيطان ونفخ في

قلوبهم الكبر وأورثهم العجب فاستحيوا أن يقولوا فيما لا يعلمون لا نسلم
فأفتوا برأيهم أقواما جهلة لا يعرفون ما يقال لهم * قلدوهم دينهم وألزموا أنفسهم
الرأي فاتبعوهم على بدعتهم فضلوا وأضلوا كثيرا وصلوا عن سواء السبيل
فويلهم ماذا سوغت لهم أنفسهم وما الذي ظنوه وأملوه أذ تركوا آثار من مضى
من السلف الصالح * هل يخافون الهلكة في اتباع آثارهم أو يرجون النجاة
في خلاف سبيلهم * كلا * ولكنهم اتبعوا أهواءهم بغير حق فالزمتمهم فتنة
الجهل وانتفعت صدورهم من نفخة الكبر * لم يحاسبوا أنفسهم فيكشف لهم
خطأهم * فاحذروا * معشر المسلمين من كانت هذه صفته ومن حل بهذه
المنزلة ورضيها لنفسه * واعلموا أن من كان كهذا فقد صار من حزب
الشیطان وأوليائه لأن الشيطان لم يضل ولم يهلك الا من باب الكبر * أمره
الله أن يسجد لآدم صلى الله عليه وسلم فتكبر عليه وقال أنا خير منه خلقتني
من نار وخلقته من طين فويله ماذا عليه من آدم اذ خلقه الله من طين لو سجد
له كما أمره الله تعظيما لله لا لآدم وطاعة لله لا لآدم * وإن كان آدم من
طين فهو إنما يطيع الله لا آدم * لكنه تكبر فهلك وعاند فكفر وغوى
فضل وأضر فأهلك نفسه ولم يضر ذلك آدم * فهكذا هؤلاء
المتدعون الراغبون عن آثار سلفكم واتباع مناجمكم والسلوك على طريقكم لم
يضروا الا أنفسهم * ولم يحطوا الا على ظهورهم ولم ينقصوا الا حقهم ولم يذهبوا
الا نصيبهم فأما أنتم فعلي بصيرتكم ان تجنبتم طريقة المتدعين وخالفتم سنة
الظالمين * فاتقوا الله حق تهاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون * واعتصموا
بجبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم وإحسانه اليكم وارغبوا
اليه في التوفيق والمصحة واحذروا ما حذركم منه من أليم عقابه * وارغبوا

فيما رغبتكم فيه من جزيل ثوابه واذكروا ما بها لكم عنه وما وصفه لكم عن
 المتبدعين قبلكم * ومن أضل من الناس فيما مضى * قال عز من قائل (ولا
 تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم اليينات وأولئك لهم
 عذاب عظيم) لعمرى ما تفرقوا واختلفوا الا يبدعة ابتدعوها * وضلالة
 أحدثوها وقتة رماهم الشيطان بها * فنفخ في قلوبهم الكبر * وأورثهم العجب *
 فمأهم على ترك المنهاج الذي مضى عليه صالح سلفهم وزين لهم بدعتهم وصيرهم
 بعد الهدى ضلالاً * وبعد الايمان كفاراً * فقال عز وجل لهم وفيهم (أكفرتم
 بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) فسماهم كفاراً بعد الايمان بما
 أحدثوه وابتدعوه اذ تركوا ما شرع لهم من الدين وقال عز من قائل (وأما
 الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) فمدحهم اذ ثبتوا على
 دينه واتبعوا امره وسلكوا على منهاج اولئهم * فعليكم معشر المسلمين
 باتباع الآثار والعمل بما عمل به اسلافكم المتقدمون قبلكم فقد سنوا لكم
 الهدى * ففي اتباعهم كل رشد وفي مخالفتهم كل غي * والرشد خير من الغي
 والهدى خير من الضلالة * والجنة خير من النار * ولن يستوي عند الله من
 عمل بطاعته وامره ومن عمل بمعاصيه وركب سيخطه * ألم تسمعه يقول
 عز وجل (ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا
 الصالحات سواء مجياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) * وهذا * وقد بالفت اليكم في
 النصيحة وشرحت لكم الموعظة ورضيت لكم بما رضيت به لنفسي ونهيتكم عما
 انهى عنه نفسي نصيحة لله واجتهاداً في طلب رضائه والله اسأل أن يوفقنا
 وأياكم لطاعته والقيام بحقه برحمته انه قدير والسلام عليكم ورحمة الله آه
 * فتأمل ايها القاريء حفظك الله في هذه المواعظ البالغة والحكم النافعة

التي ما صادفت قلباً قاسياً الا ولان * ولا طبعاً جامداً الا وهان * فهي لعمر
الحق أكسير الهداية والتوفيق * ونبراس النهج الحقيق * منجية الفريق * ودليل
الحائر الى اقوم طريق * وهدية الصديق الى الصديق * هكذا والله شأن
أئمة الاسلام * وهكذا خلفاء الله على الأنام * وما سوام ممن أطنبوا
فيهم الكلام * وسبكوا في وصفهم النثر والنظام * الا أوهام في أوهام *
ومرأب كأضغاث أحلام *

— عمال هذا الامام رضي الله عنه —

* ومن ولاته وعماله المشهورين العلامة أبو عبيدة واليه على جبل نفوسة
والعلامة ميثال بن وزيره يوسف عامله على نفاوة وما يليها * والعلامة سعد
ابن أبي يونس عامله على مدينة تيجي * والعلامة العباس بن أيوب واليه
على جبل نفوسة بعد أبي عبيدة والظاهر أن هذا بقي الى آخر دولته أو توفي
قبله بقليل اذ لم نعث قط على مكتبة تدل على شيء من ذلك ولم نقف على من
ولي الجبل بعد العباس وقبل ابنه أفاع الا ما ذكروه من ولاية العلامة
أبي ذر أبان رحمه الله ولكن مدته كانت قصيرة فلما أن تكون في آخر
دولة هذا الامام واما أن تكون في صدر امامة أبي بكر أو محمد * ولكونها
في مدة هذا أقرب على ما هو المتبادر تكلم عليها هاهنا فنقول *

— ولاية العلامة أبي ذر أبان رحمه الله —

﴿ على جبل نفوسة ﴾

* ولما توفي العباس بن أيوب رحمه الله بعد أن أطاع الجبل كله وما يليه
وانقطعت الفتن كتب المسلمون الى الامام في ذلك فولى عليهم العلامة
الزاهد أبا ذر أبان بن وسيم النفوسي من بلدة (وينو) المذكورة سابقاً

وكان عفيف النفس لا تعلق له بالدنيا ولما كلف بهذا الأمر استثقل حمله ولم يجد
 سلكا للتخلص منه * فتوجه الى الله تعالى وسأله أن يقصر مدته وأن لا يتجاوز سبعة
 أيام فان مضت فلا يتجاوز سبعة أشهر * فان مضت فلا يتجاوز سبعة أعوام * هكذا
 ذكر الشماخي رحمه الله وقال كان مستجاب الدعاء فلم تصل مدته سبعة أشهر *
 ولم يذكر هو ولا غيره سبب انفصاله ولعله توفي والا فثله لا يعزل ولا يقبل
 منه التسليم ان سلم لما كان عليه من التقوى والعلم * والمشهور عنه كما في السير
 انه أخذ العلم بعد أن كبر والحامل له على طلبه هو أنه أصابه مرض لازم
 به الفراش وكان معه في بيته أخوه أبو عبد الله مريضاً أيضاً فاذا جاء الناس
 لزيارة أبي عبد الله مروا على أبان مروراً ثم يقعدون بجانب أخيه يتحدثون معه
 ويؤنسونه بالكلام فاذا قال له أحد وهو مريض عليه كيف حالك يا أبان قال ان عاش
 أبان جعل للدنيا جزاءها ان شاء الله * وذلك لما يراه من تعظيم الناس لأخيه
 واستهانهم به لجهله * ولما شفي من مرضه اجتهد في طلب العلم عند العلامة أبي
 خليل الدوكلي حتى صار علامة زمانه فقال له شيخه أبو خليل افت يا أبان
 للناس بالرخص فان لكل زمان نذير آه وأنت نذير زمانك وكان يقول أدركت
 الناس الذين كانت أحاديثهم ذكر الله * وزيارتهم في الله * ومعاتقتهم بالموادة
 والصحبة والمحبة * وبقيت حتى صحبت ناساً أحاديثهم الدنيا وزيارتهم الحوائج
 ومعاتقتهم التناطح * وله رحمه الله ذكر كثير في كتاب السير واقوال
 مشهورة في كتب المذهب والله أعلم

✽ وفاة هذا الامام وعدد مدته وأولاده ✽

✽ (رحم الله الجميع) ✽

✽ وفي آخر دولته رحمه الله استأذنه ابنه أبو اليقظان محمد في الحج فأذن له

وذهب وبينما هو يسي في الحرم الشريف اذا حاطت به رسل بني العباس
وأخذ محفوظاً تحت المراقبة الى بغداد وأودع في السجن مع أخي الخليفة
العباسي وستاتي القصة مشروحة ان شاء الله عند الكلام عليه وكل آت
قريب * فبلغ الخبر الى الامام فاعتم واعتم المسلمون لذلك وتحققوا أن
ما صنعتة نفوسة قبل ذلك كما سبق مع جده الامام عبد الوهاب من منعه من
الحج خوف الغدر به هو صواب محض وأخذ بجانب من الحذر والاستعداد
للمأمور بهما شرعاً * وبقي الامام مكسور الخاطر كشيئاً لا يطيب له مقام ولا يهنا
له منام لما أصاب قرة عينه ونجبة بنيه وان كانت شهادته الفارسية تآبي الا
اظهار التجلد والاصطبار كما قيل

* وتجلدي للشامتين أريهم * أني لرب الدهر لا أتضع *

الى أن وافته منيته والناس عنه راضون وبحسن سيرته يتحدثون وقد
قال ابن الصغير في ذلك هكذا * (وان أفلح بن عبد الوهاب لما فقد ولده
أبا اليقظان هذا وعلم أنه قد رفع الى بغداد اشتد حزنه عليه وطال غمه به فلم
يزل مهوماً محزوناً الى ان وافته منيته وابنه مريض ببغداد اه وذلك سنة
مائتين وأربعين من الهجرة ٢٤٠ وعلى رأي المراكشي في ولايته كما تقدم
تكون وفاته سنة ثمان وثلاثين ومائتين ٢٣٨ وكانت مدته في الخلافة خمسين
سنة على قول ابن الصغير وقال أبو زكرياء رحمه الله مكث في امامته ستين سنة
والياً محسناً واماماً حسن السجية رؤوفاً بالرعية لا يخاف في الله لومة لائم اه وعلى
رأيه هذا تكون وفاته سنة مائتين وخمسين ٢٥٠ وبهذا يتضح ان ما قاله المراكشي
من ان وفاته كانت سنة خمس ومائتين ٢٠٥ ليس بسديد لما يلزم عليه من
كون مدته ١٧ سنة فقط وهو باطل لمخالفته الكلام ابن الصغير مخالفة فاحشة

وهو أقرب منه عهداً بهؤلاء الأئمة وأكثر اطلاعاً على أخبارهم وأصبح رواية اذ كان من سكان (تبريز) معاصراً للإمام محمد كما سيأتي في كلامه والله أعلم *

* وقد ترك من البنين ذرية صالحة رضعوا من لبن علومه الصفو الزلال والتقطروا من بحور آدابه ومعارفه السحر الحلال * منهم العلامة يعقوب الآتي خبره * فكانوا كما ذكره ابن الصغير المالكي في حقهم حيث قال * (وكان لأفلح أولاد قد بلغوا من السن والتجارب والممارسة ما يستحق به كل واحد منهم الإمامة الا أن الناس لا يرشحون من جيمهم الا رجلين أحدهما يكنى بأبي بكر والآخر يكنى بأبي اليقظان وبهاتين الكنيتين يعرفان * وكان ابنه أبو اليقظان حسن الحال عند الجميع منسوباً الى الورع اهـ وقد مر عن دله ما هو كاف *

❦ خلافة الامام أبي بكر بن أفلح ❦

* (رحمها الله) *

* وبعد وفاة الامام أفلح رحمه الله اجتمع حسب المادة أهل الحل والمقد من نفوسة وغيرهم ممن اتخبوه من العلماء والوجهاء وعقدوا الإمامة لابنه أبي بكر اذ كان هو المترشح لها بعد أبي اليقظان لو كان موجوداً ولما تم أمر البيعة وأعلن للعامة أنكر بعض الناس ذلك ورأوا أنه غير أهل لها وطأوا نفوسة باستقلالهم بهذا الأمر واختصاصهم بهتم سكتوا * وقد تكلم ابن الصغير المالكي عليه وعلى سيرته بما لم يأت به غيره نقض ما قاله على ماصر من القاعدة فيما نقلناه من كلامه *

❦ قال ❦

* فلما مات أفلح بن عبد الوهاب قدم الناس أبا بكر ابنه وأخبرني غير

واحد قال كان عبد العزيز بن الأوز ينادي بأعلى صوته الله سائلكم معاشر نفوسه اذا مات واحد جمعتم مكانه آخر ولم تجعلوا الأمر للمسلمين وتردوه اليهم ليختاروا من هو أثقى وأرضى * فلا يلتفتون الى كلامه ولا يشتغلون بمقالته فلما ولي أبو بكر لم يكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله من آبائه ولكن كان سمحاً جواداً لين العريكة يسامح أهل الروايات ويشايهم على مساوئهم ويحب الأدب والأشعار وأخبار الماضين وكان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة وكان وسيماً قسيماً جميلاً جواداً سمحاً وكان قد وفد على ملك السودان (ملك صوصو) بهدية من قبل أفلح بن عبد الوهاب فعجب ملك السودان مما رآه من هيئته وجماله وفروسيته اذ اركب الخيل بين يديه وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبر بالبربرية لأن مخرج كلامها انما هو فيما بين القاف والكاف أو القاف والجيم الا أن معناها أنت حسن الوجه حسن الهيئة والأفعال اه *

﴿ مصاهرة الامام أبي بكر لابن عرفة ﴾

(وما نشأ عنها من الفتن) *

« ممزوج »

* وكانت لابن عرفة أخت أوبنت لها من الجمال الباهر وحسن الخلقة ما هو مشهور في تلك الاقطار في ذلك الزمان ولأبي بكر أخت كذلك فتزوج كل منهما أخت الآخر فقال ابن عرفة عند أبي بكر المنزلة العليا من الاقبال والجاه حتى صار الرأي في مهمات الأمور كلها بيده فعلقته خواطير العامة انيل مطالبها وقضاء ما ربهها من أبي بكر فكان ابن عرفة اذا ركب من داره يتبعه في ذهابه وإيابه من ذوي الحاجات والدعاوي مالا يحصى من

الناس حتى عاد كأنه هو الامام ولا ذكر لأبي بكر فضاقت لذلك صدور
 أهل الحل والعقد من الرستميين وغيرهم من أرباب الاصلاح ورأوا أن
 ذلك مما يؤدي الى الاستهانة بأمر الامام والى تضييع حقوق العباد وان
 مثل ذلك لم يعمد في سيرة السلف وربما خيف باستمرار ذلك الحال من
 حدوث حوادث يصعب حل مشكلاتها فتغيرت القلوب وتبدلت الأفكار
 من العامة وساءت الظنون بأبي بكر الا انه لم ينشأ عن ذلك ما يكدر راحته
 أو يوجب الاختلاف والتفرق بل بقيت الكلمة مجتمة والدعوة واحدة
 والرأي متفق والعمارة زائدة والتجارة رائجة وان وقع بعض مشاحنة وتنافر
 بكثرة الأموال والاتباع بين القبائل ولا سيما بين هواراة فانها تحاسدت حتى
 انقسمت فانحاز قسم منها يعرف ببني أوس الى من والاه من القبائل الأخرى
 وانحاز القسم الآخر ويعرف بترهنة كذلك الى غيرها وبقي الحال ساكناً
 لا حرب ولا نزاع ولا خروج عن طاعة الامام .

رجوع أبي اليعقظان من بغداد

وتحسن أحوال الامام بأعماله العالية

« ممزوج »

« وفي هذا الاثناء عاد أبو اليعقظان من بغداد فوجد الحال على ما وصفناه
 ولم ينكر على أخيه شيئاً ولم يدع اماراة ولم ينتحل خروجاً طلباً للسلامة وحقناً
 للدماء بل لم يقنع بذلك حتى انتهى مع أخيه واجب الطاعة والانقياد وشمر
 عن عضد الجد في اعاقته واصلاح شؤون امامته على نسق ما رآه من
 الاجراءات الشرقية وشرح له كل ما شاهده وما سمعه من سياسة ملوك الشرق
 بني العباس وغيرهم وأعمالهم الملكية فارتاح أبو بكر لذلك وكان ميالاً الى

الراحة والرفاهية ولذات المظم والملبس وحب الرياضة فأقبل على أخيه أبي
اليقظان وصرف اليه النظر في الامور وسلم له المقاليد لما ظهر له فيه من الكفاءة
والاقتدار والنصح والامانة وكان شهيراً بالورع والصدق فقبل منه ذلك
بطيب نفس وانشرح صدره وجد في التحسينات النافعة والانشاءات الخيرية
وضبط الامور على اتقن وجهه وأسلم نظام *

قال

* وكان أبو اليقظان يركب الى أعلى مسجد في المدينة فيجلس فيه فمن
تكلم اليه من الناس بين الممال والقضاة وأصحاب الشرطة نظر في ذلك نظراً
شافياً وأجرى الحق على من رضي وسخط وعظم قدره وصغر ولم تأخذه
في الله لومة لائم فحمد له الشراة ذلك وحمد له أخوه فعلمه فاذا كان آخر
النهار أتى باب دار أخيه أبي بكر فان وجدته جالسا دخل عليه وأعلمه بما
حدث في يومه من خبز وحكم وان ألفاه مشتغلا قال لمن علم أنه يصل اليه
الى حرمة أقرأ الأمير السلام وقل له أصبحت مدينتك اليوم هادئة واذا كان
الليل ركب وطاف في المدينة حتى يرتب الحرس ويحكم أمر الدروب ويأمرهم
ان حدث حادث أن يوافقوا داره فاذا أحكم جميع ذلك انصرف الى داره فاذا
كان بالغداة غدا الى باب أخيه فان وجدته جالسا أعلمه بما كان في المدينة
من حدث ان كان حدث أو هدو وان كان هدو * فلم يزل كذلك وعلى ذلك
حتى خلب قلوب الناس واشراأت اليه ومالت نحوه وفي كل ذلك محمد بن
عرفة في دوي وصيت عال لا ينظر أبا اليقظان في حزبه ولا في طائفته
ولا بالناحية التي هو بها ولا ينظر بهية له واجلال وحذر * وكان محمد بن عرفة
اذا أتى باب أبي بكر لم يحجب كان أبو بكر في مجلسه أو في حرمة وكان أبو

اليقظان وجميع اخوة أبي بكر وأعمامه لا يدخلون على أبي بكر الا بالاستئذان اذا كان في مجلسه والا انصرفوا وكانت محمد بن عرفة على غير ذلك آه

* فتوقع أولو البصيرة منه الميل عن مركز الاستقامة والحيادة عن منهج الانقياد والمروق عن الطاعة ورأوا ان بقاءه على ذلك من دواعي الفتنة ومؤسسات الخراب ولكنهم لم يتوصلوا الى عرض حقيقة حاله على انظار أبي بكر لشدة حجابيه وولوعه به ولا زالوا يترقبون فرصة الوصول اليه لتنبيهه الى ان جمع رجال دولته وخواصه ذات مرة للمذاكرة معهم في بعض شؤن مهمة *

مذاكرة رجال الامامة مع الامام في

شأن ابن عرفة وتنبه الامام لذلك

(ممزوج) ولما اجتمعوا عنده وخالاهم المجلس ممن لم يدخل في الدعوة اذ كانت رسمية وانتهت المذاكرة عما اجتمعوا لأجله فتحوا مع الامام باب البحث عن احوال ابن عرفة وما هو عليه من العظمة وازدحام الناس عند بابه واتباعهم إياه راثما وغاديا وما يتوقعونه من سوء عاقبة ذلك فاذا الامام يجهل ذلك كله ولا يعلم بشيء مما حكمه عنه فعاتبوه على التغافل عن مثل ذلك وعن عدم الاعتناء به والاحتياط لدفع كل ما يحدثه ربما ترزعزع اركان الامامة ويختل نظام الهيئة الحاكمة وعرضوا عليه مآثر لهم من الرأي في ذلك الا أنهم لم يشيروا عليه في ذلك الوقت بالقتل وأظهروا له ما لديهم من الرضاء بالأحوال الراهنة الجارية بحسن مساعي أبي اليقظان الذي صرف عنايته الكاملة وأبدا غيرته الخالصة في موجبات اصلاح وتسديد الامور *

— ﴿ قال ﴾ —

* فلما سمع أبو بكر ما سمع شق صدره وأراد أن يعلم ذلك فقتع طاقاً في أعلى قصره يقابل الناحية التي يأتي منها محمد بن عرفة فلما كان بالغداة جلس في الطاق فيينما هو كذلك اذ تحرك محمد بن عرفة من قصره فبادر الناس إليه من كل جانب ومكان وذلك كله بعين أبي بكر وأقبل وبين يديه أمم وخلفه أمم وعن يمينه أمم وعن شماله أمم حتى أتى الباب فنزل أبو بكر من طاقه إلى مجلسه وقدما له ماراً ودخل محمد نخلًا معه ملياً ثم انصرف وصعد أبو بكر إلى الطاق فاذا بالأمم التي أقبلت قد انصرفت وبقي بابها خالياً فتحقق عنده ما قال القائل ثم أرسل إلى من ذكر له من أمر محمد بن عرفة ما ذكر فقال له قد رأيت ما وصفت فما الرأي فقال له ان هممت به وأظهرت ذلك امتنع منك وغلب عليك ملكك لأن طبيعته أكثر من طبيعتك ولكن ألطف في أمره آه *

— ﴿ خبر قتل ابن عرفة ﴾ —

﴿ ممزوج ﴾

ثم بعد أخذ ورد في الكلام أشار عليه ذلك المستشار (وبئست الإشارة) بطريقة رأى أنها مناسبة (والله يعلم ما أراد بها) نصح الامام أم غشه (فقال له لا سبيل إلى الاتقاء من سوره وكسر شوكته الا بقتله واخفاء جثته بحيث لا يبقى له أثر ولا يوجد له خبر ويعد مفقوداً لئلا ينشأ عن ذلك التعصب للأخذ بشاره من ذويه وأقاربه وتذاكرا في الطريق الموصل إلى ذلك على النعت المذكور ملياً ثم أمره بكتمان السر لاتمام الغرض واقتربا وقد صعب عليه الحال صعوبة لا مزيد عليها لما كان بينهما من الألفة وشدة العلاقة بالمصاهرة

وصار يقدم رجلا ويؤخر أخرى الى أن جزم بامضاء ذلك الرأي وكان له
منتزه يعرف بجنان الأمير طالما خلا فيه مع ابن عرفة لترويح النفس ورياضة
البدن والتنزه في الأيام المناسبة لما فيه من الأشجار الملتفة والأزهار المتنوعة
والعيون السائلة والأنهار الجارية وأنواع الطيور فأرسل اليه واحداً من خدمه
يدعوه الى الحضور اليه للذهاب الى المنتزه كالعادة ويعلمه بأن لا يبيع بذلك
لأحد وأن لا يستصحب معه من الخدم والأتباع أحداً وأنه سيفعل مثل ذلك
وأن يكون بحيث لا يلا حتى لا يتعلق به في طريقه أحد من الأصدقاء والخواص
الذين لا يمكنه منعهم من الحضور * فبادر ابن عرفة عندما أخبره الخادم
بالخبر ملياً ممثلاً كل ذلك وهو غافل عما قدر له في علم الله تعالى من الهلاك
في ذلك اليوم ذاهل من قبل عما دونه الحكماء المتقدمون ورسمه
الادباء والسياسيون في شأن مصاحبة الملوك واللاطين تحذيراً من بطشهم
وتنبهها الى تقلبات احوالهم فوجد الامام في انتظاره متهيئاً للخروج فركبا
وخرجا ومعهما خادم للامام له علم بحقيقة الحال وكان قد اتفق معه على التمسك
به اذا بلغوا المنتزه وساروا الى أن وصلوه وأقاما يومها ذلك فيه على بساط
الموانسة ولسان حالهما يردد عبارات الوداع الى أن دخل وقت المغرب
فأسبغا الوضوء وقاما الى الصلاة وبينما هما في اثناهما اذ هجم الخادم على ابن
عرفة بحربة فصادفت ما بين كتفيه فخر الى الارض ميتاً من ساعته وكان على قرب
المنتزه جبل فيه شق غائر في الارض يعرف (بالشفة الحمراء) فأمره بالقاء فيه فزمله
في ثيابه وحمله الى أن ألقاه هناك وأخفى فرسه ورجعاً يكتنفهما ستر الليل ففقد ابن
عرفة أهله لما بلغهم رجوع الامام ولم يكن معه وباتوا في أشأم ليلة واتصل الخبر
ببطائنه وشاع خبر فقده فخرج الناس في اليوم الثاني يجسسون خبره ويقتفون

أثره الى أن أتوا الى المنتزه (وكان من قدر الله ان تغافل الخادم عن دمه
فبقي في المكان ليكون دليلا على مصرعه وداعيا الى رغبة الناس والحرص في
الوقوف على جثته *

(ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم)
* ففرقوا حين وقفوا على الدم في الأودية والجبال للاطلاع على
المكان والأماكن الغائرة الخفية ثم دلم بعض أهل الخبرة بالأرض على
الشق المذكور فقصده وأنزلوا اليه رجلا فوجده .

(ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالأخبار من لم تزود)
* فأخرجوه وحملوه الى النهر الذي قتل فيه وغسلوه وطيبوه وبعثوا الى
بيته فأرسلوا اليهم فرسه وسيفه وكسوته المخصوصة فألبسوها اياه وقلده
السيف وأركبوه الفرس وركب خلفه رجل ليمسكه حتى يكون على هيئته
التي يكون عليها اذا ركب في حياته وقصدوا به المدينة وأمامه مناد ينادي
بأعلى صوته قائلاً (ألا وان القتل المظلوم يامركم بطلب ثاره ودمه) فخرج لرؤيته
الرجال والنساء والصبيان وخلق الناس في ذلك اليوم من الرعب والجزع
ما لم يلحقهم قبله لما كان له في أعينهم وقلوبهم من الهابة بما قدمه لدى أكثرهم
من الأيدي البيضاء وقضاء المآرب وقد قيل من قبل (جبت النفس على
حب من أحسن اليها وبتغض من أساء اليها) وقيل أيضا (الناس عبيد
الدرهم والدينار) وقال الشاعر *

﴿ رأيت الناس قد ذهبوا * الى من له ذهب *

* ومن لم يكن له ذهب * فالناس عنه قد ذهبوا *

﴿ رأيت الناس منفضة * الى من له فضه * ﴾

﴿ ومن لم تكن له فضه * فالناس عنه منفضة * ﴾

ولعمري ان هذه القصة لاشبه شي . بقصة جعفر البرمكي مع هارون الرشيد .

﴿ قيام أهل المدينة ﴾

﴿ للاخذ بشار ابن عرفة وحربهم مع الامام ﴾

« ممزوج »

* ثم عجّلوا جهازه ودفنه وهاجت النفوس وكثرت الاقوال في سبب قتله وقاتله واشتد الخلق في الصدور وعظم الخطب وكان في المدينة من الوجهاء وذوي الكلمة رجل يعرف بمحمود بن الويليلي يرى أن قتله ظلم وان القيام لأخذ ثاره واجب وكان له على أبي بكر من الانكار ما كان فانهز الفرصة اذ وجد للمقصد سبيلاً فأرسل رسله الى مجتمع الناس يتعرف أحوالهم ويتحقق ما هم عليه من الرأي فأخبروه بأن الشقاق في الناس قد بلغ منتهاه وان الثورة لم تتوقف الا على محرك ورأس يعان بذلك فأمرع الصعود الى موضع بأعلى المدينة يعرف بالكنيسة وقرع الطبل للاجتماع فبادر الناس اليه من كل الأطراف لتعودهم بضرب الطبل للاجتماع في (المهات وهو قصعة كبيرة من الخشب أو النحاس مغطاة بجلد بعير بعد خدمته خدمة مخصوصة حتى يكون كالرق ومثي ييس وضرب بعقال من وبر أو ما أشبهه صار له صوت يسمع من بعيد على مسافة أربع ساعات وأكثر وأقل * هذا ان كان على النعت الموجود الآن عند رؤساء القبائل من البوادي والقرى الكبيرة من جبل نفوسة وغيره ولهم في ضربه طرق معروفة عندهم يستدلون بها على المقصد من ضربه فبجرد سماع الواحد منهم صوته يعلم

أن المراد خير أو شر كما يعلم النفر العسكري في الحرب الأمر والنهي من
رئيسه بالموسيقى والبوق وما أشبه ذلك *

قال ❦

* فأمرهم بأخذ السلاح والزحف إلى أبي بكر وحربه واتصل الخبر بذلك
بأبي بكر فبادر إليه خاصته من الرستميين والسمحيين وغيرهم فهاهم للملاقاتهم
وزحف الناس من أعلى المدينة من ناحية المشرق وزحف حزب أبي بكر
وشيعته وخاصته من المغرب ولبس كل واحد من الفريقين الدروع والبيض
والرايات حتى اجتمع الناس جملة إلا اليسير بموضع بمسجد أبي فلم
تزل أيد تطاير وأرجل كذلك وهامات تقطع وأفرغ على الفريقين الصبراه *
* ممزوج * فاعتم العجم فرصة الوثوب لما كن في قلوبهم قديماً
من الغل وقالوا مالنا وللسكون والدعة وقد وقع بين الجند والعرب ومواليهم
وبين السلطان مانراه من الاضطهاد والحروب وما ذا يصدنا مع هذا الاشتغال
ببعضهم عن الهجوم على طرف من أطراف المدينة فنهبه ونخر به ونقتل كل
من عارضنا فيه ثم نميل إلى الكل فهلكهم عن آخرهم ويصفو لنا البلد
ونستقل بالسلطان فقصدها الناحية المعروفة بموقف الدواب وكان أهلها في
استعداد وحذر مما أضمره العجم فناهزوهم القتال وحمي الوطيس وقامت الحرب
على ساق وقدم في سائر أنحاء المدينة بين العجم وبين مقابلهم * وبين الجند
والعرب وبين أبي بكر واستمرت الحال إلى أن سقط واحد من وجوه العجم
فتقدم من رام إيقاف ثيار الحرب إليه فخر رأسه وبرز به إلى الميدان منادياً
(يامعشر الجند والعرب تقتلون أنفسكم والعجم قد دخلوا عليكم ساحتكم يقتلون
رجالكم ويستحيون نساءكم ويستحلون أموالكم) ثم ألقى الرأس بين الصفيين فلما

نظروهم وعرفوه ألقوا السلاح وتعاقدوا وعادوا يداً واحدة في الحال ومالوا
نحو العجم فأبواهم البلاء الشديد حتى ولوا منهزمين وأنحاز أبو بكر إلى داره
أخذاً طريق الاتفراد لأمر ولا نهى ولا حكم وقد تشام الناس منه *

﴿ تجنب نفوسة وأبي اليقظان ﴾

*(لهذه الفتنة) *

*(ممزوج) *

* وفي كل ذلك أبو اليقظان معتزل في المحل المعروف بعدوة نفوسة لا يظهر
ميلاً إلى أحد وإن اتهمه الجند والعرب بالميل إلى غيرهما وكذا نفوسة لم يدخلوا
في أمر هذه الفتنة بقول ولا فعل كما أبي اليقظان وبقيت الحرب متحركة بين
العجم وبين الجند والعرب خاصة يتبادلان النصر والهزيمة فتارة هؤلاء وآونة
لأولئك إلا أن الجند متى تغلبوا على جهة وخرج أهلها من ديارهم أبقوها على
حالتها ولا يغيرون منها شيئاً إلى أن تغلبوا ذات مرة على جهة بجوار درب
النفوسيين فيها بعض نفوسة وكان مع الجند والعرب خلف الخادم مولى
الأغلب وهو ذو مال عظيم لا يرضن به في أعانتهم كلما احتاجوا فصار متبع
الرأي مسموع الكلمة عندهم فقال لهم ما أراكم صنعتُم شيئاً إذا أبقيتم الديار
بدون إحراق فأضرموها حينئذ نارا والعياذ بالله *

﴿ جرب نفوسة وأبي اليقظان ﴾

« مع أهل المدينة »

﴿ ممزوج ﴾

* فأخذت الغيرة نفوسة وغضبت لذلك وقالت هذا جزاؤنا منهم إذ لم
تعرض لحربهم فلم يقنعهم إلا إحراق ديارنا واستحياء حريمنا وكأنني بهم

ولسان حالهم ينشد قول الشاعر *

(ومن لم يند عن حوضه بسيفه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم)
 * فعندئذ قامت قيامة نفوسة وتمصبت للمدافعة عن حرمة وحماية تجاورها
 وضمت المعجم اليها ودعت أبا اليقظان في مكانه الى الموافقة على ذلك فأجاب
 واتحدت الكلمة وتقوت العصبة بانضمام المعجم والرسامين وأبي اليقظان
 الى نفوسة وتجددت الحروب وتوالت المصادمات وكانت وقائع يشيب لشدة
 هولها الرضيع كانت الدوائر فيها لنفوسة والمعجم على الجند والعرب *

﴿ قال ﴾

* ثم كانت بينهم وقائع كلها للمعجم ونفوسة على العرب (منها) وقعة تعرف
 بقنطرة القدس (ومنها) وقعة تعرف بقنطرة سليس وفرغ في هاتين الواقعتين
 وجوه العرب وصنا ديدها ثم كانت (وقعة) تعرف بيوم ﴿ الرد المعوج ﴾
 وإنما سمي الرد المعوج فيما ذكر أن (نفوسة) أخذ بعضها على بعض العهد
 وقال بعضهم لبعض كيف يجوز لنا الفرار من الزحف قالوا فما وجه الرأي
 قالوا أن نضم أرجل بعضنا الى بعض بالحبال ونثبت للحرب فكما دارت
 الى ناحية درنا معها بوجوهنا ولا نبرح من أمكنتنا حتى تقطع السيوف في
 هاماتنا فكان في ذلك اليوم قتال لم يتقدم قبله قتال مثله فكما دارت الحرب
 على ذلك الرد دار اليها ودار معها حتى افترق القتال وهو على حاله اه *

* فله نفوسة من رجال وأبطال * ولم يخل الله الأرض حتى الآن من
 رجال منهم ملؤا يقيناً وإيماناً فهم مثال الشجاعة والاقدام لوضعتهم المحافل
 وأظلمتهم ظلال الرايات الحميدة وسط تلك الماعع الأدهمية وأشباهاها لكان
 لهم الفخر المقدم والعصيت الأسمى ولكان حاديتهم يترنم بدون خجل ولا

وجل وهو يسوقهم الى تلك الميادين بيت الشاعر القائل *
 (واني وان كنت الاخير زمانه * لآت بمالم تستطعه الاوائل)
 * ولما قصر واقع درجة أولئك ان لم يجاوزوها بأصعاف وبالا متحان بكرم
 المرؤ أو يهان * (ومن يشابه أبه فما ظلم) *

«ممزوج» ثم مع استمرار الحرب وتتابع الوقائع عكس القضاء المبرم الا مروعاد
 النصر حليف الجند والعرب والتقهر والضعف زميل نفوسة والعجم (سنة
 الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا * وتلك الايام نداؤها
 بين الناس * وما النصر الا من عند الله * حتى أجلوهم من الامصار واضرموا
 في ديارهم النار وذهب كل ملتجأ الى حيث ينجو من القتل ثم انحازت نفوسة
 والرسطيون والعجم مع أبي اليعقظان الى المحل المعروف بعدوة نفوسة وبنوا
 فيه حصناً منيعاً مشيداً ياوون اليه ابان تضايقتهم من عدوهم نخلا للجند والعرب
 الجو وخلصت لهم المدينة وواسع البسائط وكثرت اتباعهم وعظم جيشهم
 وكان فيهم من عظماء التجار والاغنياء عدد منهم أبو محمد الصير في وابن
 الواسطي وأمثالهما ممن حركتهم الغيرة القومية والحمية الجاهلية بخادوا بما
 لديهم من الاموال وأمروا ببناء حصن يقابل حصن نفوسة ويضاهيه في
 المنعة على بعد رمية سهم منه فشرعوا فيه على ضفة نهر يعرف بالنهر الصغير
 وهو الحائل بين الحصنين فوالت عليهم نفوسة والعجم الهجوم لصددهم عن
 البناء فاشتغلوا بالعمل ليلاً وربما جعلوا في النهار سترًا عن العملة يرد عنهم سهام
 نفوسة واجتهدوا فيه الى أن تم على النحو المطلوب من القوة والمنعة ونزلوه واشتد
 اذ ذاك بأسهم وتقوت شوكتهم وناصرهم الحرب فجرت بينهم مفاخرات
 وملاطحات وعادت الحرب رياء وسمعة ونبتت في الفريقين ابطال وفرسان

وتمازت الاغنياء والتجار في صرف الدينار والدرهم على شراء السلاح وآلات الحرب للمستحقين *

— (قال) —

أخبرني بعض المشايخ قال عيب نفوسة والعجم ومن لف لفهم بين يدي حصنهم وعلى حصنهم فبرز رجل من العجم يقال له ابن وردة ويده سيف ودرقة وكان قلما يلقى قرناً الا قتله فتادي هل من مبارز فراهبه الناس آه
 * ثم مع استمرار الحرب والزمن دوار * والقادر الخالق مختار * يفعل في ملكه ما يشاء ويختار * أخذ دور نفوسة والعجم في الانحطاط وجوعهم في القلة وأحوراهم مع عدوهم في انتقهر الى أن بارحوا حصنهم عنوة يحنون اليه ويثنون من فراقه واتخذ كل وجهة متفرقين في الجماعات طلباً للنجاة *
 (واذا الديار تنكرت عن حالها * فدع الديار وأسرع التحسّوا)
 (ليس المقام عليك فرضاً لازماً * في بلده تدع العزيز ذليلاً)

— (قال) —

* قالوا ان العجم ونفوسة والرستميين لما نزل بهم ما نزل تفرقوا في أقاصي البلاد فزلت العجم بموضع يقال له (تابغيات) وهي على مرحلتين من (مدينة تاهرت) وأما الرستمية ومن لف لف لها فالحقوا بأبي اليقظان بالموضع الذي يقال له (اسكيدال) وهو بقيلة تاهرت على مسيرة اليوم أو أزيد قليلا في مجمع الأباضية وأما نفوسة فزلت بقلعة مائنة يقال لها اليوم (قلعة نفوسة) آه

— (خروج الامام واستيلاء ابن مسالة على المدينة) —

* (ممزوج) * هذا * وحال أبي بكر في المدينة لا يزال في ضعف

وإدبار لا يقيم ظالماً ولا يحير مظلوماً ولا يقيم حداً ولا يغير منكراً ولا يحمي ملتجئاً إلى أن ضاق به الحال وقات أنصاره وتوقع الهلاك فخرج بمن معه نجياً إلى حيث لا يصاب ولا يدرك (هكذا هاهنا وقال أبو زكرياء سلم لا أخيه محمد وقال المراكشي أخرجوه ثم رده إلى أن مات) والظاهر أن مدته كانت قصيرة جداً لم تبلغ سنتين والله أعلم *

* فاستولى على المدينة محمد بن مسالة وهو أمير مستقل عن تهرت أباضي المذهب يدير شؤونها ويدبر أحوالها على حسب ما يراه مساعداً لا غراض العامة والكثير * وأخذت الهدنة في الناس مأخذاً صار به كل مستقلاً بحجة أخذاً حذرهم مما يطرأ عليه من مقابله غير متشبث بما يشير شرر الحرب فبدأت الحركات ووضعت الحرب أوزارها وكاد يقع في الخواطر مثل إلى حب الألفة والاجتماع مالا وسأمة من وطأة الشقاق وبينما هم كذلك إذا تحركت بين هوارة ولوارة بعض تلك الصفائن الكامنة في الصدور منذ عهد قديم فشبت بينهما نار الحرب وعلا لها فاعان أهل المدينة هوارة حتى أجلوا منها لوارة رغمًا عما قاسته في أثناء تلك الحروب الشنيعة من الأهوال وما تكبدته من المشاق ولاقتة من الخسار في الأموال والرجال فنزلت حصنها المعروف بحصن لوارة على قرب من الموضع المعروف (بتاسلونت) الذي منه تنبع عيون نهر مينة الجاري من قبلة تاهرت الذي نصبوا عليه المطاحن وخاطبت أبا اليقظان على النزول بجوارها والدفاع عنها فأجابها إلى ذلك وتحول إليها *

— (خلافة الامام أبي اليقظان محمد بن أفلح رحمه الله) —

* ولما بلغ أهل المدينة انتقال أبي اليقظان إلى حصن لوارة خرج وجوها

وأهل الرأي منها الى لواتة وأتفقوا معهم على تقديمه ثم أتوه وبايعوه بالخلافة وذلك سنة احدى وأربعين ومائتين ٢٤١ من الهجرة تقريباً *

* (قال ابن الصغير) * وكان معه بعض الأموال التي أتى بها من بغداد والمدينة بها رجال هواؤهم وقلوبهم عند أبي اليقظان فخرجوا اليه فصارت الدعوة والامامة كلها لأبي اليقظان وأتته الأباضية من كل الاقطار وبقي بالمدينة أمم ممن هم لا يوالون أبا اليقظان ولا يبرؤن من رأيه ويوالون محمداً ابن مسالة على عمالة لا على الديانة فتجدت الحرب وعادت جذعه وحمل أبو اليقظان الناس على الخيل ودعي له بالامارة والامامة والنبي ذكر أبي بكر ومحمد بن مسالة آه * (ممزوج) وما سمعت القبائل الأخرى حتى أتت لتقديم البيعة من كل الاقطار فقبلها * وقام خطيباً فرغب الناس في الاعتصام بجبل الله لحقن الدماء وحفظ الأموال التي طالما درتها رياح الظلم والاستبداد وسفكتها سيوف الطاغين ووالى الهجوم والثوب على المدينة فاستمر الحصار على من تحصن فيها وعصى من أتباع ابن مسالة (سبع سنين) حتى ضعفت الأقوياء وأولو الثروة الذين كانت عليهم مدار رحا الحرب وفيت تلك الأموال ودكت تلك الابطال وعمت المصائب وكثرت الأهوال وكره الناس الحرب والفتنة وملوا من الحصر وشكا بعضهم لبعض ما حل بهم من الفناء والفقر الا أن النفوس الميالة بطبيعتها الى الشر تآبى الخضوع وتأنف من العدل وتمج طاب الصالح والرجوع الى الطاعة غواية وعناداً (ان النفس لأماراة بالسوء الا مارحم ربي) *

— (طلب الامام للزعامة الحرية من جبل نفوسة) — *

* (ممزوج) ولما رأى أبو اليقظان استمرار الحال مع طول الزمن رأى

أن يأتي بجده الامام عبد الوهاب ويخذ وخذوه في الاستعداد من نفوسة
الجيل فاستنجد بهم فأمدوه مائين دعوته ممتثلين أمره بجيش عرمرم جامع لكل
بطل همام وأسد ضرغام وما هم بقليلين عندهم في ذلك الوقت .

﴿ قال ﴾

* ولما وصلوه جددوا له البيعة وعقد وهاله وانه لما نزلت (يعني نفوسة
الجيل) بأبي اليقظان اجتمع الى أبي اليقظان جمع عظيم فرحل بجميع جموعه
من نفوسة وغيرهم حتى نزل بالقرب من مدينة تهرت فلما نزل منزله قالت
نفوسة لا تقاتل حتى نرسل الى اخواننا وننذرهم فان فاءوا ورجعوا الى الطاعة
كانت أيدينا وأيديهم واحدة وان أبوا من ذلك نزلنا معهم على حكم
الله * قال اقبلوا فقبلوا فأرسلوا رسلهم وخوفوا الناس سوء العواقب ووجدوهم
قدموا الحرب فقالوا لرسامهم قد تقدمت فيما يتنادى وأموال لا منا ولا منهم
ونخشى ان يؤخذ الباقي من الغابر فان كان عقد وصالح على أن لا يتبع أحد
بدم ولا مال فسمع وطاعة * قال فأعلمت نفوسة أبا اليقظان بما قالت لرسامهم
فقال بمعاذ الله ان تأخذ أحداً بما سلف ولا تأخذ الا بمستقبل فاعطوهم على
هذا ما أحبوا من اليهود والمواثيق قال ثم خرجت طائفة من عسكر أبي
اليقظان حتى اجتمعت مع طائفة من أهل المدينة فعقدوا ذلك فيما بينهم فقالت
(نفوسة) نحن انما جئنا لاصلاح يرضتنا وتأليف أمرنا وقوام ديننا ولم نأت
لطلب علو في الأرض ولا فساد فرحل أبو اليقظان بعساكره حتى أتى الظاهر
المشرف على المدينة المعروفة (بقلعة نفوسة) فضرب بها سرادقة الذي قدم بها
من بغداد قالوا ولم ير سرادق مضروب قبله وانما كانت مضارب وقياب *
* ثم ان أهل المدينة عمدوا الى داره التي هدموها وكانت منزلة من

المزابل وكبدية من الكدى فكنسوها في يومهم ذلك فابتنوها في أسرع الأيام * فلما فرغت نزلها أبو اليقظان ورفع مضاربه ونزل الناس المدينة اه * فتأدى متاديه في الناس بالآمان وولى وظيفة القضاء بعد استشارة أولى الرأي العلامة الزاهد الورع التقي أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ وستأني له حكاية معه * وعلى بيت المال رجلاً من نفوسة وقدم على منبر مسجده من ارتضاه من صلحاء الأئمة العاملين *

﴿ قال ﴾

* ثم أمر قوما من نفوسة يمشون في الأسواق فيأصرون بالمعروف وينهون عن المنكر قالوا فإن رأوا قصاباً تفخ في شاة عاقبره وإن رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأصروا صاحبها بالتخفيف عنها وإن رأوا قدراً في الطريق أصروا من حول الموضع أن يكنسه ولا يمنعون أحداً من صلاته في مساجدهم ولا يكشفونه عن حاله ولو رأوه رافعاً يديه في صلاته خلا المسجد الجامع (المسجد الذي يصلي فيه الامام نفسه) فاتهم إذا رأوا فيه رافعاً يديه منعوه وزجروه اه ولعلمهم يفعلون ذلك بدون إذن من الامام ولم يبلغه الخبر والله أعلم *

* وثابر رضي الله عنه على اصلاح ما تلم في اثناء تلك الحروب حتى عادت الناس الى خطة سيرها القديم في سبيل العماره والتجارة والبنيان واشتغلوا بطلب العلوم وقضاء ما فاتهم في قتره تلك السنين القاسية التعيسة من العبادة نادمين على ما جترموا فيها من السيئات وما أضاعوه من الامول وما سفكوه من الدماء عبثاً وطغياناً وكاتب الامام بعد اصلاحه الشؤون الداخلية رؤساء سائر اتباع الامامة في كل الجهات فأتت طائفة خاضعة وقدمت اليه برضاء فرتب

الولاية والعمال والحكام والقضاة وأصحاب الشرطة في الولايات كلها وأسرع
السير في التقدم في الإصلاح ديناً ودنياً حتى أجمع الناس قاطبة على حبه
وولايته والرضاء بأحكامه وبلغ في الفضل والعدل والورع والزهد مع حسن
السيرة مبلغاً عظيماً استحق به تشبيه ولايته بولاية جده الإمام عبد الرحمن
رضي الله عنه إذ كان كمثلته في الاتفاق على ولايته واشتغل رحمه الله بتجديد
ما ندرس من الدين بكمال جد واجتهاد يباشر القاء الدروس وتعليم العلوم
للطالبين بنفسه طلباً للأجر وقياماً بالواجب وترغيباً للغير فشدت إليه الرحال
من كل الاقطار فتمد الواردين عليه من جواهر فنونه وغرائب علومه
المعقود الثمينة وكانت له اليد الطولى والقدح الممل في سائر الفنون حتى صاروا
قادة ومصابيح يهتدى بهم في الآفاق في دجي المشكلات ويلجأ اليهم في
المعضلات وامتلات عموم ولاياته بالعلم والعلماء والزهاد وأصحاب الكرامات
خصوصاً جبل نفوسة كما هو مبسوط في كتب السير كلها ومع ذلك لا يفتقر
عن الاشتغال أوقات خلوته واستراحته من التعليم ومصالح دولته بالتأليف
والتحريير ومكاتبة المال والولاية وجموع الرعية بالنصائح المرشدة والحكم
النفيسة والرد على المخالفين من سائر الفرق والمذاهب حتى أنه ألف في
الاستطاعة وحدها أربعين كتاباً ومما يوجد من رسائله هذه النصيحة العامة

﴿ رسالة الامام الى جميع رعيته ﴾

« ارشاداً ونصيحا »

* ولما أحس من الناس بعض فتور وتقاعد عن الواجب اقتدى بأبيه وأجداده
الكرام أهل النصيح لله والارشاد الى دينه فحرر نصيحة عامة تليت بواسطة
العمال في جميع الجهات ايقاظاً للنفوس والغفلة وتنشيطاً للهمم الخاملة فخذها أيها

القاري وهي قليل من كثير مما كتبه رحمه الله في هذا الباب لتستدل بها على بعض ما كان لهذا الامام العظيم من الاعتناء بمصالح الملة والامة وواجب النصيحة في الدين لآخوانه المسلمين فجزاه الله عن الاسلام واهله خيراً قال .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴾
 ﴿ من محمد بن أفلح ﴾ الى جميع من بلغه كتابنا من المسلمين * سلام
 عليكم واني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأسأله الصلاة على نبي الرحمة
 وهادي الامة صلى الله عليه وعلى آله وسلم ﴿ أما بعد ﴾ فان أفضل ما
 يتواصى به العباد ويتحاضوا عليه تقوى الله تعالى ولزوم طاعته والزجر عن
 معصيته والترغيب فيما يورث الثواب من القول الطيب والعمل الصالح
 (وعلیک معاشر المسلمين بالتهيء للقدوم على الله والتأهب والاستعداد ليوم
 تشخص فيه الابصار وتتغير فيه الألوان ويشيب فيه الولدان وتذهل كل
 مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم
 بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴿ واعلموا ﴾ رحمكم الله ان اهل العلم بالله
 القائمين بهذه الدعوة قد اتقروا وقلت الخلوفا منهم فرحم الله امراً مسلماً
 احتسب بنفسه وأرصد لها لله في طلب العلم والنقض على من حاد الله وعدل عن
 منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وضاد المحقين من عباده حتى تكون
 كلمة رسول الله هي العليا والباطل زهوقاً ﴿ وعلیک معاشر المسلمين باتباع
 الماضي من أسلافكم والمتقدمين من أئمتكم الصالحين من أهل دعوتكم
 فاقفوا آثارهم واهتدوا بهداهم واحذروا الزيغ عن طريقهم والميل عن
 منهاجهم * وخالفوا أهل البدع المضلة والأهواء المزلّة ممن أراد أن يبدل
 دينكم ويلبسكم شيعاً ويلبس عليكم أمرکم ممن اتبع هواه واستحوذ عليه الشيطان

ونبذ ما جاء به القرآن فألبس على الضعفاء أمرهم وزين بدعته في قلوبهم فخذع من لا بصيرة له ولا علم بما مضى عليه الأئمة الراشدون ، رحمة الله عليهم والسلف الصالحون من أهل دعوتكم فأضل كثيراً وضل عن سواء السبيل وقد ذكرنا لكم ما فيه الكفاية إن شاء الله وبه نستعين وعليه توكل وما توفيقنا إلا بالله اه * وقد تكلم على بعض سيرته المؤرخ ابن الصغير المالكي وأجاد في ذلك فخذ به على القاعدة المتقدمة أيضاً *

قال

* وكان أبو اليقظان عاش من السنين مائة أو نحوها وكان عمره في أمارته نحواً من أربعين سنة ولحققت أنا بعض أمارته وأيامه ورأيت وحضرت مجلسه وقد جلس للناس خارج المسجد الجامع مما يلي الجدار الغربي منه ورأيت يوماً ثانياً في مصلى الجنائز وقد رميت له وسادة من أديم (جلد) فجلس عليها ينتظر فراغ دفن رجل مات من وجوه الناس وكان ربيع القامة أبيض الرأس واللحية وكان إذا جلس للناس وأمرهم بالجلوس لم ينطق أحد بين يديه إلا أن تكون ظلامته ترفع إليه وكان زاهداً سكيناً ورعاً ناسكاً (ما أحسنها من شهادة) وكان إذا جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من أديم مستقبلاً الباب البحري وله سارية تعرف به يجلس إليها ولم يكن غيره يجلس إليها وكان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسنة يعرف بعيسى بن فناس وكان عندهم من الورع بمكان ويلى عيسى رجل من هواره يقال له ابن العقير لسانهم في الفقه ولم يكن في ورع عيسى وكان عن يمينه وعن يساره وبين يديه وجوه الناس وكان أخص الناس به رجل من العرب يسمى بمحمود بن بكر * وكان مدرتهم الذبي يذب عن يضتهم ويدافع عن دينهم ويرد على الفرق مقالاتهم ويؤلف الكتب

على مخالفتهم رجل يقال له عبد الله بن اللمطي اه (وانا لتأسف كثيراً جداً أفقد مثل هذه التآليف فلو وجدت مع ما جمع من المناظرات الواقعة مع المعتزلة للعلامة مهدي وغيره لكانت خبزة بالغة والأمر لله) *

﴿ اجتماع الأباضية والمعتزلة ﴾

﴿ للمناظرة ﴾

* « قال » أخبرني أحمد بن بشر عنه قال لي اجتمعت الأباضية والمعتزلة بنهر مينة لموعد جعلوه فيما بينهم للمناظرة وكان كثير من هوارة ممن حضر المجلس يتسمى بعبد الله بكسر الدال وكذا اسم هذا الرجل ولما اجتمع القوم وضعهم المكان نادى رجل من المعتزلة يا عبد الله بكسر الدال فأجابه رجل ثان فقال لست أريد * قال عبد الله وقد علمت أنه أباي يريد فكهرت أني أجيبه خوفاً من سؤاله * فقال عبد الله بن اللمطي أريد * فقلت ليبيك * فقال لي هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه الى مكان أنت فيه * فقلت لا فقال لي هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه الى مكان لست فيه * فقلت اذا شئت فعلت * فقال خرجت منها يا عبد الله *

﴿ حكاية العلامة أبي عبيدة ﴾

﴿ الأعرج مع الامام وأخباره ﴾

« رحمه الله »

* « قال » وكان منهم رجل يعرف بأبي عبيدة الأعرج كلهم مقرون له بالفضل مستلمون له في الورع * اذا اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه * وقد رأيت أنا هذا الرجل وجلست اليه فما رأيت في سود الرأس أخشع منه وكان قليل الدخول على أبي اليقظان ولم يكن

يجمعه وایاه سوی المسجد الجامع فحدثني أحمد بن بشر قال ضرب أبو اليقظان
 سرادقه لحدث أرادہ وبرز بنفسه الى سرادقه قال وعلم الناس ذلك فخرج
 اليه الفقهاء والقراء وضربوا أخيتهم حول سرادقه خلا أبا عبيدة قال فبينما
 الناس ذات يوم جلوس اذا أقبل أبو عبيدة راكباً على دابة فقال الناس هذا
 أبو عبيدة قد أقبل متفقداً للأمر مسلماً عليه قال فأعلموا بقدمه أبا اليقظان
 فلما دخل عليه أدناه الى نفسه فقال ما جاء بأبي عبيدة الينا متفقداً أم مسلماً
 أم ماذا فقال أصلح الله الأمير ما جئت متفقداً ولا مسلماً غير أن لي جارة
 خرج ولدها البارحة في طلب معاش له ولها فأخذه المحروق صاحب حرسك
 وحبسه فأتني الغداة باكية شاكية تسألني ان أسألك في اطلاق ولدها فأمر
 بأن يطلق كل من حبس تلك الليلة (ممن لا حد عليه ولا حق للناس) اجلاً
 لأبي عبيدة ثم سلم وانصرف فعجب الناس من صدقه وتركه التصنع واظهاره
 على لسانه ما أسر في قلبه * وكانت أبو عبيدة هذا عالماً بالفقه والكلام
 والوثائق واللغة وكان مع ديانتہ حسن الأدب والمروءة أتيتہ يوماً أسمع
 كتاب اصلاح اللغة الذي ألفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة على أبي عبيد فلما
 افتحت قراءته وقلت لعل ناظرآ في كتابنا هذا ينفر من عنوانه ويستنفر من
 ترجمته ويرى بأبي عبيد عن الذلة فقال لي ويرى بأبي عبيد بهمن الوصل وضم
 الألف وانما ذكرت هذا الحرف لأدل على براعته في اللغة فلما قرأت من
 الكتاب مثل ورثة أو أزيد أناه قوم فقالوا يا أبا عبيدة شهادة يا جرك الله عليها
 فأخذ نعله وعصاه ثم قام مع القوم فلما كان اليوم الثاني أتيتہ فلما قرأت ما قرأت
 بالأمس أناه قوم فقالوا يا أبا عبيدة شهادة يا جرك الله عليها ففعل مثل ما فعل
 بالأمس ففقت معه وقلت أصلحك الله ان لي بالرهانة دكاناً أبيع فيه

وأشترى أثره وآتى اليك فياتيك الناس فتشتغل عني لا أنا في دكاني ولا أنا في مقابلة كتابي فسكت فلما كان بالغداة أتته كما كنت آتية فلما قرأت بعض جزئه أتاه أناس فسألوه كما سألوه قبل هذا فقال ان هذا اليوم لهذا القبي فان أترككم على نفسه وأذن لي سرت بكم فلما رأيت ذلك قلت ياسيدي ولا كل هذا سر اذا شئت أو أقم * وانما ذكرت هذا لأدل على مروءته وحسن أدبه * وكان المغرب كله مفتوناً بهذا الرجل حتى ان من كان من الأباضية ونفوسة يبعثون بزكاتهم اليه يفرقها حيث شاء *

❦ شدة تعلق نفوسة بهذا الامام ❦

❦ قال ❦

* وكانت نفوسة الجبل مفتونة بأبي اليقظان وكان أكثرهم لا يبحج الا باستئذانه وكانت المرأة تبعث بابنها أو ابنتها يأخذ لها الاذن منه وكان اذا ضرب سرادقه وأتته وفودهم لا ينامون الليل حول فساطيطه شأنهم التهليل والتكبير من أول الليل حتى الى الفجر فاذا صلوا الفجر معه ضربوا بأنفسهم الى الأرض فناموا اه (جازى الله عنا ابن الصغير خيراً على شهادته بالحق ولو علمنا قبره لشهرناه وزرناه وتصديقنا عليه) *

❦ ولاية أفلح بن العباس على جبل نفوسة ❦

❦ قال ❦

* وان أبا اليقظان لما استقام له ملكه وأتته وفود نفوسة ليقدم عليهم أميراً من أنفسهم فأنزلهم في دار الضيافة فقال اكتبوا اسماءكم كلكم وارفعوها الي وأمر الكاتب أن يكتب السجل (الفرمان) ويبقى ياضاً لموضع المقدم فلما رفع الكاتب الكتاب اليه كتب بخط يده اسم المقدم

وطواه وطبعه ولم يعلم أحد من الناس من قدم ثم جمع القوم وقال لهم
هاكم السجل ولا تفتحوه الا بجبل نفوسة اذا بلغت منازلكم (وقد تقدم
أن والده أفلح صنع هكذا مع سعد ونفات) فأخذ القوم السجل وقد اغتموا
اذ لم يعلموا من المقدم عليهم ثم دخلوا على حمود بن بكر وكان من الخاصة
بأبي اليقظان فسألوه فقال لهم لا أعلم بما فيه ثم دخلوا على عيسى بن فناس
فأجابهم بمثل ما أجابهم به حمود ثم لم يزالوا يدخلون على واحد بعد واحد من
الاباضية ويسألونهم فيخبروهم بأن لا علم لهم فلم يزالوا كذلك الى أن مروا
بعبد العزيز بن الأوز وكان له فقه بارع ورحلة نحو المشرق ولكنه سفيه
اللسان خفيف العقل ينزهون بحالهم عن حضوره ولا يستفتون عنه في
معضلات مسائلهم فما شعر أن دخلوا عليه فقال ما بالكم وما جاء بكم فقالوا
فرحنا بشيء واغتممنا منه قال وما ذلك قالوا فرحنا بتقديم الامام لنا واغتممنا اذ لم نعلم
من قدم علينا قال أولم تعلموا من قدم عليكم قالوا لا قال قدم عليكم أفلح بن العباس قالوا
ومن أعلمك بذلك قال أبو اليقظان قال فخرجوا من عنده فأتوا حمود بن بكر
وعيسى بن فناس فقالوا لهما مكانكما من الامام مكانكما ومكاننا مكاننا
فكتمتا المقدم علينا حتى أخبرنا به من هو دونكما فقالا والله ما علمنا الا كعلمكم
فمن أخبركم قالوا عبد العزيز بن الأوز قالوا ومن أخبر عبد العزيز قالوا أبو اليقظان
قال فخرجوا يجران اريدتهما حتى دخلا على أبي اليقظان فقالا أنت أعلمت
عبد العزيز أن المقدم في سجلك على نفوسة أفلح بن العباس فقال لا قال فقد ذكرت
نفوسة انك أعلمته بذلك دوننا ودون غيرنا قال أو قال ذلك المجنون قال
نعم فنادى يا بشير خذ معك اعوانا أكفيا وجئني بعبد العزيز شر محبي
ثم قال ادخلا على نفوسة واجلسا حتى يأتي المجنون قال فما شعرنا ان جيء به

قال من أعلمك يا مجنون اني قدمت على نفوسة أفلح بن العباس فقال انت أعلمتني
قال في اليقظة أم في النوم قال لا ولكن في اليقظة قال وكيف ذلك قال رأيتك اذا
سعي لك رجل منهم اتقبض ما بين عينيك واذا سمي لك أفلح انبسط ما بين عينيك
فعلمت انك اياه تريد فقال خليا عن المجنون فقد كشف سرنا فلم تزل أيام أبي
اليقظان لا ينقم عليه شيئاً أحد مما ولي من افعاله * ما خلا أولاده فانهم ربما
خرجوا عن الواجب من أفعالهم اه *

— حكاية القاضي مع الامام —

*(وتركه القضاء) *

* كان أحد أولاد الامام علي مارواه ابن الصغير غير محمود السيرة
(والسكال لله وحده) وكان العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ
قاضي الامام حزيماً في الأمر جريئاً على تنفيذ أحكامه غيوراً على الحقوق
وقد صدر من ابن الامام المذكور ما يوجب عليه الحد الشرعي ولم يصل
القاضي الى اثبات الفعل عليه لعدم البينة بعد أن استعمل كل حيلة في الوقوف
على حقيقة الأمر، فقدم استغفاه وترك القضاء لما عجز عن الاثبات مع تحققه
عنده * وقد ذكر ابن الصغير تفصيل الحكاية فخذها من كلامه باختصار قليل
— (قال) * —

* فلم يزل قاضيه محمد بن عبد الله يأمر بأمر أبي اليقظان وينتهي الى
نهي لا تأخذه في الله لومة لائم الى أن حدث حادث فأصبح بالغداة فرمى
اليه خاتمه وقطره وقال له ول على قضائك من تريد فقال له ما بالك وما
عراك فقال ما نعت عليك شيئاً ولكن نعت على ابنك فغضب أبو اليقظان
مما استقبله به ولم يرد عليه شيئاً وكان للقاضي حاسدون ومبغضون فلما انصرف

من الامام قال لمن حوله اذا كان بالامانة امضوا الى محمد واسألوه على ما تقيم
 علي وعلى من نقيم لتزجره عما كان منه قال فقدموا اليه فأعلموه فقال لهم
 دعوني من هذا والله ما وليت له قضاء أبداً فأنصرفوا عنه وقد وافق ذلك
 سرورهم لحسدكم اياه وبغيتهم عليه وأتوا أبا اليقظان وقالوا اصلح الله الأمير
 الرجل به حق وجفاء ولك في المسلمين من هو أنفع للمسلمين منه فلم يزالوا
 به حتى صرفوه عنه وولوا القضاء رجلاً يقال له شعيب بن مدمان فقلت يوماً
 لاسليمان مولى محمد بن عبد الله القاضي ما السبب الذي كره به محمد بن عبد الله
 القضاء حتى ألقى الخاتم والقمطر وحتى شافه أبا اليقظان بما شافه به فقال نعم أخبرك
 والله يا بني بينما نحن ذات ليلة جلوس بعد العشاء الأخيرة وكان كثيراً ما يؤثرني
 بمواجبه على غيري فينما نحن كذلك اذ دق علينا الباب دقاً عنيفاً فقال لي
 ياسليمان قم فاني خشيت أن يكون حادثاً من قبل السلطان ففتحت الباب فاذا
 بجارية منبهرة ومعهما صقايي معه سراج قال فقلت ما بالاك أيتها المرأة فقالت
 القاضي أريد فرجعت اليه فأعلمته فقال لي أدخلها قال فأدخلتها فلما مثلت بين
 يديه قال لها ما بالاك أيتها المرأة وما جاء بك هذه الساعة فقالت نعم دخلت
 الساعة خدام من قبل زكرياء بن الأمير وأخذوا ابنتي من بين يدي فقلت
 لا بني قم فاتبعهم فقال أخاف أن يقتلوني أو يذسوا علي عاملاً من عملهم
 فيقتلني قال فسقط كالغشي عليه ثم أفاق فقال لي ياسليمان قم ثم قام فقال لي
 خذ السراج ولا يشعر بك أحد وتقلد سيفاً واءطني عصاي قال ففعلت ثم
 قال أخرجي أيتها المرأة فخرجنا ثم قال لها الى اين تظنين يقصد بابتك فقالت
 الى دار (الركات) قال فسار وسرت معه والجارية معنا حتى أتينا قرب دار
 الرجل فقال لي ياسليمان غيب السراج لئلا يشعر قال فسترته وقال لي دق

الباب دقا لطيفاً فاذا فتح الباب فظهر السراج قال فلما رأى صاحب الدار
وأهل الدار القاضي ارتاعوا ارتياحاً شديداً وقالوا ما بال القاضي أعزّه الله
وما جاء به فقال لي ياسليمان اصعد الى أعلى الدار واحذر أن ينزل أحد من
جوانب الدار قال ففعلت قال ثم أقبل يتخلل بيوت الدار بيتاً بيتاً وموضعاً
موضعاً فلا يرى شيئاً قال ثم صعد الى أعلى الدار والمرأة معه فلم يجد شيئاً قال
ثم عطف على صاحب الدار فقال هل رأيت زكرياء بن الأمير أو كان
معك اليوم فقال نعم كان اليوم عندي فلما كان الليل أوتي بفرس فركبه
فقال هل تعرف له موضعاً قال لا والله أصلح الله القاضي قال فخرجنا ثم
قال للمرأة هل تعرفين له موضعاً قالت لا والله أصلح الله القاضي قال فسقط
في يده ثم لم يصب إلا أن وصلها الى دارها ثم انصرفنا الى دارنا فما نام تلك
الليلة حتى طلع الفجر فعدا بنجائمه وقطاره فالتقاء الى صاحبه اهـ * ومن تأمل في
هذه الحكاية وحكاية ابن عرفة تحقق ما للمقرئين من السلاطين من قوة
التأثير على أفكارهم بقلب الحقائق وإظهارها لهم في صورة تجبرهم على قبول
إشاراتهم وإن كانت خطأ أو فيها خراب ملكهم وهم لا يشعرون * فإن بالتأمل
فيما أشار به مستشار الإمام أبي بكر من قتل ابن عرفة يتضح لنا أنه لم يقصد
النصيحة بالريب والافك كيف يتأني لابن عرفة الخروج عن الطاعة وهو
صهر من جهتين ولم يكن في كلام ابن الصغير ما يدل على أنه يتكلف للخروج
بل قال ان الإمام أدرك بعد فوات الأمر أن المشير بالقتل لم يقصد النصيحة
بل له غرض خصوصي وهكذا الحال في مسألة حمل هذا الإمام على قبول
استعفاء القاضي * هذا ولم تقف في كل ما تصفحناه من التواريخ وفيما لدينا
من تاريخ ابن الصغير على قول سوء أو ظلم أو خروج عن العدل ينسب

الى اثثة بني رستم أو الى عمالمهم أو أقاربهم الا هذه الحكاية وهي لا تعد شيئاً في جانب ما سمعته وستسمعه أيها القارىء من سيرتهم المستقيمة في مدة لا تبعد عن مائة وخمسين سنة ولو وجد لهم غيرها لذكروه

— ورع هذا الامام —

قال —

* ومما يذكر عنه من ورعه وتفقه ان رجلاً يكنى بأبي سابق كان خادماً لأبي اليقظان في جميع أسبابه وكان يتولى علف فرسه قال لي احمد بن بشير قال لي أبو سابق خرج أبو اليقظان يوماً الى منزله الذي كان اختصاصه (بتسلون) يتفقد سائمه وعبيده وأبطاً في انصرافه الى أن دخل الليل قال أبو سابق فخططت عن الفرس وربطته على مدرة وخرجت لآتي له بعلفه من عند حريف له فالفيتيه وقد أغلق حانوته فملت الى بيت المال ففتحتة وأخذت منه علف الفرس وأغلقت عليه ثم رجعت الى موضعي من القصر واذا بأبي اليقظان قد افتقدني سررة بعد أخرى فلما رأيته صعد اليه خادم فأخبره بمجيئي فقال له اصعده الي وكان يستريح الي ويسألني عن أخبار الناس فقال وما حبسك وما أبطأ بك فأعلمته خبر الحريف وغيتته وفتحي لبيت المال وأخذني العلف منه وتعليقي أياه الفرس فقال * آه يا أبا سابق والله لا نام محمد ولا أكل ولا شرب حتى تمضي وترد في بيت المال ما أخذت منه قال فمضيت والله في ليلتي تلك حتى أتيت حربي وأخرجته من داره وأخذت منه علف الفرس ثم مضيت وانزعت الخلافة عن الفرس فكلت ما بقي وأتممت ما أخرجت من بيت المال ورددته فيه وعلقت ما بقي على الفرس ومضيت اليه فأصبت به جالسا ينتظرني فقال ما وراءك يا أبا سابق فأعلمته بما صنعت فقال لي أحسنت

اما الآن فأجلس فمات ابو اليقظان فكل شيء وجد له من العين في تركته
 سبعة عشر ديناراً وكانت لأبي اليقظان في امارته وقائع صارت تاريخاً لموالد
 الناس (له بلفظه) هذا حاله وقد حكمها من تاهرت بالمغرب الى أرض سرت
 بالمشرق فهكذا والله العدل وهكذا الزهد والورع وهكذا كانت الخلفاء
 الراشدون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أهل الانصاف والفضل فهو
 ورب البيت لجدير بأن ينشد في حقه البيتان اللذان رواهما ابن عباس رضي
 الله عنهما عن أبي بكر رضي الله عنه ونصهما

(اذا أردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك في زي مسكين)

(ذاك الذي حسنت في الناس سيرته * وكان يصلح للذبا ولالدين)

﴿ ولاية أبي منصور الياس النفوسي ﴾

﴿ رحمه الله على جبل نفوسة وأخباره ﴾

* تقدم عن ابن الصغير أن الامام رحمه الله عقد الولاية لأقبح بن العباس
 على جبل نفوسة وكأنه لم تمتد أيامه فانفصل عنها ولم نعلم سبب انفصاله وكيفيته
 اذ لم يتعرض لذلك أحد وعلى كل حال فهو اما بعزل أو استعفاء فولى الامام
 رحمه الله بعده على الجبل العلامة الباسل أبا منصور النفوسي التندميرتي من
 إحدى قرى جبل نفوسة المشهورة بالعلم * ذكر الشماخي رحمه الله عند
 الكلام عليه انه كان في أول حاله من أهل الجملة ثم قال نقلاً من تاريخ نفوسة
 الكبير هكذا * فنزل مرة الى (مدينة) تيجي فالتقى بأبي مرداس مهابر
 (الزاهد المشهور) حافي الرجل قد أدماها الشجر والحجر في سنة قحط وشدة
 فأعطاه نعليه قال أبو مرداس (داعياً له) نزع الله منك يافتي مالا يرضى
 ورد فيك ما يرضى * قال أبو منصور فحسنت حين دعا بما عشتني فوقع في

نفسه التعلق بالمراتب العالية من العلم والعمل ببركة الشيخ وقد تقدم وكان بعد أن تولى أمور المسلمين إذا خرج لقتال العدو يركب بغلة ولا يتقي نبلاً ولا ضربة على نفسه ولا على مركوبه ولا تقع به ولم يهزم له جيش ولم تنكس له راية اه قال أبو زكرياء ولا يبالي في الله لومة لائم اه *

* وكان القاضي الكبير على الجبل في زمانه ذلك العلامة العادل، عمروس ابن فتح النفوسي رحمه الله الذي قال فيه أبو العباس في الطبقات * بحر العلم الزاخر بل حاز المفخر وحاز قصب السبق وإن كان في السن متأخراً كان ضابطاً حافظاً محتاطاً عافظاً * لم يكن تشغله المجاهدة في الله عن دراسة العلم ولم يلمه التبجر في العلم عما تمين عليه من مصادرة تلك المهوم لازم الدرس والاجتهاد ثم رابط على الجهاد له مصنفات في الفروع والعقائد اه وكان عزم على أن يفرز مسائل الفروع فيبين ما استخرج من الكتاب وما استنبط من السنة وما كان من الاجماع فيرد كلاً الى أصله قال العلامة أبو العباس وصرف الى ذلك وجه العناية حتى يكون تأليفه طرازاً لما صنف في علوم الشريعة فعاجلته المنية رحمه الله * وذكر في السير ان أبا منصور خرج الى قوم بلغه انهم غضبوا غير الآخريين ولما وصلهم ادعى كل من الفريقين ان العير له فاشتبه عليه الأمر اذ كان الخلاف بينهم شديداً ولا شاهد عليهم غير الله فأرسل الى عمروس بالمسارعة اليه ولما أتاه قبض على المتاع وصار يسأل كلاً من الفريقين على حدة عما اشتمل عليه من الأصناف وعما في الأجرية من الزاد وغيره حتى اتضح لديه أصحاب العير وعرف المتعدين لمعجزهم عن بيان ما خفي عنهم من المتاع اذ لم يطلعوا عليه فقال لأبي منصور هو لا، (يعني غير الناصيين) أصحاب الرقعة وهو لا، (يعني الناصيين) أضيافك كنى بذلك

عن حبسهم وتأديبهم فأجرى أبو منصور الأمر على حسب ما حكم به عمروس
ويذكر عنه أنه توجه إلى مكة لأداء فريضة الحج فدخل هو ومن معه على
العلامة محمد بن محبوب عالم أباضية الشرق في عصره وهو في مجلسه فسلموا
فرد عليهم السلام وأدنى مجالسهم تعظيماً وأكرمهم ثم فتحوا باب المباحثة في العلوم
فسأله عمروس عن مسألة من مكنونات العلم فتعجب ابن محبوب وقال إن
كان أبو حفص (يعني عمروساً) في شيء من هذا البلد فهذا السؤال منه فأخبره
الحاضرون بالحقيقة فزاد في تعظيمه ورفع مقامه وصار عمروس يسأله في
مسائل الدماء حتى قال له هذا من مكنون العلم فلا يملن به إمام كل أحد *
وكان عمروس أوصى الذين معه وقال لهم احفظوا لي السؤال وعلني حفظ
الجواب ولما قضاو مناسكهم وعادوا إلى الجبل جمعهم وقال هاتوا ما تكفتم بحفظه
فقالوا لم يبق في علمنا إلا قولك احفظوا السؤال اخفظ لكم الجواب * وعندئذ
صار يسرد الأسئلة والأجوبة حتى أتى عليها ولم ينس منها شيئاً وهو الذي
نقل مدونة أبي غانم بشر الخراساني ولولاه لما كان لها أثر * وذلك أن أبا
غانم وفد على الإمام عبد الوهاب بتهرت ولما صر بجبل نفوسة ترك مدونته
عند عمروس فألهمه الله نسخها فاجتهد في ذلك وكانت أخته عالمة جليلة
فلازما مكاناً واحداً فهو يكتب وهي تلي عليه وكلما أدركتها الشمس ترحلها
إلى الظل حتى كمل نسخها وكانت في اثني عشر جزءاً ولما عاد أبو غانم من
تهرت وجد نقطة حبر في بعض صحائفها فتنبه إلى ما صنعته عمروس
وكانه لم يستأذنه ولم يخبره فقال له قد سرقتها يا عمروس
فقال عمروس سماني سارق العلم * ولما وقع ما وقع من حرق كتب أهل
المذهب بتهرت وغيرها حتى فقدت بقيت هذه النسخة ينتقمون بها * قال

الشماخي ولولاها لبقى أهل المذهب من غير ديوان بالمغرب يعتمدون عليه
 وذلك ببركة عمرو بن وحسن نيتاه * وقد طلب منه بعض أهل الكلام من
 علماء أصحابنا بفران أن يؤلف كتاباً في الأصول فكتب الكتاب المعروف
 بالعمروسي وكتب إليه رسالة فلما رآها الفزاني وهو صاحب الكتابين المعروفين
 بأصول الكلام قال النفوسي أقوى مني * هكذا ذكر في السير وفيه أنه
 مكث في المغرب يتعلم العلم عشرين سنة ولما رجع إلى الجبل قال له أخوه
 انظر إلى الأجراف التي في فدادينك كأنه يلومه على طول غيبته في طلب
 العلم فقال له لو رأيت أجراً فتعلم دينك لمان عليك أمرى * وفيه أنه اشتكى
 إليه عبد من مولاته فقال له اصطلح مع مولاك وكان أبو مهاصر حاضراً
 وهو شديد الأمر والنهي في دين الله فغضب من جوابه وقال له اعطه حقه
 من مولاته والا نزعك الله من ذلك المكان ورد فيه غيرك * فنفذت فيه
 دعوة الشيخ فنزع من القضاء بعد ذلك في زمن قريب بدون حدث ثم طلبوا
 منه الرجوع فأبى * ولما سمع بوفاة أبي مهاصر اشتد أسفه وعظم فزعته حتى أنه
 كان يلبس ثيابه قلبس واحدة وأخذ الأخرى في يده ذهباً وجزعاً وذهب
 مسرعاً لمضور الجنازة فما أدر بهم إلا وقد دفنوه فرمى بنفسه إلى الأرض
 وتخبط في التراب متحسراً فتوهم جهال (افاطمان) بلدة أبي مهاصر (وهي
 الآن خراب آثارها تدل على كبرها) أنه فعل ذلك تشفياً وقالوا قد استراح
 منه لأنه كان كثيراً ما يترض عليه في بعض المسائل فيقبل منه تارة ويرد
 عليه أخرى بدون أن تنشأ بينهما عداوة أو شيء في الخواطر * ومما حكاه
 الشماخي عنها نقلها من سير نفوسة أن بعضاً سأل عمرو سأل عن الحكم فيمن
 أخذ خرجاً من مال ابن طولون في المحاربة الآتية وتاب ولم يعلم له صاحباً

فقال له يسأل عن صاحبه فان أعياء طلبه تصدق به (لأن مال الباغين من
الموحدين لا يحل بخلاف دمهم) وكان أبو مهاصر حاضراً ولا يجب الترخيص
فغضب وقام قائلاً لا أقعد في مجلس يفتى فيه بمثل هذا فقال له عمرو بن
شدت ان تقعد فاقعد فان من شأن المسلمين ان لا يأسوا من رحمة الله وكان
أبا مهاصر يرى وجوب البحث عن صاحب الخرج حتى يرد اليه أو لورثته
ان مات ولا يصح التصديق به الا بعد تحقق ان لا وارث له والله أعلم *

— محاربة أبي منصور رحمه الله مع أبي العباس بن طولون —

﴿ صاحب مصر ﴾

* كان أبو العباس هذا عاصياً لوالده وثائراً عليه خدثته نفسه في أثناء
غيبة والده عن مصر بالذهاب الى جهات القيزوان وانتزاعها من بني
الأغلب والاستقلال بها عن أبيه وقد ذكر أغلب المؤرخين منا ومن غيرنا
حكايتهم وأقوالهم كلها متقاربة الا أن بعضهم ينسب طلب الاعانة من
نفوسة والاستغاثة بهم الى أهل طرابلس وبعضهم ينسب ذلك الى أهل
حصن (لبدة) وعلى كل الاقوال فالسبب في قهره وتشيت جموده وانتقاده
طرابلس وبني الأغلب من ظلمه واستبداده هو أبو منصور وعساكر
نفوسة وهي واقعة خلدت لنفوسة وأبي منصور في بطون التواريخ ذكرها
جليلاً وكانت شاهد عدل اعترف بها كل المؤرخين «يسالة» نفوسة»
وشجاعتهم وبتعففهم وتنزههم عن المال الحرام اعترافاً لا يحجوه مرور
الزمان وتوالي الأعصار * قال المؤرخ المراكشي المالكي في بيانه *

* وفيها أي في سنة ٢٦٧ كانت (فتنة ولد ابن طولون) وذلك ان العباس
ابن احمد بن طولون ولد صاحب مصر قديم في هذه السنة في ثمانمائة فارس

وعشرة آلاف راجل من سودان أيه على خمسة آلاف جعل الى مدينة
برقة في ربيع الآخر يريد افريقية والتغلب عليها واخراج بني الاغلب عنها
وحمل مع نفسه من بيت مال مصر ثمانمائة حمل دنانير ذهباً فأعطى أصحابه
الارزاق بها وقيل ان مبلغ ما حمل من المال ألف ألف دينار ومائتا
ألف دينار ومعه أبو عبد الله أحمد بن محمد الكاتب مكبل لأنه أظهر الامتناع
من الخروج معه وكان أشار عليه بأن يؤخر التقدم الى طرابلس حتى يصانع
البربر فقال أخشى أن تقدم المساكر من الشام قبل احكام هذا الأمر يعني
حساكر أيه لأنه كان نائراً على أيه ويكون أيضاً في ذلك فسحة لبراهيم
ابن أحمد فيتمهل في الاستعداد ولا كني أمضي على فوري هذا فتأتي لبدة
وطرابلس فجأة ثم أخذ في استمالة البربر بعد ذلك بالعطاء والافضال وأبعد
من مصر فلا يقوم لأحمد بن طولون يعني أباه أمل في مطالبة لبدة
عنه* وخرج يريد لبدة فاتصل خبره ببراهيم بن أحمد فأخرج اليه أحمد بن
قهر ب في ألف وستمائة فارس خيلاً مجردة لارجل فيها باعداد السير والسرى
بالليل حتى دخل طرابلس قبل وصول العباس بن أحمد بن طولون الى لبدة
ثم حشد ابن قهر ب من أمكنه من جند طرابلس وبربرها ثم بادر الى لبدة
ودخلها وأقبل العباس بن طولون وقد صنع له بيرقة خمسة آلاف بند فحمل
له على كل رجل رجلاً بينده وزحف ثمانمائة فارس وخمسة آلاف رجل فالتقى
به أحمد بن قهر ب على خمسة عشر ميلاً من لبدة وقد تأخرت الجمال بالرجال
أصحاب البنود فلم يكن بينهم الا مناوشة يسيرة حتى انهزم أحمد بن قهر ب
وهو يظن أن من ناوشه القتال من أصحاب ابن طولون كانوا مقدمة للجيش
ووصل أحمد بن قهر ب الى طرابلس منهزماً وركب العباس بن طولون

أثره حتى نزل طرابلس ونصب عليها المجانيق وناصبهم الحرب
وأقام محاصراً لهم ثلاثة وأربعين يوماً فتعدي بعض سودانه على بعض
حرم البوادي (وهم اتباع بني رستم كما مر) وهتكوا الحجب فاستغاث
أهل طرابلس بأبي منصور صاحب نقوسة فقام محتسباً وناصرآ جيرانه
من المسلمين وزحف في اثني عشر ألفاً من رجال نقوسة إلى العباس
ابن أحمد بن طولون فناشبهوه الحرب فقال العباس لأبي عبد الله الكاتب
ما الرأي فقال له بركة خليفته وألح أهل نقوسة في محاربة ابن طولون
فانهزم وخرج إلى بركة بعد انتهاب أهل طرابلس لجميع عسكره ولم يلبس
النفوسيون منه بشيء بل تورموا عنه وكان إبراهيم بن أحمد قد حشد
الأجناد وضرب حلي نساؤه دنائير ودرام اذ لم يبق أبو الغرائق مالا ثم
خرج بنفسه يريد طرابلس فلقية خبر هزيمة ابن طولون فبعث ابن الأغلب
عن الأموال وأخذها ممن وجدت عنده فكان الرجل من أهل العسكر يبيع
مشاquil ابن طولون سراً بما أمكنه خوفاً من أن تؤخذ منه اه * وقال ابن سعيد
المالكي في تاريخه الدر المكنون هكذا *

* وخرج (العباس بن طولون) بأكثر تلك الأموال العظيمة والنعيم
والدخائر معه إلى أن انتهى إلى حصن يعرف بلبة فقتله أهله له وخرج
إليه عامل ابن الأغلب فأطلق العباس لأصحابه نهب الحصن فقتلوا الرجال
وفضحوا النساء وذاع الخبر واستغاث طائفة من أهل هذا الحصن إلى
العباس بن منصور النفوسي رئيس الإباضية فدخله منهم غضب شديد وحمة
غليظة وكان العباس قد كتب إلى النفوسي أن أقبل بسمعك وطاعتك والا
وطيت بلدك بخيلي ورجلي وأبحت رحلك * وهذا متقول ذو منعة وله أهل

كثير عددهم ولم يود الى ابن الأُغلب طاعة قط *

﴿ جواب أبي منصور الى ابن طولون ﴾

فقال الياس أبو منصور النفوسي (تحقيراً له) * قل لهذا الغلام أما
انك أقرب الكفار مني وأحقهم بمجاهدتي * فقد بلغتني من قبيح أفعالك
ما لا يسعني التخلف معه عن جهادك وأنا على أثر رسالتك إليك اه * وقد كان
ابراهيم بن الأُغلب أتقذ الى محمد بن قهر ب. عامل طرابلس بمخادم يعرف
ببلاغ في جمع من أهل القير وان كثير فكان القتال بينهم مناوشة وانصرفوا
على غير مناجزة وصبح الياس أبو منصور النفوسي في اثني عشر ألف مقاتل
مستنصرين والخدام من خلفه فأطبق الجيشان عليه فقتل أكثر من
كان معه واستبيحت أمواله وذخائره وما كان حمله معه من مضر من السلاح
والخيل وأقلت بحشاشة نفسه وكان معه أيمن الاسود مقيداً بخلاصه تقييده
من القتل لأنهم علموا انه حرب له ورجع العباس على برقة اه

* فله در أبي منصور ما اشد كلامه وما أعظم خطابه فمن تأمل في
جوابه هذا حق التأمل اتضح له ما كان له رحمه الله من الشهامة وعلو الهمة
والاقدام وشدة الحرص على محافظة بلاده والقيام بحقوق جيرانه ورعاياه
فأمثله تسلم مقاليد الولايات البعيدة كالجليل ولقد أصاب الامام في انتخابه
وتعيينه رحم الله الجميع *

﴿ حكاية سجن هذا الامام ﴾

﴿ بغداد في حياة والده ﴾

* قد تقدم منا وعد بذكر قصة سجنه فهاكها موضحة مأخوذة من
كلام ابن الصغير على القاعدة المتقدمة ولا يخفى مما مر على سمعك ان

لدولة الرستمين في ذلك العهد بين سائر دول الاسلام ذكراً دائماً
 وشنشة شائمة توذن بالرعب وتقضي نظراً لميل العموم الى العدل بإمكان
 اتساع دائرة ملكها بين طبقات الأمم الى أمد بعيد غير معلوم الحد والنهاية
 وبذلك أخذ الخليفة العباسي في الشرق المتأخم بالحدود من جهة مصر لأرض
 سرت وجبل نفوسة التابعين لهذه الدولة شدة الاحتياط والحذر ناظراً الى
 المغرب بعين الخشية وقلب المخافة ولا سيما إبان الحج الشريف لكثرة الوافدين منه *
 (ممزوج) وقد استأذن هذا الامام رحمه الله والده رضي الله عنه في آخر
 أيام دولته في الحج فأذن له وتوجه مع الراكب يصحبه رجل من نفوسة
 اتخذه مؤنساً وخادماً الى أن وصل مكة المكرمة وقد اتصل خبر مجيئه ببني
 العباس في بغداد فاشتد خوفهم ورعبهم *

﴿ قال ﴾

* فلما طاف وسمى اكتفتة رسل بني العباس اذ قد سمي به عندهم
 وقيل لهم ان مقدم الشراة قد قدم من المغرب من عند أبيه يرتاد البلاد
 ويرسل رساله في كل الآفاق الى من كان على رأيهم ومذاهبهم ليأخذوا على
 أنفسهم الى أن يأتيه والده من المغرب فحمل أبو اليقظان من مكة وحمل معه
 رجل من نفوسة كان يخدمه حتى ورد بها مدينة السلام (في بغداد) وكان
 العامل اذ ذاك لأبي جعفر المتوكل أو غيره ممن كان في عصره فأمر بحبسهم قال
 الذي حدثني * حدثني أبي عن أبي اليقظان انه قال وافق حبسي حبس أخي الخليفة
 كان قد تقم عليه مائتم فأمر بنا جميعاً فحبسنا في موضع واحد قال وكانت
 يجري علي في كل يوم مائة وعشرين درهما كما يجري على أخيه اه وذلك
 عبارة عن عشرة آلاف وثمانمائة قرش في الشهر ومائة ألف وتسعة وعشرين

ألفا وستمائة قرش في السنة بمعملة عصرنا تقريبا وهكذا جرت سنة الملوك وعادتهم
مهما أسروا في حرب أو قبضوا في حين غفلة أو خيانة على واحد من أسرة
ملوك غيرهم اظهرا للقوة وتوقيرا لمقام الملك وعن الملوك لا تسأل *

﴿ خبر أبي اليقظان مع ﴾

﴿ أخي السلطان المسجون معه ﴾

* (ممزوج) فبقي مع أخي السلطان على أحسن حال وأنس قد رسخ في خاطر
كل مودة الآخر فلا يطيب لأحدهما طعام ولا شراب الا بحضور الثاني
وصارا شريكين في الفرح والحزن والرضاء والسخط وكان أخو الخليفة
كثير التعلق بأبي اليقظان لما رآه فيه من حسن الأدب والتضام في العلوم
والورع الكامل وكثير الإعجاب به من حيث اتقان الطهارة ومراقبة أوقات
الصلوات والقيام بالليل والناس نيام فتألفا وامتزجت مودتهما وعقدا أخوة الصفا
وجعلا الصبر ديدنا والتسليم للقضاء المبرم من عند المدير الحكيم القادر عمادا
لا يغفلان عن النظر في قوله تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) *
وقوله واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور) وكأني بهما ولسان حالهما يردد
قول الشاعر *

(لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم)
* وقد رأى أخو الخليفة من أبي اليقظان في تلك المدة من أنواع البر
والأكرام والجود والثبات والتجلمد ما أدهشه وأدّى به الى الاستغراب وذكّره
بمحاسن الصفات ورآى أبو اليقظان منه مثل ذلك وفي كل ذلك رفيقه النفوسي
مسرّح في المدينة تحت النظر والمراقبة يتردد عليه في السجن لقضاء ما ربه
وتدبير شؤنه بما يحتاجه من الخارج وبينهما في تلك الحال بين الشدة والرخاء

والخوف والرجاء لا بأسان من رحمة الله ولا يسأمان من قدر الله اذ اختل
نظام داخلية الخليفة وقامت قيامة الرعية وأصبح مقتولاً *

﴿ عقد الخلافة لرفيق أبي اليقظان ﴾

﴿ وأخباره معه بعد ذلك ﴾

* (نمزوج) وبعد أخذ ورد وقيل وقال تمحضت الخلافة لرفيق أبي اليقظان
أخي الخليفة فنودي باسمه وما شعر حتى دخلت الصقالبة والأجناد عليه في
السجن واختطفته من بين يدي أبي اليقظان الى دار الخلافة وقدمت له البيعة
وما تم له الأمر وثبت على الكرسي حتى امر باخراج أبي اليقظان من
السجن ودعا أحد وزرائه وكلفه بحفظه واكرامه الى ان يتفرغ لطلبه فبادر
الوزير ممثلاً للأمر ودخل على أبي اليقظان وأخبره بالقصة وجمله الى محله
وقام بواجب حقوقه برأوا وكراماً فطاب نفسا وانشرح صدره وأمل الخلاص
من ربة التغرب واستقرب الاحق بالوطن العزيز مسقط الرأس ومقر
الاهل ومنبع العدل *

كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبداً لأول منزل
* ثم أن الخليفة اراد اظهار ماله من القوة وكثرة الجنود لأبي اليقظان
لكي يعلم ذلك ويخبر والده ورجال دولته اذا رجع اليهم فيأسوا من الطمع
فيه ان خطر يالهم *

﴿ قال ﴾

* قال الذي حدثني * حدثني أبي عن أبي اليقظان انه قال فيينا انا عنده
(أي عند الوزير) ذات يوم اذ انصرف من قصر الخليفة فوقف في صحن
داره على فرسه وخرجنا اليه ووقفت معه فيينا نحن كذلك اذ أقبل عشرة

اناس فنزلوا عن دوابهم وبادروا نحوه يقبلون يديه ورجليه فقال لهم أتدرون
 فيماذا أرسلت اليكم فقالوا اصلح الله الامير مالنا في ذلك من علم فقال
 اذا كانت الغداة فاحضروا الي عشرة آلاف فارس فقالوا نعم اصلح الله حال
 الوزير قال فعجبت من قوله ومن قولهم وقلت يهزأ بهم أم يهزؤون به أم
 اراد أن يظهر لي شيئاً أحدث به في المغرب لا اصل له * قال فنظر الي والي
 انكساري فشعر بي قال فقال لي مالك يا مغربي لعلك استعظمت ما سمعت
 فقلت اصلح الله الوزير وكيف لا استعظمه ولو كان ما سألتهم اياه دراهم في
 اكمامهم لما استطاعوا احضارها اليك بالغداة وكيف بعشرة آلاف فارس
 فقال يا مغربي ترى هؤلاء المشرة قلت نعم قال تحت يد كل واحد منهم عشرة
 كم معك قلت مائة قال وتحت يد كل واحد من المائة عشرة كم هذا معك قلت
 ألف قال وتحت كل واحد من الألف عشرة كم هذا قلت عشرة آلاف قال
 انما تخرج هذه المشرة فيدعو كل واحد منهم من كان تحت يده فيجتمع
 ذلك كله في اقل من لحظة المين ولولا سعة هذه الارزاق وآخذوها يا مغربي
 لما صبيننا هذه الاموال الا في الدجلة والفرات قال فأعجيني قوله وقلت
 يمكن ما قاله اه *

— ﴿ طالب الخليفة من ابني اليقظان الاقامة ببغداد ﴾ —

﴿ قال ﴾

* قال (أبو اليقظان) فينما انا كذلك عنده اذ أمر الخليفة باحضاري
 قال فلما مثلت بين يديه أمرني بالجلوس فجلست قال فذكر ما كنا عليه
 (من الحال في السجن تأنيساً له) قال فكان يرى مني اجتهاداً في الصلاة
 وغيرها فقال اني أحب أن أوليك من المشرق أي بلد أردته فقلت له الخيار

لي في المشرق دون المغرب أم في المشرق والمغرب فقال لي بل الخيار
اليك في المشرق والمغرب إلا أنني أختار لك المشرق لكثرة خيره وأرغب
لك عن المغرب لكثرة شره فقلت له اذ رددت الخيار إلي فأنا أختار ما شئت
قال ذلك اليك فقلت اجمع بيني وبين والدي فقال لي ما تريد بالمغرب من خير
ولكن إذا أردت ذلك فالأمر اليك ثم عطف علي فقال لي جرايتك في
الحبس انظر إلى من توصي بها لئلا ينفوا اسمك من عندنا فقلت إلى فلان
ابن فلان الخياط رجل يقرب الحبس قال وكنتم أقبلت على النفوسي المرفوع
معي وقلت له اقم تقبض كل يوم عشرين ومائة درهم فذلك خير لك من المغرب
فأبى علي فقلت له فاذا أبيت فإني من ترى أن تصرفها فقال لي إلى فلان بن
فلان الخياط فإني كنت اجلس عنده واستريح إليه وأشاوره في أمرك قال
فلما ذكرت اسم الخياط للخليفة قال لي هم استحق ذلك منك قال فأعلمته بما
قال النفوسي قال فأمر به فأجريت عليه (وأصبح بعد أن كان فقيراً من
الأغنياء المروفين عند السلطان وخير الصدقة ما أودت غني) قال
فكان النفوسي بعد ذلك بتهرت إذا كره به أمر ونزل به ضيق يقول لأبي
اليقظان لم أقبل منك ولو قبلت منك لكان العشرون والمائة درهم في كل يوم
أعود علي مما أنا فيه قال ثم أمر الخليفة الوزير بالنظر في أمري وأمر جهازني
وأمر لي بسرادق فضرب لي ثم أمر لي بنفقة وكسوة وكتب لي
كتباً إلى عماله في الأمصار بالحفظ والرعاية والبر والأكرام فأقت حتى
قضيت حوائجي ثم خرجت اه بلقظه *

﴿ غريبة ﴾

* ومما يحكي عنه أنه بعد أن تحرك من بغداد مقبلاً نحو المغرب حسب

منجمو الخليفة العباسي حسابهم فأروا أنه لا بد من أن يتولى الملك بالمغرب
فضاق صدر الخليفة ورجاله لذلك وقالوا قد أطلعناه على أمرنا وكشفنا له أحوال
بلادنا وتركناه وذلك هو عين ما كنا نخافه ولا تamen أن يهاجنا يوما ما إذا
تقلد الملك * وهما بالارسل في أثره ليردوه وكان هو رحمه الله ممن لا يسابق
في علمي التنجيم والرمل فصادف الحال أن حسب لهم وقت حسابهم له فرآى
أنهم يبحثون عن موقعه ليقتفوا أثره فأمر باحضار قصعة كبيرة مملوءة ماء
ودخل في وسطها وبينما هم في تحرير حسابهم اذ ظهر لهم أنه في الماء فقالوا قد
دخل البحر ونجا فتركوا تتبعه ومر هو في طريقه الى أن وصل والله أعلم *

ولاته وعدد اولاده ومدته

* لم نعلم له رضى الله عنه من الولاة والعمال غير أفلح بن العباس والي جبل
نفوسة وأبي منصور ولم نر لوزرائه ذكرًا وقد أهمل التاريخ المتأخر ذلك كله
لقلة المواد فله عذر وفيما قدمناه عن علومه من الكلام ما يعني عن الاعادة هنا
* (مزوج) وله رضى الله عنه من الاولاد المذكور عدد منهم يقظان الذي كني
هو باسمه وقد خرج الى الحج في حياته ويوسف وهو المكنى بأبي حاتم وأبو
خالد وعبد الوهاب ووهب وزكرياء وغيرهم ممن له ذكر وكان من بينهم أبو
حاتم شابا حسن الجمالة طلق الحيا باسط الكف جميل الهيئة كثير المروءة واسع
الاخسان والبر بأثرابه يطعم ويكسو ويجود وكانت أمه غزال مالكة لأمر
أبي اليقظان وحشمه فوكت محبته في النفوس ورشحته العامة للإمامة بعد أبيه
حتى أنه في بعض الاعياد تخاف والده عن الحضور الى المصلى مع الناس فخطر
بسالهم ما خطر وكان أبو حاتم موجودا فحملوه على الاعناق ونادوا بطاعته
ولما اتصل الخبر بالإمام والده قال لأمه احذري يا غزال فقد أصبح ابنك

اليوم سلطاناً * أو مافي معناه من الكلام ولا زال بعد ذلك يقلده مهم
 الأمور ويقدمه في حل مشكلات الامارة تدريباً له واعلاءً لقدره وتعظيماً
 لشأنه في انظار الزعية واظهاراً لما لديه من الاقتدار على الاعمال الشاقة الى
 أن ارسله في جيش من وجوه زناتة لمحافظة قوافل اقبلت من المشرق فيها من
 الاموال ذهباً وبضائع مالا يحصى خوفاً من اعتداء سقهاء زناتة عليها اذ كانوا
 يخمين بطريقها فأدركت الامام ابا اليقظان نيته وانقضى اجله عن عمر يناهز مائة
 سنة قضى منه اربعين سنة في خدمة الملة واعلاء كلمة الدين واقامة شعائر الاسلام
 ومحافظة المسلمين * ومآقاله المراكشي من أن مدته ٢٧ سنة عار عن الصحة
 جداً ولا معنى له فجهز ودفن والناس عنه راضون وولداه غائبان يقظان بالحج
 وأبو حاتم بمسكوه في محافظة قوافل تجار الشرق فلقق الناس من الكدر
 والأسف والنحيب مالا يوصف فرحمه الله رحمة واسعة وذلك سنة
 احدى وثمانين بعد المائتين ٢٨١ باتفاق المؤرخين حتى المراكشي الذي خالف
 في عدد مدته *

— خلافة الامام أبي حاتم يوسف بن محمد —
 ﴿ رحمه الله ﴾

﴿ ممزوج ﴾ وما كاد يتم دفن الامام رحمه الله حتى سارعت العامة
 الى المناداة باسم ابنه أبي حاتم يوسف اماماً في الأترة والأسواق بدون اجتماع
 وتشاور مع رؤساء القبائل وأسرعهم الى ذلك رجالان أحدهما محمد رباح وثانيهما
 محمد بن حماد ولعله أخا بكر بن حماد الشاعر المشهور وفي الحال أرسلت اليه الرسل
 فوافقه وهو مع القوافل وبلنته وفاة والده وعقد الامامة له فكر راجعاً
 معهم الى المدينة *

قال ❦

* فنادوا لاطاعة لأحد إلا لأبي حاتم على مسيرة يومين من المدينة أو أكثر فلما وصل إلى باب المدينة ازدحم الناس من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره فبايعوه فما وصل المسجد الجامع إلا وقت الظهر فأصعدوه المنبر وبايعوه وكبروا حوله وحملوه على الأيدي والاعناق حتى أوصلوه إلى داره ثم أرسلوا إلى القبائل فبايعوه اه فتحت له البيعة وخلصت له الامامة بدون انكار ولا معارضة من أحد إلا ما كان خفياً في نفوس بعض من أهل المدينة ولم ييؤحوا به كعه يعقوب بن أفلح فإنه منذ عقدت له البيعة بارح المدينة ورحل إلى زواغة فسكنها ولم يدخل للرسامين جمعاً ولا أعان ابن أخيه بشيء من قول أو فعل وإن لم يصدر منه مع ذلك ما يكدر الراحة قط فشر أبو حاتم لمباشرة أموره عن ساق الحزم وسار بسيرة أسلافه الصالحين واستقام له الأمر وأجمع الناس على ولايته وسلمت بواطن العامة من جهته مدة سنة على ما قاله المؤرخ المراكشي وأقر من أقر من عمال والده على أعماله وبدل من بدل وممن أقرهم على عملهم أبو منصور النفوسي في الجبل * ثم تكلف بعض رجال دولته وأخوته وأعمامه أن يجعلوا له ما يقتضيه مقام الملك من الأبهة والحجاب وأبي الناس إلا الدنومنه والدخول عليه في كل وقت مست الحاجة إليه مثل ما كان عليه قبل الامارة فوقع بذلك في الخواطر شيء من التنافر *

❦ سمي بعض المفسدين في المروق من طاعة الامام ❦

❦ ونفيه اياه وما نشأ عنه ❦

« ممزوج » وكان بالمدينة من مسدوعي الكلمة من المشايخ من غير

الإباضية أبو مسعود وأبو دنون الكوفيان المتفقان على مذهب الكوفيين
وعلوإن بن رعلان وغيرهم ممن وقع عليهم من الإمام بعض اعراض وغض
نظر لما تشبهوا به قبل ذلك من اتخاذ الوسائل لاثارة الفتنة وتحريك الفساد
وتناجيهم بالظن والقدح في السيرة فانضم اليهم محمد رباح ومحمد بن حماد
اذ لم يجدا مع الإمام نفوذ اغراضهما وقضاء مقاصدهما مع انها أول من نادى
بالبیعة له فاتفقا على الغدر به ووعدا المشايخ المذكورين بذلك (وهكذا كان
وقع لجده الإمام عبد الوهاب مع ابن قندين وشيعته الحكاية السابقة) فبلغ
الخبر الإمام أبا حاتم فلم يشك في صحته لما انه في حياة والده خرج ذات مرة
من عنده على غضب فلاقاه رباح هذا وابن حماد وقد علما بما وقع بينه وبين والده
فقالا له دع لنا هذه الخوخة (وهي باب صغير كان معداً له خاصة يدخل
معه الى والده) فنقلته وتولى الامر وتستريح فزجرهما وأضر لهما في نفسه
ما أضر اذا أمكنته الفرصة فيها لما قصدها من الخيانة وهاله أمرهما ولم يجد
سبيلا لذلك الى أن بلغه ما ذكر فأمر بإبعادهما ونفيهما *

— (قال) — *

وكان لمحمد بن حماد على بعض أميال من المدينة منزل يقال له الثلة
قد جمع الاشجار والانهار والمزارع والنخيل والقصور اهـ *

* فطلبوا تعيينه لمكثها مدة النبي فأصدر الإمام أمره بذلك وتوجهها
اليه (وليس ذلك من الإمام بمناجاة النبي لمثل هذين انما يكون بالاخراج
عن الحوزة رأساً حتى لا يتمكن من مواصلة ذويه ولا يتمكنون من امداده
وحمايته وبذلك تحصل التربية والتأديب كما هو شان سلطاننا المظفر عبد الحميد
ابن عبد الحميد العثماني من تقيہ أبناء الترك وغيرهم ممن هم من ناحية القسطنطينية

دار خلافته الى فزان وغدامس وغات وجبل نفوسة وطنتنا من ملحقات
 طرابلس الغرب بقطعة افريقيا ونفيه أولاد العرب منها ومن غيرها الى أرض
 الرومي والأناضول وغيرها من بلاد أوروبا وآسيا حتى ان المنفي غالباً لا يعلم
 بحاله مدة اقامته الى أن يرجع أو يموت (ولقائل ان يقول ان أمثال هذه
 الأمور تؤخذ بالتجربة والتكرار فكما حدث داء اخترع له دواء فان أفاد فذاك
 والا اخترع له غيره وعلى ذلك جاء قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه (أحدثوا أي الناس أموراً لم تكن من قبل * فأحدثنا لهم) أي أتينا
 لهم بما يليق بذلك من التأديب الذي لم يكن قبل أيضاً * ولعل للامام في ذلك
 نظراً لم تدركه أو لم يصب المرمى اذ كانت العاقبة سيئة فبقيا هناك في أنتم
 عيش وأرغده الا أن كلمة النفي حملتهما حملاً ثقيلاً لماهما عليه في نظر العموم من
 الوجاهة والقبول حسب زعمهما وضلا يرسلان أصحابهما بالمدينة لاستعطاف
 الامام والنفوس عنهما ولما أعيأها الأمر ولم يتحصلا على نتيجة عادا الى توجيه العتاب
 الى أصحابهما أولئك المشائخ والى لومهم وتوبيخهم على السكوت عنهما وصرف
 النظر عن الاعتناء بما يوجب ردهما الى المدينة مع أنهما من يأبى العدل والانصاف
 إعادتهما وحط منزلتهما بصفة النفي وصارا يتابعان الرسائل ويكرران الطلب
 بعبارات التعجيز والتكدير لأصحابهما الى أن استفزهم الكبر وغرهم اللعين
 فاجتمعوا وقالوا كيف يسعنا السكوت عن مثل هذين الرجلين مع ما لحقهما
 من الاهانة والذل على غير جناية وما هذا الامنكر يجب علينا انكاره وتغييره
 وقد علمتم انه لا سبب لنتفيهما الا توجه التهمة اليهما بمجاملتنا وموافقتنا * ثم
 عقدوا الرأي على ادخالهما رضي الامام أم سخط وأرسلوا اليهما من انخبوه
 من رجالهم وتهيئوا لملاقاتهم *

❦ قال ❦

* فما شعر أبو حاتم إلا والتكبير عليهما بالمدينة ففرع لذلك وارتاع وعلم أنها ليست بدار قرار فاجتمع إليه قومه وأهل بيته فقالوا له قد أعلمناك هذا أولاً ولكن أقم بين ظهرائي القوم ونحن نخرج إلى حصننا الذي به مواشينا وعبيدنا وهو حصن يعرف (بتاليت) في طرف من لواتة فاذا صرنا إليه واجتمعنا به ورأينا به لواتة وغيرها من القبائل ناصرنا أخرجناك إلينا ففعلوا ذلك فلما رأت بقية العجم الساكنين بمدينة (تيهرت) ما فعلت الرستمية خرجت إلى حصنها وفعلت نفوسة مثل ذلك *

❦ خروج الامام من المدينة ❦

❦ قال ❦

* ثم أقام أبو حاتم بعد ذلك أياماً ثم خرج وخرج معه من وجوه البلد السحيين وغيرهم نحو مائتي رجل وكان الخارجون معه حماة البلد منهم رجل يعرف بيكر بن يبيب ومن السحيين رجل يعرف بيكر بن عبد الواحد وكان هذان الرجلان فارسي المغرب وبقيت العامة ومشايخ البلد في جمع عظيم وعلموا أن الحرب قد دهمتهم فشرعوا في بنيان حصنهم ثم إن أبا حاتم لما خرج اجتمعت لواتة كلها إليه فأعطى الأموال وحمل على الخيل واجتمعت أهل قبائل الصحراء إليه خلا الحصن المعروف (بتالمت) وأهله الصفرية فانهم مالوا إلى المدينة اهـ

* (وقد وقفت على موضع هذا الحصن أثناء رجوعي من بني ميزاب عام ألف وثلاثمائة وستة عشر ١٣١٦ وهو في ربوة عالية يحيط بها كالهالة وادٍ كثير الأشجار ذو منظر لطيف إذا امتلأ بماء الامطار وصار كالبحر كما

رأيت و بقيت فيه تلك الاشجار مصطفة كالسفن السابحة في البحر وقد بنى
 بأعلاها الفرنسيون الآن (فندقاً) على هيئة حصن متسع يوجد فيه كل ما
 يستحقه المسافرون وفيه بيوت ممددة للنوم بأسرة وفرش لا تتجاوز اجرتها في
 الليلة ثلاثة دراهم وقد بني من اتقاض الحصن القديم على حسب التخمين اذ لم
 يبق منه الا آثار وأطلال قليلة وهو الآن محط رحال القوافل والمسافرين
 والعربات (الكروضة) لجهات متعددة من أعمال الجزائر وقد جمعي القدر
 فيه بأفضل من تجار بني ميزاب أنوا من بلاد ومدن متفرقة وبتنا جميعا في
 ليلة أنس وسرور ثم ذهب كل الى حيث كانت وجهته وبهذا الاسم يسمى
 الآن أيضا وان سمي هذا باسم ذلك وهو في محل آخر فالله أعلم *
 — محاصرة الامام للمدينة —

وبعد أن اجتمع للامام جموع ملأت السهل والجبال عول على محاصرة المدينة
 وقد ذكر ابن الصغير الحادثة مفصلة نغذاها على القاعدة المتقدمة *
 — قال —

* ثم جمع أبو حاتم جموعه وزحف الى المدينة من ثلاثة مواضع من
 القبلة والمشرق والمغرب فتولى بنفسه القبلة مع لواته والرسومية ومن شائها
 وتولى المشرق العجم وصنهاجة ومن شائها وتولى المغرب طوائف من الناس
 مع نفوسة وكان قتال شديد من الأوجه الثلاثة وكانت الدارات في الأوجه
 الثلاثة على أهل المدينة اه *

* « ممزوج » فقتل من المعروفين بالمدينة من ناحية المشرق رجل يعرف
 بابن مادة قتلته العجم ومن المعروفين من ناحية القبلة رجل من أهل دمر
 ولما رأى مادة ابنه مقتولا داخله الغضب فحمل على رجل عجمي يسمى (برجا)

فقتله ولما علم به الناس بادروا اليه ليقتلوه فلم يمكنهم وكادت الفتنة تعود فيما بينهم داخل المدينة فاعترفوا لأنفسهم بالخطاء في إثارة الفتنة وأيقنوا بأن أمر الرعية لا يضبط بدون سلطان وقالوا قد كان في أول الأمر قيامنا لأجل نفى رجلين فقط حسبناه منكراً وقصدنا تغييره ثم وقعنا فيما هو أعظم من سفك الدماء ظلماً وعدواناً * فقوموا بنا إلى تسليم مقاليد الأمور لصاحبها وادخاله المدينة حتى ينتقم من هذا المتعدي وشيعته ويحكم كيف شاء وما لنا في الحرب والفساد من خير * ثم أرسلوا إلى الامام بما قرروه فأجابهم بأنه لا يقبل منهم شيئاً إلا أن سلموا له الرؤساء والمشائخ الذين كانوا سبباً في الفتنة ليحكم فيهم بما يراه مما يوافق الشرع الشريف * فصعب عليهم ذلك ونكصوا على أعقابهم وأبوا فعاد الامام إلى حربهم *

﴿ مبايعة أهل المدينة للعلامة يعقوب ﴾

﴿ ابن أفلح عم الامام ﴾

* (مزوج) ولما ضاق بهم الحال من الحصار أجمعوا على أن لا طاقة لهم بالاستقلال دون رأس من الرستميين وقال قائلهم قد علمتم ما كان ليعقوب ابن أفلح من مصارمة ابن أخيه منذولي الأمر * وهو بزواغة غير بعيد فإرسالوا إليه واعرضوا عليه البيعة حتى نرى رأيه فكتبوا كتابهم ووجهوه إليه مع أمناء منهم فماتوا في عن قبول طلبهم واجابة دعوتهم وقد كان لولا هذه الفعلة التي تاب منها وندم بعد ذلك كما قال ابن الصغير في قوله * كان بعيد المهمة نزيه النفس ما جس بيده ديناراً ولا درهما وكان إذا أتى وكيلة بغلاته أمره أن يجعلها تحت بردة له يجلس عليها وإذا أراد اخراج شيء منها دفعه بقضيب في يده وكان إذا سافر ونزل يقوم لم يأكل لهم طعاماً وكانت له بقرات يأمر

بجانبها بين يديه في أثناء جديد فاذا امتلاً شربه أجمع ثم يقوم عليه ثلاثاً لا يأكل طعاماً ولا يشرب شراباً ولا يخرج لبراز وكان وضوءه وضوء طاهر في الموضع الذي يكون فيه * شهد منه ذلك جماعة ممن صحبه واستفاض ذلك عنه حتى صار كالعيان وكانت له أخلاق في لباسه وركوبه تخرج عن طبع البشر حجزه سراويله في جنبه وركوبه فرسه من بين يديه وكان له فرس أشقر لم يكن بالمغرب قبله ولا بعده به يضرب المثل الى اليوم اه *

* (ممزوج) ولما وصلهم ودخل المدينة عقدوا له الولاية ورجعت اليه جماعة من لواتة وعاد أهل المدينة في نشاط الى الحرب مؤملين الفوز (وما علموا ان بيعة أبي حاتم (الامام حقاً) لم تبرح من رقابهم *

﴿ حرب الامام مع عمه يعقوب ﴾

* (ممزوج) وعندئذ تجددت الحرب بين الامام أبي حاتم وبين عمه يعقوب أياماً ثم ضعفت وسكنت بعض السكون الى ان تحرك الامام زاحفاً بمن معه الى المدينة من جهة والرجل الموسوم (بوانودي) ومن معه أيضاً من جهة أخرى فأمر يعقوب بأبواب المدينة فأغلقت وترك واحداً وقف عليه بنفسه مع من كان معه ودارت الحرب بين الفريقين الى أن حضر وقت الظهر ونودي في الصفوف بالآذان (ولعمري ان هذا من أهل المدينة لمن العث فما يغنيهم عند الله شدة هذا الاحتياط بمراقبة وقت القريضة في لجة العصيان والنفاق) ثم اشتغلوا بالصلاة فتبدلت نية (وانودي) ومن معه اذ رأوا ذلك وندموا على قدومهم للحرب وتنحوا الى جهة ولما قضيت الصلاة دار الامام أبو حاتم بفرقة ممن في عسكره من المعجم الى الجهة الشرقية وترك العسكر بحاله واجياً أن يصيب غفلة من أحد الأبواب فيدخل المدينة ولما قصد الباب وكان عامراً

بالرجال فتحوه وحملوا عليهم حملة رجل واحد فتولى منهزماً وانصرف
 (وانودي) بمن معه تاركاً للقتال فضعفت الحرب بعد ذلك وطمع الناس
 في العافية واشتأقت أرواحهم الى الصلح وأذعنوا للراحة *
 — عقد صلح بين الامام وعمره —

(مزوج) ويذم الناس في ذلك يترقبون من أهل الخير والاصلاح السعي في
 كف هذه الفتن وايقاف سيرها اذ قدم ذلك الرجل الشهير في قومه
 صاحب الرياسة والتقدم والقدر الجليل أبو يعقوب المزاتي بجميع جموع مزاته
 أولئك الاغنياء أولو الثروة الواسعة والعدد الوافر أهل الحرث في بطون
 الأودية والنسل من حمر النعم والبقر والغنم في بساطط الارض وجبالها الذين
 امتلأ بأموالهم واسع بيت مال المسلمين بما يؤدونه مما وجب عليهم من
 الحقوق الشرعية حتى قال فيهم الامام عبد الوهاب رضي الله عنه ما قام هذا
 الدين الا بسيف نفوسة وأموال مزاته ونزل حول المدينة فتقدم اليه
 رؤساء القبائل وأهل الفضل ممن يسمى في اصلاح ذات البين وشكوا له
 ما حل بالناس بسبب تلك الفتن من قطع السبل وفراغ الأيدي وهلاك الحرث
 والنسل واهراق الدماء وارتكاب الفواحش والمجاهرة بمعاصي الله وكلفوه
 بالدخول بين الفريقين بجمل هدنة الى مدة معلومة يتعامل فيها الناس وتمتد
 الخطا مع العافية والأمن وتتعارف الناس وربما بذلك تلين القلوب وتخسّم
 العداوة ويعقد صلح ينقطع معه الفساد فأجاب وجد في السعي في ذلك ورغب
 وصرف عنايته الى أن رضي الطرفان فطلب من كل أن يقدم اليه من يختاره
 ويأمنه لعقد الهدنة فقدم الامام أبو حاتم مكنوداً وابن أبي عياض اللواتيين
 وقدم يعقوب ذلك العلامة الجليل الشيخ عبد الله بن الامطي المذكور آنفاً

وبرزوا للاجتماع وسلموا الأمر لمتولي العقد فاتفقوا على رفع يد الامام أبي حاتم ويد يعقوب عن النظر في الأمور مدة أربعة أشهر يسود فيها الأمن وتنطلق السبل وتخالط الناس الى أن يأذن الله في ملكه بما يشاء فقبل الفريقان ذلك وانقطعت الحركة ووجد الناس حلاوة الطمأنينة ورجوا العافية ولم يبرح الامام في اثناء ذلك عن استمالة وجوه المدينة وشبانها بجميع أنواع السياسة من حسن الملاطفة والاكرام ومواصلة المتقطعين بصلات البر سرّاً وعلانية الى أن أطبقوا على ولايته والرضاء به جميعاً الا من نذر ممن استحب العمى على الهدى ورغب في الفتنة لنهب أموال الناس بالباطل * وأبو يعقوب الزاقي في ذلك كله لم يلو العنان عن الجد في حصول الصالح واتمام عقدة الاتحاد وشد عرى الاجتماع وكان في المدينة رجالان يسمى أحدهما بأحمد والآخر بمحمد ويعرفان بابني دبوس لهما من عظيم الجاه ونفوذا القول والشهرة بالشجاعة وشدة الأقدام وكثرة الاتباع لدى الخاصة والعامة حفظ وافر لم يكن لغيرهما من الوجوه والاعيان ولهما دار تعرف بالكنيسة

— اجماع أهل المدينة مع عموم المسلمين —

﴿ على خلافة الامام وهروب يعقوب ﴾

« الى طرابلس »

« ممزوج » وبينما الناس ذات يوم في عيد من أعيادهم اذ ابتدأ الرجالان السير من طرف المدينة وامامهما نفر يقولون من أراد العافية فليصعد الى الكنيسة فبادر الناس اليها ولم يتخلف أحد غير يعقوب وشيعته وبعض مشائخ منهم أبو مسعود شيخ المدينة (رئيس البلدية) الا أنه لما رأى الناس كافة ذاهبين أفواجاً أفواجاً الى مجتمعهم صعد معهم ليعلم حقيقة أمرهم ومنتهى غرضهم فوجدهم

قد فوضوا الامر في المسئلة لابني دبوس فانحدر ممتلاء غيظاً لما فهمه من مآل الاجتماع وانقض المجلس ولما جن عليهم الليل ركب محمد وأحمد مع من له علم من أهل الرأي بلباب القضية قاصدين الإمام أبا حاتم ولما بلغ الخبر إلى يعقوب وحزبه تسارعوا إلى خيلهم وخرجوا في ستر من الليل راجعين من حيث أتوا بعد أن كدروا سماء الأمن وحيروا مركز الإمامة نحو أربع سنين كاملة على ما ذكره المراكشي وقصدوا زواغة ملجأ الفارين لقربها من البحر وكونها في الحدود يسهل الوصول منها إلى حيث شاءوا متى وقع عليهم الطاب والبحث وإن كانت قرية من جبل نفوسة أهل الشدة والبأس وحصن الخلافة وسيف الإمامة *

— دخول الإمام أبي حاتم المدينة —

*(بالاجماع من المسلمين) *

« ممزوج »

* وبينما الإمام في قصره بأبي مينة إذ دخل عليه ابنه دبوس ومن معها وقالوا له اركب معنا الساعة ولا تتأخر ولا تنتظر رفيقا واخبروه بالقصة واشقته بالرجلين لأمانتهما خرج معهم ولم يصحب من عسكره ولا من رجاله أحداً ولم ينفلق الصبح الا وهم بباب المدينة واذا بها خوية من يعقوب وزمرته ومن كان على شاكتهم فخرج من بلغه الخبر من الناس إلى ملاقاته من الجماعات وتباشروا وعمهم الطرب جميعاً فدخل المدينة ولا نزاع ولا حرب بعد أن هجرها وحاصرها أربع سنين فقصد دار الإمارة وأتته الوفود وتقدمت الخطباء والشعراء وأرباب الجرائم إلى بابه لطلب العفو والتهنئة ومن بينهم أبو بكر بن حماد الشاعر المشهور المتقدم الذكر القائل لما مثل بين يديه *

(ماذا يدبر ربنا في أمره * سبحانه في أرضه وسماؤه)
 (رد الملوك الى محل قرارهم * مستبشرين بفضله وعطائه)
 (فتبارك الله اللطيف بصنعه * ما أغفل الثقيلين عن نعمائه)
 (رفع السماء بلا عمد بين * والبحر أمسكه على أرجائه)
 (لولاه فاض على العباد بموجه * وعلى الجبال الراسيات بمائه)
 (ان المتوَّج يوسف بن محمد * تزين الدنيا بطول بقاءه)
 (أخذ البلاد بسيفه فاستسلمت * وبعدله وبفضله وسخائه)
 * وهو القائل أيضاً على ما ذكره العلامة البرادي رحمه الله في كتابه
 (الجواهر) *

(ومونسة لي بالعراق تركتها * وغصن شبابي في الفصول نضير)
 (فقالت كما قال النواصي قبلها * عزيز علينا ان نراك تسير)
 (فقلت جفاني يوسف بن محمد * فطال علي الليل وهو قصير)
 (أبا حاتم ما كان ما كان بنضة * ولكن أنت بعد الامور أمور)
 (فأكرهني قوم خشيت عقابهم * فداريتهم والداثرات تدور)
 (وأكرم عفو يوتر الناس بأمره * اذا ما عفا الانسان وهو قدير)
 * فصفح وسامح ووعد وأوعد وأمر المنادي فنادى بالآمان وأعرض عن
 طلب من كان مع عمه وعفا عن الكل * فصفا له الجو وخضعت الرقاب *
 * (قال) ولما دخل أبو حاتم مدينة تاهرت جمع مشائخ البلد أباضيتها
 وغير أباضيتها فاستشارهم فيمن يوليه قضاء المسلمين فقالوا له ان أباك لما دخل
 كدخولك ولي محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ وهو الذي قدمنا ذكره قبل
 هذا ولمحمد ولد يسمى بعبد الله ما هو دون أبيه وأنت عالم بوجهه ودينه كما

نحن عالمون به فقال اشركتم وأحسنتم وولاء القضاء فقال من ترون أن نولي بيت المال فقالوا عبد الرحمن بن صواب النفوسي فقال أصبتم وأحسنتم * من ترون أن نولي الشرطة فقال قوم زكارة قتل ابنه بين يديك وله نصيحة وقال قوم ابراهيم ابن مسكين فازله صلابة في الحق فولاهما جميعاً وكان البلد قد فسد أهله في تلك الحروب واتخذوا المسكر أسواقاً والعلماء اخذوا فلما ولي هذان الرجلان الشرطة قطعاً ذلك في أسرع من طرفة العين وحملوا الناس على ضرب السوط والسجن والقيد وكسرت الخواصي بكل دار عظم قدرها أو صغر وشردت العلماء وأخذتهم في رؤس الجبال وبطون الأودية وحملوا الناس على الواضحة وخاف المنافق وأمن البريء وشردت السراق وقطاع الطرق وأمنت السبل ومشى الناس بعضهم إلى بعض ولم ينقموا على أبي حاتم شيئاً اهـ هذا كله بالنظر إلى تهرت وما حولها من الولايات وأما جهة طرابلس وجبال نفوسة وما يليها فأنها لم تكتسب راحة منذ ولي هذا الامام وكثرت فيها الفتن والحروب حتى أنهم لم يتمكن من اعانة الامام بشيء في حروبه هذه وسنأتي ببيان ذلك ان شاء الله

✽ خبر أبي منصور رحمه الله ✽

✽ مع الطيب بن خلف ✽

* تقدم ان الامام أبا حاتم رضي الله عنه جدد الولاية لأبي منصور الياس على جبل نفوسة لما آل إليه الأمر * وفي صدر مدة هذا الامام على حسب التقريب ان لم نقل في آخر أيام والده تحرك ابن خلف الذي تقدم ذكره ساعياً في احياء سيرة أبيه وتجديد الخلاف والخروج من الطاعة فصدر أمر الامام إلى أبي منصور بالمبادرة اليه والقبض عليه قبل استفحال أمره وكان قد هرب إلى زواغة وهم في جموع كثيرة وكلهم على رأي أبيه فقصدهم أبو منصور

بمساكره ونزل قريبا منهم وكلمهم في شأنه فتحزبوا وأبوا أن يسلموه واتفقوا
 على حمايته والمدافعة عنه وكان في بني يهراسن شيخ كبير صاحب رأي وادراك
 رأى انهم لا طاقة لهم على مناصبة أبي منصور الحرب فجمع القوم وقال لهم
 يا معشر زواغة اقترح عليكم ثلاثة أمور ان اخترتم منها واحداً أصبتم والا
 فصيركم الى الذل * اما ان تتركوا حوزة طرابلس وتدخلوا الى جزيرة جربة
 لتحصنوا فيها وتمنعوا صاحبكم * واما ان ترسلوا الى تهرت رسلاً بكتاب
 من عندكم تطلبون فيه من الامام أن يخصصكم بمامل مستقل عن جبل نفوسة
 حتى لا تدخلوا تحت أحكامهم وسيطرتهم * واما ان تسلموا لي صاحبكم (ابن
 خلف) لأسلمه النفوسة بالآمان وأنا أضمن لكم سلامته وأنهم لا يتجاوزون
 فيه الحق * فلم يمجبه قولهم وأجابوه بكلام غليظ أغضبه فقام وتركهم * ولما
 وصلهم أبو منصور بمنوده دعاهم الى الانقياد والطاعة فأبوا فناجزهم الحرب
 وكان بين الفريقين قتال شديد انهزمت على أثره زواغة وكان القتال قريباً
 من أرض ذات غرس جديد ومن عادتهم ان يحوطوا الغرس أو الجنان
 بحائط أو حبال توصل بين أعمدة مفروزة في الأرض محافظة عليه من
 الوحوش والحيوانات فصدت تلك الحبال زواغة عن الهروب وحبسها
 حتى أخذ منها أبو منصور غرضه من القتل ثم رجع عنهم فدخلوا الى جزيرة
 جربة وتحصنوا فيها والتجأ ابن خلف الى رجل من وجوه زواغة هناك
 فأدخله في قصر من قصور الجزيرة وظنوا انهم قد نجوا * ثم لما استراح أبو
 منصور مدة واكتشف حقيقة حالهم وخبرهم في الجزيرة جدد الهوض اليهم
 فسار في عسكر جرار الى أن قرب من الجزيرة ثم فكر في الأمر فرأى أن
 الدرهم والدينار يفعلان مالا يفعله الرمح والسنان * ويمهدان من الطرق مالا

تمهده الفرسان * ويذلان من الصعوبات مالا تذللته السيوف عند الطعان *
فأرسل مع رجل من بني يهراسن مائة دينار الى الزواغي الذي عنده ابن خالف
هدية ولما وصله وسلمها له وهو في بني معقل من زناتة صار يسأله عن أبي منصور
وأحواله ويقول له لو أتيت إلينا في أولادنا لدفعناهم لك * فعاد الرسول
الى أبي منصور وأخبره فطوى أبو منصور المراحل في أقرب وقت وكان له
طبل يأمر بضربه اذا حان وقت الصلاة فيقف أول العسكر وآخره فيصلي
بهم ركعتي السفر ويأمر بضربه للرحيل وجد السير حتى دخل جربة بلا حرب
ولا قتال فتوجه الزواغي الى ابن خالف وهو في قصره وقال له انزل يا أيها الأمير
فقد أرملت كثيراً من نساء زواغة قال أبو زكرياء فقال له ولد خلف ليتكم لم
تسموني أميراً يا مشومات بالبربرية فأنتم لأنهم رجل عربي لا يحسن البربرية
أه فتزل ودفنوه الى أبي منصور فقيده ومضى به الى الجبل فحبسه فكان في
سجنه الى أن وجب حد السرقة على رجل أقيم عليه الحد قبل ذلك فاختلوا
في محل قطع الرجل منه فوجهوا اليه السؤال فأجاب بأنها تقطع مما دون العقب
وقال سجنوني وأتوا يتعلمون مني العلم فأطلق أبو منصور سبيله بعد أن أظهر
التوبة وتحسنت أحواله بعد ذلك ورجع الى الحق فيما قيل وكانوا يلقبونه
بالطيب بن الخيث بن الطيب والله أعلم * وانما كان أبو منصور يضرب الطبل
عند دخول وقت الصلاة لأن النداء أو الآذان لا يكفي لايقاف تلك
الجيوش المنتشرة الكثيرة الممتدة مع الطريق ولا بد من أنهم يؤذنون قبل
اقامة الصلاة * فالطبل علامة على الأمر بالوقوف لا على الصلاة * ولعل اختلافهم
في مسألة قص الرجل كان لقصد امتحان الطيب وجعله وسيلة الى اظهاره
من السجن * والا فكيف يختلفون في مثل هذه المسئلة وهم في عصر كان الجبل

فيه مملوءاً بفحول العلماء والله أعلم *

— (ولاية العلامة أفلح بن العباس رحمه الله) —

« على جبل نفوسة وواقعة (مانو) »

* ولما توفي أبو منصور رحمه الله كتبت نفوسة الى الامام بذلك فولى عليهم العلامة أفلح وفي مدته كانت واقعة (مانو) التي قل فيها حدسيوف نفوسة وفنيت فيها أبطالهم وأبقت فيهم ثلثة عظيمة وهي المصيبة الكبرى التي تضعع بها ركن الامامة بتيهت اذ كانوا حصنها المنيع وسيفها البتار ودرعها المتين * ولما ضعفوا أخذت في التقهر بطمع الأعداء فيها وتسليطهم عليها حتى اضمحل أمرها كما سيأتي بيانه *

* وتفصيل هذه الحادثة الشنيعة هو كما ذكره المؤرخون كلهم منهم الشماخي رحمه الله حيث قال وكان ابراهيم بن أحمد من بني الأغلب والي بني العباس على أفريقية ظالماً جائراً فقدم طرابلس ولعله أفسد فاجتمع رأيهم أكثر نفوسة على ملاقاته فأبى لهم أميرهم أفلح بن العباس وسعد بن أبي يونس عامل قنطرة (تيجي) ومعبد الجناوني وعزم من رغب في الجهاد واظهار المعروف ودين الله لتكون كلمة الله هي العليا * قال ابن الرقيق وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين تحرك ابراهيم بن أحمد يريد محاربة ابن طيلون وامر بالحشد فلما اجتمع له ما يريد خرج من تونس لعشر خلون من المحرم فأقام برقادة الى سبع بقين من صفر ثم خرج بجميع من معه فاعترضته أهل نفوسة في جمع عظيم وذلك في النصف من ربيع الأول فكان بينهم قتال عظيم فقتل من جنده جماعة من الرؤساء وغيرهم ثم انهزم أهل نفوسة وكان في أيام المعتضد فتبعهم وقتلهم قتلاً ذريعاً وتطارح منهم في البحر بشر كثير وقتلهم فيه حتى

غلبت حمرة الدم على الماء اه هذا ما ذكره صاحب السير رحمه الله نقلاً عن
 ابن الرقيق ولا سبب فيه ولا داعي الى حمل نفوسة على المعارضة والوقوع في
 هذه المصيبة مع انهم أعانوا بني الاغلب قبل ذلك على ابن طولون كما تقدم *
 والذي أراه مناسباً وان كان قابلاً للنقض هو ما قاله العلامة أبو زكرياء رحمه
 الله من أن الجند كان قادمين من المشرق وسببه هو أن أخبار نفوسة وقوتهم
 قد تواترت عند بني العباس ملوك الشرق ولا زالت الرسائل تتوجه اليهم من
 القيروان وطرابلس فيقيدهم بأن دولة بني رستم بتيهرت لم تقم إلا بنفوسة وكان
 ذلك في عهد المتوكل ببغداد فأتقذ الى المغرب جيشاً وقدم عليه ابراهيم بن
 الاغلب ولما وصل طرابلس اجتمعت نفوسة على منعه من الجواز خوفاً من أن
 يكون قاصداً تيهرت دار امامتهم فأرسل اليهم يستأذنهم في الجواز فأجابوه بالمنع
 فطلب أن يتركوا له مقدار طول عمامة على ساحل البحر ليمر فيه فأبوا فلما رأى
 عندهم أمر عسكره بأخذ الحذر وقال لهم اتخذوا طريقاً على ساحل البحر فان
 تركونا كان المراد وان تعرضوا لنا قاتلناهم ولما بلغ الخبر الى نفوسة قال بعضهم
 دعوا الرجل ولا تتعرضوا له وأبى بعضهم الا ملاقاته * ومن كره ذلك العلامة سعد
 ابن أبي يونس فقال له بعضهم عن عليك شداخ قنطرة (صنف من ثمرها) وكرهت
 الموت ولذلك تعرضت فقال خفت أن تذبح البقرة فيتبعها العجل يعني بالبقرة
 نفوسة وبالعجل قنطرة * ومن وافقه على رأيه العلامة معبد الجناوني وأميرهم
 أفلح ثم كانت الغلبة للرأي العام فلا قوه بموضع يقال له (مانو) وهو قصر
 قديم بين قابس وطرابلس واقتلوا قتالا لم يعهد مثله قبله فيما قيل وكان فيهم
 رجل من شجعانهم ما برز له أحد الا قتله فخرج اليه أفلح بنفسه * وكان
 صاحب البند (أي العلم الكبير) العلامة شيبه الدجي فأمره أفلح بأن يشبهه

في الارض فأبى فأمره ثانيا فأبى ثم أمره ثالثا وكأنه أضمر في نفسه للمشائخ
 الذين ألزموه بالحرب ما أضمر من الشر فقال له حملته مع ابيك وجدك ولم
 يأمراني بذلك وسأحفر له حفر الله لك ثم حفر له في الارض وركزه فانصرف
 أفلح وحام العسكر حول البند لا يولون الأديار والحرب قائمة ولما رأى بعض
 أهل البصائر ما حل بالعسكر من الفناء صرع البند ففرقوا وقد مات منهم اثنا
 عشر ألفا أربعة آلاف منها من نفوسة والباقي من غيرها وأربعمائة عالم فيهم من
 المشاهير العظام والعلماء الكرام أبو ميمون وعمروس وماطوس وشبيه وميال
 ومعيد وجنا التبرغتي وقد كان شرع في بناء مسجد بتبرغت ببلده فجاءه الامر فوجه
 قبل أن يتمه وهو باق الى الآن لاسقف له وسواريه من الحجر الصلد واقفة كما
 نصبت في ذلك الوقت ثم زحف ابن الأغلب الى قنطرة (مدينة تيجي)
 فنزل عليها بغتة بعد طلوع الفجر وحاصرها حتى ساءوا فقتل من قتل وأخذ منها
 ثمانين عالما وارتمل الى جمة نفاوة وكان بها من العلماء المشهورين العلامة
 أبو بكر يوسف النفوسي فوجه اليه رسله ولما وافته سألهم أن يمهلوه حتى
 يصلي ركعتين فلما صلاهما أخذ في الدعاء سائلا ربه أن يصرفهم عنه فبعث الله
 ريحا عاصفا شتتهم وحالت بينه وبينهم وكان ضريرا فأخذ ابنه يوسف بيده
 وذهب فلم يدركوا له أثرا فمطف ابن الأغلب بالأسارى الى القيروان
 ومنهم العلامة ابن يتوب وكان مقطوع العرقوب ولما أرادوا وضع القيد فيه
 مد لهم الرجل المقطوعة ثم استأذن أصحابه في الهروب فأذنوا له فهرب * ولما
 بلغ ابن الأغلب خبره أمر بقتل الباقيين فقتلوا عن آخرهم رحمهم الله * ومن أخذ
 أسيرا عمروس رحمه الله وكان على فرس سابق يزدود عن العسكر ويحمي
 الاطراف ولما أعياهم أمره نسجوا له شبكة من حبال في طريقه فثر فيها

جواده فأخذوه الى ابراهيم فقال له سلني العفو عنك لا ترك سبيلك فقال له
ذلك بيد الله لا بيدك * وتلك كلمة لا أقولها أبداً حتى ألحق بالله وإنما سألتك
أن لا تكشف عورتني * فقرضوه بمقراض من خديده * ولما بلغوا المرفقين فاضت
روحه رحمه الله تعالى * ولعن ابن الاغلب العنيد * ومن الأسارى
أخت عمروس تلك العاملة الجليلة وبعض نسوة كن خرجن مع العسكر في أول
الأمر ولما خافت أخت عمروس على نفسها وعلى من معها الفساد من فساق
بني الاغلب أمرتهن أن تستخلف كل واحدة منهن على نفسها من زوجها
ممن يريد بها سوءاً * ثم ان نفوسة رجعوا الى الجبل وتحصنوا فيه واجتمع
أهل الرأي منهم واتفقوا على عزل أفلح فمزلوه وولوا ابن عم له ولما بلغه الخبر
غضب لذلك ونوى الشقاق والفتنة * ولما سمع أبو معروف بذلك وهو ممن
كره عزله خوفاً من الاختلاف بادر اليه وحذره الشر ونهاه عما كان يقصده
وأمره بالصبر والسكون فامثل أمره * ثم ان ابن عمه لم يحسن القيام بأمور
الناس فمزلوه بعد ثلاثة أشهر وولوا أفلح * وقد ذكر المراكشي الحكاية
في تاريخه وبين ان نفوسة كانوا في عشرين ألف مقاتل * ولا أظنهم الا أكثر
من ذلك بأضعاف حسبما تقتضيه كثرتهم ومعارضتهم * ثم قال ولما قتل أكثرهم
تمادى الى طرابلس فقتل بها أبا العباس أحمد بن زيادة الله بن الاغلب وكان
أديباً ظريفاً له تواليف * وسبب قتله ان المعتضد بالله العباسي كتب الى ابراهيم
ابن أحمد يعنفه على سوء فعله بأهل تونس ويقول له ان انتهيت عن أخلاقك
هذه والا فسلم العمل الذي بيدك لابن عمك محمد بن زيادة الله ثم نهض من
طرابلس الى تاورغا فقتل بها خمسة عشر رجلاً وأمر بطبخ رؤسهم وأظهر
انه يريد أكلها هو ومن معه من رجاله فارتاع أهل العسكر منه وقالوا قد

خولط فاقض الناس عنه فلما رأى ذلك خشي أن يبقى وحده فرجع إلى تونس
فجعل عقوبة من انقض عنه غرم ثلاثين ديناراً فسمي غرم الهاريين اه قليتأمل
فانه مبين لما قلناه أولاً اعتماداً على كلام أبي زكرياء رحمه الله والله أعلم
بالحقيقة *

❦ واقعة أخرى لابن الأغلب ❦

❦ مع نفوسة ❦

* وبعد مضي سنة على محاربة (مانو) حدثته نفسه الخبيثة بالعود إلى نفوسة
وتجديد الحرب معهم مادام جرح الأولى جديداً فأرسل ابنه أبا العباس
بمسكر في رجب من سنة أربع وثمانين ومائتين إلى حين نفوسة فقتل من
من وجده في الأطراف واستباح النساء وأتى إلى والده إبراهيم بجماعة منهم
أسارى فأمر بقتلهم * ذكر الشماخي رحمه الله أنه قدم إليه رجل منهم وكان
أحسنهم منظرأ فقال له أظنك معلم القوم وامامهم فقال لست كذلك قال
فما تقول في قال ما أقول إلا أنك فاسق ظالم سفاك لدماء المسلمين أبعدك الله
فغضب وقال له والله لا أقتلك قتلة لم أقتل بها أحداً من أصحابك فقال له
إن كان الأمر بيدك ستفعل ماقلت وإن كان بيد الله فهو أقوى فزاده غيظاً
وقال ومن ذا الذي يمنعك مني * ثم سمع الأذان فقام ليصلي بأصحابه فأتى الله
في قلبه اللطف به فتركه وتحقق أن الأمر بيد الله واستأصل من قدر عليه
من أهل قنطرة فصيح ماخاف منه العلامة سعد حتى قال ما سبق ذكره * وقد
ذكر هذه الواقعة المراكشي أيضاً ولما فيها من زيادة على ما ذكرناه تأتي
بكلامه ❦ قال ❦ وفي سنة ٢٨٤ كانت وقعة نفوسة لأبي العباس
ابن إبراهيم فقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر منهم نحو ثلاثمائة فلما وصل بهم

الى والده ابراهيم بن أحمد دعا بهم فقرب اليه شيخ منهم فقال له ابراهيم
أعرف علياً ابن أبي طالب (يشير الى مسئلة الحكمين والنهر وان) فقال له
لعنك الله يا ابراهيم على ظلمك وقتلك * فذبحه ابراهيم وشق عن قلبه وأخرجه
بيده وأمر أن يفعل ببقية الأسرى كذلك حتى أتى على آخرهم ونظمت
قلوبهم في حبال ونصبت على باب تونس اه فانظر أيها القاري الى هذا التمثيل
الشنيع * والفعل الفظيع * الذي لا يصدر من الوحوش الخسيسة فضلاً عن يدعي
التوحيد * فقبح الله الاستبداد وأربابه ولعن كل جبار عنيد *

وقد ابتلى الله ابن الأغلب بعد واقعة (مانو) بفساد العقل فارتكب افعالاً
لا تصدر من المجانين اذ شرع في قتل رجاله وأولاده وبناته ونسائه وكتابه
وحجابه حتى أنه قتل ثلاثمائة خادم من خدامه لأجل خادم واحد رفع منديلاً
سقط من إحدى جواربه وقتل ابنه المسكن بأبي الأغلب صبراً بين يديه وثمانية
اخوة كانوا من رجاله وست عشرة بنتاً في يوم واحد * قال الشماخي رحمه الله *
قال ابن الرقيق وأتى بأمور لم يأت بها أحد قبله ولم يتقدمه الى مثلها ملك واتخذ
الأحداث حتى جمع أربعاً وستين حدثاً وجعل لكل واحد منهم فراشا ومرقداً
ولحافاً وبلغه عن بعضهم أمر فقتلهم جميعاً * منهم من ضرب بعمود حديد فطار
دماغه وكان يحرق منهم كل يوم خمسة أو ستة حتى أتى على آخرهم * وادخل بعضهم
الحمام فسد عليهم وماتوا من حينهم وقتل ندماءه وطيبه وقتل كتابه وحجابه
وسجن بعض كتابه واستعطفه على نفسه ومن جملة كلامه ان الملوك اذا ما
استرحموا رحموا فأجابه * بأن الملوك اذا ما استرحموا قتلوا * فقتله * وأجلاه
وابل المطر الى مسجد قرية فسقط بعضه وخشي من سقوط الباقي عليه وعلى
أصحابه فخرجوا ووقفوا في المطر فأبصرهم فتى فأنزلهم وأحسن بما قدر وباتوا

بأحسن مييت وكان زمان التين فأدخلهم بستاناً له وأطعمهم ما أرادوا فأمس به
 فضرب ضرباً وجيعاً وكانت له عبيد صقالبة فرمى بعضهم من أعلى القصر وبعضهم
 أدخلهم بيتاً وبنى عليهم ليموتوا جوعاً فوجدوا في البيت سيفاً فقتلهم واحد منهم ثم
 قتل نفسه فحزن عليهم اذ لم يموتوا جوعاً وقاتل صاحب الديوان وشريكه لا
 لأمر عظيم بأن قطع يدي أحدهما ورجليه وحمل رأسه إلى صاحبه فقال
 له ان لك خدمة وقديم صحبة ولا تقتلك قتلة مريجة فقال ماخنت لك عهداً
 منذ توليت فأمس بضرب عنقه وقتل ابنه أبا عقال اذ قال لأخيه ان أبي زال
 عقله وقاتل جوازه وبناته فمن من خنق ومن من بنى عليها حتى ماتت
 جوعاً وله أفعال غير هذه واضطرب أمره ثم أظهر التوبة وأراد الحج ثم
 رجع غازياً إلى صقلية فمات طريداً ماعوناً ولم تبق أيامهم بعد ذلك الا قليلاً
 حتى أباد الله ملكهم وأهلكهم وأزال الأمر من أيديهم الخ اه المراد منه وهذه
 الاخبار مذكورة عنه في اكثر التواريخ بل فيها اكثر من هذا والله أعلم *
 وقع هذا كله بجهات نفوسة والامام بتيهرت لم يتوصل الى اعانتهم لبعده
 المسافة وخوف ايقاظ الفتنة بتلك الجهات أيضاً الا أن العدل عنده سائد
 والأمن عام في الرعية *

— (أحوال أرباب المذاهب بتيهرت وخطب الجمعة) —

*(في مدة هذا الامام)

* المشهور أن لهؤلاء الاثمة كلهم دواوين خطب للجمع والاعياد
 اذ كانوا يخطبون بأنفسهم ولا يعيدون خطبة خطبوا بها قط * وكلما بحثنا لم نعثر
 على شيء منها وقد تعرض ابن الصغير لشيء قليل من هذا الأمر حيث (قال) *
 ولم ينقموا على أبي حاتم شيئاً ثم نقموا عليه بعد ذلك أشياء أخذها ناساً بالهمة

وضربه بالسوط على الظنة الا ان البلد وقضاته وأصحاب بيت امواله
 واصحاب شرطته ومن بالبلد من فقهاء الاباضية وغيرهم من الكوفيين
 والمدنيين لم يطالب بعضهم بعضاً ولا سعى بعضهم ببعض *

وكانت مساجدهم عامرة وجامعهم يجتمعون فيه وخطيبهم لا يذكرون عليه
 شيئاً الا أن الفقهاء تباحثت المسائل فيما بينها وتناظرت واشتهت كل فرقة
 ان تعلم ماخالفتها فيه صاحبها ومن أتى الى حلق الاباضية من غيرهم قربه
 وناظروه ألطف مناظرة وكذلك من أتى من الاباضية الى حلق غيرهم كان
 سبيله كذلك الى أن قال وحضرت لخطبائهم خطباً كثيرة * أولهم ابن أبي
 ادريس * والثاني أحمد التيه * والثالث أبو العباس بن فتحون * والرابع عثمان بن
 الصفار * والخامس أحمد بن منصور وكل من رأيت من خطبائهم على المنابر فليس
 يستعملون في خطبهم الا خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خلا خطبة
 التحكيم فانهم كانوا اذا فرغوا من الخطبة الاولى قاموا الى الخطبة الثانية
 وحكموا وسوف اذكر خطبة التحكيم فيما يلي هذا الكلام * فلم يزالوا كذلك
 الى أن ولي الخطابة رجل منهم يقال له أحمد بن منصور * وسمعت يخطب
 هذه الخطبة ثم يخطب بعدها بخطبة التحكيم فلقيته وما ينته وقت له أن خطبتك
 التي سمعت منك اليوم ليست من خطب اسلافك * فقال لي حملي عليها
 عثمان بن احمد بن بجياج * وكان مقدماً عندهم ولا يكادون يخالفونه فيما
 استحسن لهم فخطبت بها لأنه استحسنها لي *

﴿ والخطبة هي هذه ﴾

﴿ الحمد لله ﴾ الذي ابتداء الخلق بنمائه * وتقدم جميعاً بحسن بلائه
 فوفق كل امرئ منهم في صباه * الى ما يحتاج الله من غذائه * وسخر له

من يكاؤه الى وقت استغناؤه ثم احتج على من بلغ منهم بالآلئه * وأنذرهم
 بأنبيائه * الذي لم يزل بصفاته واسمائه لا يشتمل عليه زمان * ولا يحيط به مكان *
 خلق الأماكن والازمان * ثم استوى الى السماء وهي دخان * فقال لها وللارض
 ايتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقدرها أحسن تقدير * واخترعها من غير
 نظير * لم يرفعها بعمد تدرك بالمعاليه * ولم يستعن عليها بأحد استكباراً عن الشركة
 والماونه * وزينها للناظرين * وجعل فيها رجوماً للشياطين * فتبارك الله أحسن
 الخالقين * تعالى ان تطلق في وصفه آراء المتكلمين * وأن تحكم في دينه أهواء
 المقلدين * بل جعل القرآن اماماً للمتقين * وهدى للمؤمنين * وماجلاً للمتأزمين *
 وحكماً بين المتخالفين * ودعا أولياءه المؤمنين الى اتباع تنزيله * وأمرهم عند التنازع
 في تأويله بالرجوع الى قول رسوله * صلى الله عليه وسلم * بذلك نطق محكم كتابه اذ
 يقول جل ثناؤه * يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر
 منكم * فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون
 بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً * وتعبد نبيته صلى الله عليه
 وسلم عند رجوع الأمة في تأويل ما اشكل عليها اليه * بأن يبين لهم معنى ما انزل
 عليه * فقال * وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه * ولم
 يكلمهم تمل الى القول في دينه بأرائهم * ولا اذن لهم في مسامحة أهوائهم * فتكون
 الأحكام مبتدعه * والآراء مخترعه * والحكام متبعه * بل أحصى كل شيء عدداً *
 وضرب لكل شيء أمداً * ليهلك من هلك عن بينة * ويحيى من حيى عن بينة *
 * وأحمد حمداً يبلغ رضاه * ويحتسب آلاءه * واستعينه على ما استخف ظناً من ودائمه *
 وحفظ ما استودعنا من شرائعه * ونومن به ايماناً من أخلص عبادته * واستشعر
 طاعته * وتوكل عليه توكل من اتقطع اليه ثقة به * ونرغب فيما لديه * واشهد أن

لا اله الا الله وحده لا شريك له . شهادة معترف له بالربوبية والتوحيد . مقرر له بالمعظمة والتمجيد . خائف من انجاز ما قدم له من الوعيد . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اصطفاه لنفسه وليا . وارتضاه خلقه نبيا . فوجده على حفظ ما ضمنه قويا . وبأداء ما استودعه مليا . وبالدعاء الى ربه حفيا . ومتوقفا عند ورود المشكلات . ومشمرّا عند انجلاء الشبهات . لا يرعوي لمن عدله . ولا يلوي على من خذله . ولا يطيع غير من ارسله . يصدع بالامر . ويظفيء نار الكفر . لم تأخذه في الله لومة لائم . ولم ينحرف عنه لزعم زاعم . ارسله على حين فقرة من الرسل . ودروس من السبل . وتضامن من أهل الملل . والناس فريقان عالم مستكبر . وجاهل مستظير . فالعالم الذي قد سبق له الخذلان ينزغة الشيطان . ويجمع به الطغيان . فيستنكف عن الدخول في الايمان * والجاهل متسكع في غيه متحير في أمره . ينتظر ما يكون من غيره . فلم يزالا يعكفان على الألام . ويعتصمان بالأصنام . والرسول عليه السلام . يرعاهم رعي السوام . ويدعوهم الى دار السلام . فلم يزل عليه السلام يعظمهم بالآيات . ويقرعهم بالمعجزات . حتى استقام من احب الله توفيقه من سائر أهل الديانات . فبلغ المحكمات . وأوضح المشكلات . وزجر عن القول في الدين بالشهوات . فخم الله به النبيين وأكمل به الدين . وأوجب به الحجة على العالمين . صلى الله عليه وعلى آله الطيبين . واخوانه المرسلين وأوليائه من المؤمنين . ثم جلس ثم قام فقال .

﴿ خطبة التحكيم ﴾

﴿ الحمد لله ﴾ الذي نستعينه ونستغفره ونؤمن به ونستهديه ونستأنصره . ونبرأ من الحول والقوة اليه . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له . ونشهد أن لا اله

الا الله وحده لا شريك له . وأن محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق
 ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . الله ربنا ومحمد نبيتنا والاسلام ديننا .
 والكعبة قبلتنا . والقرآن امامنا . رضينا بحلاله حلالا . وبمحرامه حراما . لا نبتغي به
 بدلا . ولا عنه حولا . ولا نشترى به ثمنا . لاحكم الا الله اتباعا لكلام الله وسنة
 نبيه صلى الله عليه وسلم وخلافا لأهل البدع . لاحكم الا الله خلعا ونبذا وفراقا
 لجميع أعداء الله . لاحكم الا الله ولو كره الجبارون الحاكمون بغير ما أنزل الله .
 وأشهد أن من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون
 اللهم صل على محمد وعلي آل محمد وارحم محمدا وآل محمد وبارك على محمد وآل
 محمد كما صليت ورحمت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد
 مجيد . اللهم صل على العصبتين المباركتين من المهاجرين والأنصار والتابعين
 لهم باحسان . اللهم وارحم الشراة في سبيلك أهل الفضل في الاسلام . اللهم
 أرض وصل على الخليفتين المباركتين بعد نبيك . أبي بكر وعمر امامي الهدى
 بما عملاه من كتابك . وما أثراه من نبيك . اللهم وأصلح الأمير يوسف بن
 محمداً صلحه وأصلح على يديه . ووقفه للخير وأعنه عليه . وافتح له من عندك
 أعوانا وأنصارا على طاعتك . اللهم اعزز به الاسلام وأهله . واذلل به الكفر
 وأهله . وانصره نصراً عزيزاً . وافتح له فتحة يسيراً . وهب له من لدنك سلطانا
 نصيراً . كفي بك وليا وكفي بك نصيراً . اللهم اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
 بالإيمان . ربنا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم . ثم
 قرأ قل هو الله أحد ثم نزل اهـ *

* الى هنا انتهى ما وقفنا عليه من كلام العلامة ابن الصغير المؤرخ
 المالكي في أئمة بني رستم ومدينة (تيهت) دارا امامتهم وهو كلام لم يجسد به

أحد من المؤرخين منا ومن غيرنا لا قبله ولا بعده والله أعلم *

❦ وفاة هذا الامام ❦

❦ وعدد مدته ❦

* ثم ان الله سبحانه وتعالى قضى على هذه الدواة بالانتهاء وحكم بخراب ملك هذه العائلة كما قضى على من قبلها ومن بعدها من الملوك والسلاطين والخلفاء تصديقا لقوله تعالى وهو اصدق القائلين ❦ كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون * وقوله يعز من يشاء ويذل من يشاء ❦ فتغلب الشيطان على عقول أبناء أبي اليقظان أخي الامام وصور لهم انهم احق بالامامة من عمهم * ولعلمهم بأن الرعية كلها راضية به وبأحكامه وانهم لا يمكنهم الوصول الى عزله وخلعه ولا الى اثارة فتنة يكتسبون بها استقلالاً ولو ببعض الجهات أجمعوا على الغدر به ظناً منهم انهم لا ينازعون بعده في شيء فهاجموا عليه وقتلوه على حين غفلة وانصبوا مكانه باتفاق مع من شايعهم واحدا منهم وهو اليقظان وذلك سنة أربع وتسعين ومائتين ٢٩٤ بعد أربعة عشر عاماً من يوم ولايته ذاق فيها الحلو والمر ثم ختم له بالشهادة فرحمه الله ورضي عنه * فأقام اليقظان في الامارة سنتين مهداً للجوانب مضطرب الأحوال لما كان في ذلك العهد من استفحال أمر عبيد الله الشيعي وظهور دعوته في المغرب وملكه الذي به انقرض ما كان بالمغرب ومصر من الممالك والامارات * وممن سعى في تقديم اليقظان وتسليم أمر الامامة له العلامة أبو الخطاب وسيل بن سنتين الزواغي الذي أثنى عليه صاحب الطبقات وقال * مذكور فيمن أفنى بدنه في العبادة وماله في الصدقة موسوم بسمة الصلاح معدود في ديوان علماء وقته النخ *

* وعلى هذا فاليقظان في رضائه ولعله غير داخل مع اخوته في مسئلة قتل الامام أو لم يصح عنده اتفاهه معهم ولذلك لما عاتبته نفوسة الجبل على بعض أمور منها التزامه الامر لليقظان قال الحمد لله الذي جعل لي اخوانا يعاتبونني على ما بلغهم مني من التقصير قبل يوم القيامة * ثم قال انما التزمت الامر لليقظان احتساباً لله لا لليقظان *

✽ انقراض ملك بني رستم من تهرت ✽

✽ واستيلاء الشيعة عليها ✽

* لا ملك الا ملك الله * ولا حول ولا قوة الا بالله * كان عبيد الله الشيعي رجلاً من المشرق على مذهب الشيعة يتسبب الى فاطمة الزهراء رضي الله عنها قدم الى المغرب يطلب الملك فيه لرؤيا رآها في نومه وقد صدقت الرؤيا ونال الملك وقهر الملوك وطغى وتجبز وآل ملكه بعد الى الاضمحلال كغيره والله أعلم *

* ذكر كل المؤرخين ان زوال ملك بني رستم كان على يد الشيعي الا أنهم لم يذكروا خبره بالتفصيل وغاية ما قالوه ان للشيعي مع بني رستم في تهرت خبراً طويلاً والذي ذكره أبو زكرياء رحمه الله ان للامام أبي حاتم بنتاً اسمها (دوسرا) ولعبيد الله الشيعي مولى اسمه الحجاني (أبو عبد الله) أرسله الى قبيلة كتامة فأقام فيها الى أن ظهر أمره وملك سجلماسة فأرسل اليه بالقدوم * وكانت (دوسرا) توجهت اليه مع أخ لها الماقتل والدها الامام وأخبرته بما وقع ووعده بالتزوجه ان أخذ لها ثراً أيها فلم يجبه بشي * ولما دعاه عبيد الله الى سجلماسة مر بالقرب من تهرت فخرج اليه من فيها من وجوه فرق الشيعة والواصلية والصفرية والمالكية وقدموا له الشكاية في اليقظان ووعده بالاعانة بالمال

والرجال ورغبوه في استيصال هذه العائلة كلها وانتزاع الأمر من أيديهم * ولا رجال ولا عسكر لليقظان ولا قوة له لا دبار الناس عنه بما وقع من قتل الامام فأرسل اليه الحجابي رسلا يطلب منه الاجتماع به فخرج اليه ومعه بنوه واخوته وأتباعه ولاقاه على أميال من تهرت ولما اجتمع به قال له (متجاهلا) ما اسمك فقال له اسمي * اليقظان * فقال الحجابي بل أنت الحيران * ما بالكم قتلتم أميركم * وسلبتم من أنفسكم ملككم . وأطفيتم نور الاسلام والقيم اليها بأيديكم بغير قتال ولا حصار * ثم أمر بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وذلك في شوال سنة ٢٩٦ ولما سمعت دوسرا بنت الامام بذلك هربت خوفاً من ان يطلبها الحجابي لاتزوج بها كما وعدته ثم ات الحجابي دخل تهرت ونهبها واستباحها وقصد المكتبة المعروفة بالمصومة وأخذ ما فيها من الكتب الرياضية والصنائع وغيرها من الفنون الدنيوية وأحرق الباقي كله ومن هناك فقدت أغلب مؤلفات المذهب اذ كانت المكتبة عظيمة جامعة * وطلب (دوسرا) بكل جهد فلم يقف لها على أثر *

✽ خبر العلامة يعقوب بن أفلق ✽

﴿ رحمه الله ﴾

* ذكر أبو زكرياء رحمه الله ان يعقوب رحمه الله لما بلغه مجيء الحجابي الى (تهرت) خرج منها في خيل من أصحابه وأقاربه وأهله قاصداً مدينة (وارجلان) ولما سمع به الحجابي أرسل في أثره عسكراً وكان يعقوب على جواد عظيم الشأن يضرب به المثل في المغرب كله ولما لحقه العسكر اعترضهم في الطريق وصدمهم عن الاتصال به وبين معه وكلاً رآهم سائرين نحوه أمر من معه بالمسير ووقف هو في الطريق فاذا رآه العسكر واقفاً ينتظرهم وقفوا

في مكانهم رعباً منه لما كان له من الهيبة والشدة . ولما أعيام أمره ولم يقدرُوا
 له على شيء رجعوا وتركوه لحاله فنظر إلى الطالع في السماء ثم قال لأصحابه افترقوا
 فقد انقضت أيامكم وزال ملككم فلا يعود اليكم إلى يوم القيامة وما اجتمع منكم
 ثلاثة إلا وقع عليهم الطالب ففترقوا وأقبل هو بمن معه على وارجلان وذلك
 على عهد العلامة أبي صالح جنون بن يمران رحمه الله فلتقاه أبو صالح في جموع
 وارجلان لما بلغت وصوله وأدخلوه وأكرموه وأحسنوا القيام به ثم طلبوه
 أن يولوه الإمامة هناك فامتنع وقال لا يستر الجبل بالغنم فأرسلها مثلاً ومكث
 فيهم زمناً طويلاً ثم توفي ودفن في مقبرة أبي صالح قال أبو زكرياء وقبره
 في عصرنا هذا لم يندرس كأنه ربوة اهـ *

* وذكر أن بعض أهل وارجلان قال له أتخفظ القرآن كله فقال له
 معاذ الله أن ينزل على موسى وعيسى ما لم أحفظه وأعرف معناه فكيف
 بكتاب الله الذي أنزله على نبيتنا محمد صلى الله عليه وسلم . ومما يحكى عن
 خشوعه أنه كان في بعض الليالي قائماً يصلي فوق سقف البيت ولم يبق منه
 إلا ما كان فوقه ولما جاء الناس للبحث عنه وجدوه واقفاً على ما هو عليه ولما سأله
 قال لهم ظننت أن القيامة قد قامت * أي لما وقع من الزلزلة * ولم يعلم بأن
 ذلك من السقف لاشتغاله وله أخبار غير هذه مذكورة والله أعلم *

﴿ بيان بعض من ولي تهرت ﴾

﴿ بعد بني رستم ﴾

* ذكر المرء كشي طرفاً من أخبار تهرت بعد بني رستم وهو أحسن
 ما وقفت عليه من كلام المؤرخين في هذا المقام وإن كان مفرقاً مشتتاً في
 تاريخه . نخذه مجموعاً موصولاً من لفظه ﴿ قال ﴾ فسار أبو عبد

الله (الشيعي سنة ٢٩٦) حتى حل بمدينة (تهرت) فدخلها بالآمان وقتل
من بها من الزستمية * يقظان بن أبي اليقظان وجماعة من أهل بيته وبعث
برؤسهم إلى أخيه أبي العباس وأبي زاكي خليفته برقادة وطرفت بالقيروان
ونصبت على باب مدينة رقادة وانقضت دولة بني رستم بتهرت اه *
* فتوالت عليها بعدهم المصائب * وتتابعت عليها النوائب. وتراكم على أهلها البلا *
وفشا فيهم الثقل والجلاء . وامتحنوا بالزلزال والقتال * وتجرعوا كؤوس الذل
والوبال * وما ينزل بهم عامل الا وتحضر عمال * وما يطرأ عليهم حال الا وتظهر
أحوال * وقد وضع المؤرخ المراكشي بعضا من ذلك حيث قال * ثم ولي
أبو عبد الله علي { تهرت } أبا حميد دواس بن صولات اللهيضي وكان يلقب
بالسيد الصغير ثم نهض حتى احتل مدينة سجلماسة وحاربها يوم الأحد لسبع
خلون منه ففتحها في هذا اليوم وأخرج منها عبيد الله الشيعي وابنه أبا القاسم
وكانا محبوسين في غرفة عند مريم بنت مدرار وفي سنة ٢٩٧ خالف على
أبي عبد الله الشيعي محمد بن خزر بن صولات الزناتي وأقبل إلى مدينة
{ تاهرت } وطمع بأخذها وأخرج دواس بن صولات منها وان يقطع بأبي
عبد الله ويمن معه في انصرافهم من سجلماسة وباطنه على ذلك قوم من أهل
(تاهرت) يعرفون ببني دبوس فاستدعوه فوشى بهم إلى دواس عامل الموضع
فحبسهم في حصن ابن بخانة المعروف (بتاهرت) القديمة وحارب محمد بن خزر
(تاهرت) وتغلب على بعض أرباضها فلما رأى ذلك دواس هرب إلى ابن حمة
صاحب القلعة ووثب أهل حصن ابن بخانة على بني دبوس عندهم فقتلوه ودفع
أهل (تاهرت) محمد بن خزر وجاربه ثم كاتبوا دواسا فأنصرف إليهم ورجعت
قبيلة زناتة إلى (تهرت) وحاصروا دواس بن صولات فيها فأخرج إليهم

عبيد الله قائدا يعرف بشيخ المشايخ فهزم زناته وقتل كثيرا منها وفي سنة ٢٩٩ فتحت (تهرت) وكان أهلها قد ثاروا على دواس عاملا وأرادوا قتله فهرب منها الى (تهرت) القديمة وتحصن بها وقتل فيها أكثر أصحابه وكانوا في نحو ألف فارس واستدعوا محمد بن خزر فقدم عليهم وأدخلوه البلد وولوه وبرزوا اليه بأم دواس وعياله وأكثر سلاحه ثم خذلوه وخذلهم فزال عنهم وانصرف الى موضعه ثم أخرج عبيد الله المساكر الى (تهرت) في أعداد عظيمة وخلق لا يحصى كثرة فنزلت عليها يوم الجمعة لانسلاخ المحرم وحارب أهلها ثلاثة أيام ثم أخذوا بالكيد ودخلت المساكر (تهرت) يوم الثلاثاء لا ربيع خلون من صفر فقتلوا وسبوا النساء والثرية واتهبوا الأموال وحرقوها بالنار وبلغ عدد القتلى بها ثمانية آلاف رجل ثم ولي عبيد الله (تهرت) مصالة بن حبوس بن منازل بن بهلول المكناسي وانصرف دواس بن صولات الى مدينة رقادة وقتله عبيد الله بعد ذلك وفي سنة ٣٠٤ خرج مصالة بن حبوس من (تهرت) لمحاربة سعيد بن صالح بن ادريس صاحب (ناكور) فدارت بينهم حروب كثيرة *

﴿ أقول قال صاحب الاستقصاء وفي سنة ٣٠٥ أحرقت النار أسواق مدينة فاس وأسواق (تهرت) قاعدة زناته وأحرقت أسواق قرطبة وأرباض مكناسة من بلاد جوف الأندلس وكان ذلك كله في شوال من السنة المذكورة فسميت سنة النار اه * ﴾

* وفي سنة ٣١٠ قدم مصالة الى المهدي على عبيد الله فأقام بها أياما ثم صرفه الى (تهرت) فخرج اليها في شعبان وفي هذه السنة خالفت نفوسة على عبيد الله وقدموا على أنفسهم بأبادة فاجتمع اليه عدد كثير واشتدت

شوكته فأخرج اليهم عبيد الله علي بن سليمان الداعي في جمع كثير فلما
قرب منهم ثبتوا فقتلوا كثيرا من أصحابه وانهزم الباقون وتفرقوا عن علي
ابن سليمان فسار علي الى طرابلس وكتب الى عبيد الله بذلك فكتب عبيد
الله الى علي بن لقمن عامله على قابس بأن يقتل كل من مر به من المهزمين
فقتل منهم جماعة وأمد عبيد الله علي بن سليمان بالجيش وأخذ في حصار
قفوسة بعزم وفي سنة ٣١١ أوقع علي بن سليمان بأهل قفوسة ودخل حصنهم
وهدمه وقتل الرجال وسبي الذرية وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة
بقيت من شعبان وفي سنة ٣١٢ خرج مصالة بن حبوس من (تهرت) الى
زناتة فأدخبلهم وقتل وسبي وأخرج خيلا الى بعض نواحي ابن خزر وكان
فيها اكثر جماته ووجوه رجاله وبقي مصالة في نفر من أصحابه فبلغ ذلك ابن
خزر فقصد نحو مصالة ودارت بين الفريقين حرب عظيمة قتل فيها مصالة
وانهزم أصحابه وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان وفي سنة ٣١٤ زحف
ابن خزر الى (تهرت) وحاربها فانهزم عنها وأخرج عبيد الله في أثره موسى
ابن محمد الكتامي في جماعة من القواد فلما صار بطبنة دخل محمد بن خزر
الصحراء وأبقى اخاه عبد الله مع وجوه رجاله بوادي مطاطة فدارت بينه
وبين جند الشيعي حرب عظيمة كان الظفر فيها والغلبة لابن خزر ثم أخرج عبيد
الله اليه أسحق بن خليفة وأصحابه وخالفت على الشيعي لمائة وما جاورها من
القبائل واستمدوا ابن خزر فكتبوا الى عبيد الله مستمدين فأمدهم بجيش كثير
فهزموه وراست هذه القبائل محمد بن خزر فولى عليهم أخاه عبد الله ودارت
بينه وبين جيوش الشيعي وقائع كثيرة * وبعد وفاة مصالة تولى (تهرت)
أخوه يصل بن حبوس الى أن توفي سنة ٣١٩ ثم وليها أبو مالك بن

يغمراسن بن أبي شحمة اللبيصي فقام عليه اهل البلد وأخرجوه سنة ٣٢٣ ووليها ابو القاسم الأحمد بن مصالة بن حبوس فقدموه على انفسهم فأقام عليهم سنة واحدة فلما انصرف ميسور من ارض المغرب الى افريقية حاربهم حتى ظفر بالبلد فقتل ابا القاسم بن مصالة المذكور وولى على (تبرت) داود بن ابراهيم العجيسي فأقام واليا عليها الى ان اخرجته حميد بن يصل في جمادى الآخرة من سنة ٣٣٣ في ايام ابي يزيد مغل بن كيداد اليفرني وخرج حميد بن يصل من (تبرت) في سنة ٣٣٣ في خبر طويل ذكره وجاز الى الاندلس واحتل اسماعيل الشيعي مدينة (تبرت) وولى عليها ميسورا الفتي فاضطرب عليه اهل البلد لأنهم سار فيهم بسيرة غير مرضية فاستدعوا محمد بن خزر الزناتي وابنه الخير ومن معهما من زناتة فقدموا الى (تبرت) في جمع عظيم وأظهروا أنهم ناصرون لميسور فخرج اليهم فعدروه وأسروه ودخل بنو خزر وزناتة مدينة (تبرت) ونزلوا دار الأمانة ثم اضطرب أمر أهل (تبرت) وتقلب عليها يعل بن محمد اليفرني الزناتي الى ان قدم جوهر قائد الشيعة سنة ٣٤٩ هـ بدون زيادة ولا نقصان الا ما كان من بعض كلمات يقع بها ربط كلامه المتفرق لا يترتب عليها شيء من جهة المعنى الأصلي ولم تقف على من وليها بعد هذا التاريخ ولم نعلم نهاية عمراتها متى كانت الا ما يؤخذ من كلام ابن خلدون فانه بعد أن تكلم على أحوال بني رستم فيها باختصار وتكلم على بعض من وليها بعدهم ممن ذكرناهم هاهنا قال «ولم تزل (تاهرت) هذه بعد لأعمال الشيعة وصنهاجة سائر أيامهم وتقلب عليها زناتة مراراً ونازلها عسكر بني أمية راجعة في أثر زيري بن عطية أمير المغرب من مغراوة أيام أجاز المظفر بن أبي عامر من العدو الى حربه ولم يزل

الشأن هذا الى أن انقرض أمر تلك الدول وصار أمر المغرب الى دولة
الموحدين من بعدهم وملكوا الفرس وخرج عليهم بنو غانية بساحية قابس
ولم يزل يجيء منهم جلب على ثغور الموحدين وشن الغارات على بسائط
أفريقية والمغرب الأوسط وتكرر دخوله اليها غنوة مرة بعد أخرى الى
أن احتمل سكانها وخلاجوها وغفار سمها لما تنهى عشرون من المائة السابعة
والأرض لله اه والذي يؤخذ من التاريخ أنها خربت مرارا وعمرت ولعل
ما ذكره ابن خلدون هو خرابها الأخير الذي لم تعمر بعده * (هنا) وبعد أن
تبادلتها أيدي الشيعة وغيرهم ممن سعى في الأرض فساداً أضحت آثار العدل
منها وتغيرت معالمها وساد فيها الجهل وسارت في التهمير والادبار على نسق
ما كانت عليه أيام بني رستم من التقدم في العلوم والعمران وقد بلغ الجهل بأهلها
في آخر أمرها مبلغاً يكاد يكذب به سامعه * ومن ذلك ما ذكره المؤرخ
القزويني حيث قال * ويحكى أنه رفعت الى قاضيهم (يعني أصحاب تهرت)
جناية فما وجدها في كتاب الله فجمع الفقهاء والمشائخ (صورة) فقالوا بأجمعهم
الرأي للقاضي فقال القاضي اني أرى أن أضرب المصحف بعصه ببعض ثم
افتحه فما خرج عملنا به فقالوا وقت (الى الصواب) أفعل ففعل فخرج
« قوله تعالى سنسمه على الخرطوم » فجدع (قطع) أنفه اه
* وقد تضاربت أقوال المؤرخين وتباينت في تقدير مدة عمرائها بإمامة
بني رستم كما اختلفوا في مدة كل امام منهم وقد قدمنا الراجح من ذلك *
* فقال بعضهم ١٣٠ وبعضهم ١٥٠ سنة وعلى هذا القول جرى والذي
حفظه الله في قصيدته التي رثى بها استاذة عمه الشيخ سعيداً الباروني نزيل
جزيرة جربة وعالمها الوحيد في عصره رحمه الله حيث قال *

وَأَيْنَ الْأُثْمَةِ الْكِرَامِ جَمِيعِهِمْ * بنو رستم كأس المنايا تجرعوا
 لقد أسسوا (تيهت) بالقرب وارتقوا * مدارج عز الملك فيها وأبدعوا
 وداموا بها خمسين عاما ومائة * يخفهم من كان بالعضب يقطع
 فبدد هم ريب المنوت وأصبحت * منازلهم قفرا بها الريح ززع
 * وأنهاها بعضهم إلى ١٦٠ سنة وهو صاحب المكتبة الصقلية المطبوعة بمطبعة
 ليسيك الأفرنجية (قال) وزال ملك بني الأغلب وبني مدرار الذين منهم
 اليسع وكان لهم ثلاثون ومائة سنة منفردين بسجلهامة وزال ملك بني رستم
 من (ناهرت) ولهم ستون ومائة سنة وملك المهدي (الشيخي) جميع ذلك اه
 * والذي يؤخذ مما رجحناه فيما سبق من مدة كل امام انها لم تتجاوز
 ١٤٠ سنة ولعل من قال بأكثر من هذا يرى ان امامة عبد الرحمن رحمه الله
 مؤسس (تيهت) كانت قبل ١٦٠ من الهجرة وهو غير بعيد ان اعتبرناها
 من يوم وفاة أبي الخطاب وخروجه هو من القيروان كما قدم والله أعلم بالحقيقة.

❦ رثاء (مدينة تيهت) ❦

❦ لما خربت ❦

* تقدم ما هو كاف في بيان بعض ما كان فيها من العلماء والأدباء والشعراء
 ولا نشك في انهم رثوها بقصائد كثيرة وبكل أسف لم نثر على شيء منها
 كما بحثنا الا بعض أبيات ذكرها العلامة المراكشي وهي تسيل الدمع
 وتكلم الروح وتحرك الأحزان . وتدل على ما كان لقائلها من القدرة على
 اختيار العبارات المؤثرة بمعانيها المهيجة المثيرة للحنين إلى معاهد الأولين .
 وآثار المتقدمين . ❦ قال ❦ ومما قيل حين قضى الله بخرابها وانتقل أهلها
 وأربابها عنها .

(خليلي عوجا بالرسوم وسما * على طلل أقوى وأصبح أغبرا)
 (المأ على رسم (تبهرت) داتر * عفته الغواذي الراحات فأقبرا)
 (كأن لم تكن (تبهرت) دار العشر * فدمرها المقدور فيمن تدمرا)
 * قال وقال بعض شعراء (تبهرت) من قصيدة أولها *

(فراغ الهوى شغل * وعجيا الهوى قتل)

(ويوم الهوى حول * وبعض الهوى كل)

(وجود الهوى بخل * ورسل الهوى عدا)

(وقرب الهوى بعد * وسبق الهوى مطل)

(سقي الله (تبهرت) المناو (سويقة))

(بساكنها غيثا يطيب به المحل)

(كأن لم يكن والدار جامعة لنا)

(ولم يجتمع وصل لنا ولا أهل)

(فلما تهادى العيش وانشقت العصا)

(تداعت أهاضيب النوى وهي تنهل)

(سلام على من لم تطق يوم بيننا)

(سلاماً ولكن فارقت وبها نكل)

(وماهي آفاق تفيض دموعها)

(ولكنها الارواح تجري وتنسل)

* قال وتبهرت القديمة هذه هي التي خربها الخير بن محمد بن خزر الزناتي

سياحتي في المغرب وزيارتي تبهرت

* كنت ارتحلت من مصر بعد أن جاورت في الازهر العاصر نحو ثلاث

سنتين الى المغرب الأوسط سنة ١٣١٣ فقصدت جبال بني مصعب من أعمال
الجزائر لطلب العلم من عالم الاسلام امام الأئمة الاعلام أستاذي الشيخ محمد
ابن يوسف الميزابي صاحب الصيت البعيد والذكر الحميد الذي عرفت الدول
حق قدره فرصت صدره بالنياشين المعتبرة بدون ان يسألها أو يتصدي لها
وناهيك من رجل حاز ذلك على بعد مكانه وقلة الوسيلة من أمير
المؤمنين وسلاطان المسلمين المعظم عبد الحميد بن عبد المجيد خان العثماني صاحب
مملكة القسطنطينية العظمى ومن السلطان المعظم ملك دولة الزنجبار ومن
الدولة الفرنسية الكبري * فأقت عنده ملازماً مجلسه الفاخر نحو ثلاث
سنتين أيضاً أظهر رضي الله عنه في أثنائها من الاعتناء بشأني والاجتهاد في
ارشادي مالا أقدر قيمته ببيان * فجازاه الله عني بما هو أهله وأسكنه بعد عمر
طويل غرف الجنان . كما لا قيت من الاخوان الكمل والأصدقاء الافاضل
اهل المروءة والأدب الكامل ممن عرفوني هنا لك كل حفاوة
واكرام . وتبجيل واحترام حتى كدت أهجر بلادي وأتخذ بلادهم وطناً لي .
ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم * تعاب بنسيان الأجابة والأهل
* ولما كنت أسمه كثيراً من أستاذي هذا على تهرت وعمرانها * وبني
رستم وعدلهم فيها اشتاقت نفسي الى زيارة اطلالها والوقوف على ما بقي من
آثارها * اعتباراً بمن مضى وتزوداً من بركات من وطؤا ثراها * وعمرها
بذكر الله سهلها ورباها * فاستأذنت الامام في السفر وبعد مماطلة وتسويف
طويل أنعم بالاذن وشيعني مسافة أخجل من بيانها لعلو مقامه وصغر مقامي
وان علم بها الخاص والعام * ولقبني بما لا أحمل حمله مما لم يجد به لغيري وزودني
من دعائه الصالح وتوجيهاته القلبية ما لم ازل استمد منه الرشيد والتوفيق ولا

أضام معه باذن الله مادمت حيا * فتصدت الجزائر ومنها عطفتم الى « تيارت » وهي « تهرت » القديمة يصحبنى من الأصدقاء عدد لا أنسى ذكرهم ولا أقدر فضلهم على متن وابورالسكة الحديدية فاخترق بنا جبالا * وقطع أودية * وهو يزأر كالأسد كلما دخل غاراً * أو تجاوز قنطرة * وكأنه يدرك ببصيرة نقاده * ويبصر بأبصار وقادة * أو يهتدي بالدليل * فيقتحم المفاوز بالليل * الى أن وصلنا « تيارت » ونزلنا عند صديق لنا من أفاضل تجار بني ميزاب فأكرم نزلنا ثم سار معنا على ظهر البابور الى « تهرت » * فنزلناها واذا هي لم يبق منها إلا آثار ورسوم وأنقاض متراكمة يجمعها الفلاحون ليحرثوا أماكنها . وبقي من سورها شيء قليل في ناحية يدل على منعتها وقوته وزرنا النار الموجود فيها بالقرب من الشجرتين اللتين يقال انهما من وقت عمرانها والمشهور عن النار أنه معبد لبعض زهاد ذلك الوقت ويعترف له الأعراب المجاورون لها ببعض كرامات منها ما أخبرني به بعضهم من أن نصرانياً كان في السنين القريبة يرعى خنزيراً له ويأوي اليه في بعض الاوقات للمبيت أو المقييل فيه ولما سمع بنو ميزاب التجار (بتيارت) أو غيرها نهوه عن ذلك مراراً وحذروه فلم ينته ثم أصبح في بعض الايام وهو فيه أعشى وخنزيره هباءً بجنبه فاعتبر وندم حيث لا ينفعه الندم . ومن عادة بني ميزاب زيارتها في كل سنة مراراً والتصدق فيها وقراءة القرآن فكان يبعث اليهم يسألهم أن يقبلوا منه صدقته مع صدقاتهم رجاء أن يرد الله عليه بصره فلا يقبلون منه فأتى مرة بنفسه وذبح وتصدق وذهب وقد سألت عنه لما سمعت الحكاية لا يجتمع به وأخذ منه حقيقتها مشافهة فلم تيسر ذلك لموانع أهمها استعجالي ولعلماء الأفرنج من الفرنساوين وغيرهم حقيقة علم بأحوال هذه المدينة

وأخبارها وما كانت عليه من العمران فهم يقصدونها في سياحتهم * وقد وجدنا هناك فرنساوياً فلاحاً لا يعرف من العربية الا يسيراً ولما رأنا بهم الفار جاءنا فقال بكلام لا يفهم الا بالقوة ان لبني ميزاب هاهنا في الزمن الاول خمسة ملوك أقوياء وأشار بأصابع يده * ومن وسطها الآن تمر السكة الحديدية وطريق الكروصه الى { تيارت } وغيرها * وبالقرب من العين المسماة الى الآن بعين السلطان بنيت المحطة وعلى العين شرع الفرنسيون في العمارة ولا يمضي زمن حتى يقال عاد الى (تيهت) شبابها القديم وتزلها تجار الاباضية أربابها القدماء وغيرهم من بني ميزاب وما ذلك على الله بعزيز * وفي جانب منها منشير عظيم ذو أنقاض كثيرة يعرف الآن بدار السلطان ولعله بقية من دار الامارة الاولى والله أعلم .

* وبعد أن قرأنا ما تيسر من كلام الله العظيم وتصدقنا على الحاضرين بما استصحبناه معنا لأجل ذلك من (تيارت) انفردت الى أعلى جهة منها * أكيف هيأتهما * وأرمي بنظري الى أرجائها * وأنا أردد قول الشاعر القائل *
{ كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر }
الى أن لاحت لي قطعة السور الباقية منه فانتقلت اليها فاذا بها زاوية من زواياه محكمة البناء متينة الأساس كأنها بقية برج فاسترحت في ظلها بجنب عود من تين أو خروع عتيق فما أظن برهة من الزمن أجول بفكري في أخبارها وتاريخها * ويبصري في آثارها * حتى أدركتني رقة لانت لها الطبيعة الجامدة * والقرمحة الكاسدة * فجادت بما لم يكن من عاداتها قبل ذلك أن تجود به * واستحضرت ما لم أكن أظنها تسبح فيه * فقلت والقلب في حسرة وانكسار * والدمع ينحدر من عين مدرار * وان لم أكن ممن ينظم من الشعر

عقوده * ويدرك منه سنه وفروضة * هذه القصيدة التي لم أغير منها مما
قلته إذ ذاك شيئاً سيراً في منهج الصديق إلا ما كان من قولي * واستعبدوا
البر والبحرا * فانه قد أبدلته الآن بقولي * واستسهلوا الخ * كما ستراه
لما في لفظ استعبدوا من مجازة حد المبالغة المنهي عنها نغذها أيها القاريء
على ما فيها * وان بالبدر كنفاً *

فما نيك أطلالا تقلص ظلمها * وتندب آثار الذين بقوا ذكرا
بني رستم من قام بالعدل ملكهم * فأست بهم تبهرت كالروضه الزهرا
تحف بها الانهار والزهر باسم * بروض بساتين هي الجنة الخضرا
أقاموا منار الدين دهرآ وشيدوا * معاليه واستسهلوا البر والبحرا
فكم نظموا جيشاً وكم نشر واعدلا * وكم هندوا سيفاً وكم ضربوا تبراً
وكم من حصون أحكموا ومما قل * وكم مسجد أحيوا وكم عمر واقطرا
وظل لواء النصر يحقق فوقهم * وتبهرت دار العلم والدولة الكبرى
فكم من أمير تحت ظل ابن رستم * تقلد فيها السيف واكتسب الشكرا
وكم من امام كان في الدين حجة * وكم في سياسات الملوك ترى بدرا
فأست خلاء تذرف الدمع حولها * عيون بها قرّت وسادت بها دهرآ
كذا الدهر خوان فيضحك تارة * ويبكي مراراً صاغ من حلوه المرآ

أيادار كم عمرت والسعد مقبل * عليك وكم بالعلم سادت بك الغبرا
عمرت وثمرت البلاد سويعة * من الدهر كانت من نواذره الغرا
يشد اليك الرجل من كل وجهة * بك العيش رغد طيب وبك الاخرى
فهل فيك من يدري وقوف متم * يكفف دمعاً نادباً مربع الذكرا

يئن أنيساً يجرح القلب والكلى * يفتت أكباداً ولما يطق صبرا

سلام سلام من قلوب كثيبة * تسائل اطلالا ولم تكتسب خبرا
على معهد الاسلام والدين والهدى * وربيع ملوك كان ملكهم صدرا

ألا أيها الخجل المرافق قف وقل * حيال ديار طالما جبرت كسرا
سقى الله (تو) تهرت (تو) بوابل رحمة * يحدد ذكراها ويحيي لها نغرا
وآه وهل يحيي التأوه ميتاً * ومن ذا يرى عمرانها مرة أخرى
بعيد بعيد لكن الله ربنا * قد ير على أن المغيب لا يدري

ثم تحولت الى أصحابي وعدنا الى الجزائر ومنها وليت وجهي نحو وطني
العزير (تو) جبل نفوسة الشاوخ العامر (تو) فكانت لهذه الزيارة بعد ذلك رنة
أطبقت آفاق تلك الجهات وبني عليها وعلى ماعطف عليها من الوسائل حدث
أضحك وأبكى . وأمات وأحي . وأهان وأكرم . وأذل وأعز . وأبعد
وقرب . وأسخط وأرضى . (تو) وكان . وكان . وكان . مما لوسطر الملائ بطون
الدفاتر وضائق دونه صفحات الطيوس وما هو وأيم الله الا أوهام في أوهام .
وأفكار كأضغاث أحلام . وحيل ومراصد . يتوصل بها الى خيث المقاصد
ثم كانت عاقبة السلامه . بواسطة من تحلوا بالفضل والكرامه . من أرباب
الهمم العلية . والرومة والانسانية . فتجرع كل من لم يبلغ مرامه من الواشين
كؤوس سم الحسرة والندامة . وتسربل بسربال المذمة والملامه . اذ أيد
الله العدل والانصاف . وبدد الظلم والاعتساف . بتوفيق سيد سلاطين
المسلمين . وحامي احمى الحرمين الشريفين . سلطاننا أمير المؤمنين (تو) عبد

الحمد ﴿﴾ خان الثاني . الى الانعام بنفوشاهاني خصوصي تحليت بحليته الفاخرة
وتناسيت ما كانت في الحين . وعظمت الى تلاوة قوله تعالى وهو اصدق
القائلين ﴿﴾ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم
الاخسرين ﴿﴾ وقوله ﴿﴾ انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلموا
علي واتوني مسلمين ﴿﴾ وهي آية يزجر بها المعزومون المردة من الجن والشياطين
والحمد لله رب العالمين .

﴿﴾ تنبيه ﴿﴾

حيث أن أغلب تحرير هذا الكتاب كان مجارياً لطبعه بمعنى ان ما أحرره
اليوم يطبع غدا مثلاً حصل فيه بعض تساهل من حيث اللفظة والاعراب
والرسم وربما أطلع على شيء من ذلك بعد فوات طبعه فأتأسف اذ لا يمكنني
تصحيحه . ومن نظر الى قولي في صحيفة ١٢ عن تهرت ﴿﴾ بعد أن مضى عليها
مالا يبعد عن ألف سنة وهي خراب ﴿﴾ والى ما ذكرته أخيراً ممن وليها بعد بني
رستم يصدق ما قلته فاني كنت عند تحرير الاول اعتقد انها لم تعمّر بعد بني رستم
قط ثم اطلعت على الأخير بعد ذلك . ولم أغير مما نقلته من كلام المؤرخين شيئاً غير
لفظ الخوارج الذي يقرنونه أحياناً بلفظ الا باخنية أو يعبرون به عنهم طعنًا فيهم
فاني أسقطته وأرجو من أرباب الاطلاع أن يصلحوا الفساد ما أمكن بدون
اعتراض فاني مقر بالعجز والتقصير والكمال لله الذي خلق النقص والكمال .

﴿﴾ وأصلح الفساد بالتأمل * وان بدية فلا تبدل ﴿﴾

﴿﴾ اذ قيل كم مزيف صحيحاً * لأجل كون فهمه قبيحاً ﴿﴾

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين ولا حول

ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فهرست

صحيفة

صحيفة

٢	انتقال الامامة الى المغرب	٦٢	مدينة انكاد
٦	ابتداء تأسيس مدينة تهرت	٠٠	مدينة مازونة
١٤	أقوال المؤرخين فيها	٠٠	قلعة هوار
٤٥	الكلام على بعض المدن	٩٣	مدينة مايانة
	المشورة المنسوبة الى تهرت	٦٤	مدينة ناجنه
٠٠	مدينة (تنس)	٠٠	مدينة أشير
٥٤	مدينة وهران	٦٥	مدينة الماء - كركر
٥٦	مدينة شلف	٠٠	العلماء المنسوبون الى تهرت
٥٧	المدينة الخضراء	٦٧	علماء الأباضية
٥٨	مدينة افكان	٧٠	الشكوك في مذهبه بكر
٠٠	مدينة غزه		ابن حماد الشاعر الاديب المشهور
٠٠	سوق ابراهيم	٧٥	علماء غير الاباضية
٥٩	مدينة وارين	٧٨	مدينة سجلماسة
٠٠	مدينة أوزكي	٨٣	﴿ عقد الامامة بقيرونة ﴾
٦٠	مدينة القدير	٨٤	خلافة الامام عبد الرحمن
٦٠	مدينة زلاغ	٠٠	وكلام ابن الصغير على ذلك
٦١	مدينة يال	٨٥	الاعانة الاولى من أهل
٠٠	مدينة قصر الفاوس		المشرق لهذا الامام ووصف
٠٠	مدينة كرا		ابن الصغير عدله وسيرته

صحيفة	صحيفة
٨٩ الاعانة الثانية من المشاركة اليه	١٢٢ واقعة نفوسة مع المعتزلة
٩٢ دهاء هذا الامام مع ملك الصفيرية	١٢٦ استدعاء المعتزلة فارس نفوسة
٩٣ خطبة ابن رئيس الصفيرية	لإضيافة بتعمد الفار به
ليزت الامام وتوجه بها	١٢٩ حرب أخرى كبرى للامام
٩٥ حملها منه وما نشأ عن ذلك	١٣٣ تزوج الامام من قبيلة لواتة
٩٨ وفاة الامام	١٣٧ عزم الامام على الحج
١٠٠ (خلافة الامام عبد الوهاب)	١٤٠ منع نفوسة الامام من الحج
١٠٢ خروج ابن فندي عن الطاعة	١٤٣ حكاية أبي عبيدة معه
١٠٣ مكيدة لقتل الامام	١٤٤ محاصرة الامام لطرابلس
١٠٧ ارسال المسلمين الرسل للمشرق	١٤٦ محاصرة عسكر الامام لقابس
٠٠٠ صورة جواب المشاركة	١٤٧ رجوع الامام الى تهرت
١٠٨ ارتحال شعيب من مصر الى	٠٠٠ وولاية السمع على الجبل
تهرت طمعا في الامامة	١٤٨ وفاة السمع وفتنه ابنه خلف
١٠٩ حرب ابن فندي مع الامام	١٤٩ جواب الامام الى نفوسة
١١٢ رجوع الرسل من المشرق	في شأت خلف
والقدر يميمون بن الامام	١٥٢ ولاية أيوب بن العباس للجبل
١١٥ حرب ابن ميمون مع القاتين	٠٠٠ ولاية أبي عبيدة على الجبل
لوالده	١٥٥ حكاية ابن يانس التابع لخلف
١١٦ حرب الواصلية مع الامام	١٥٧ صورة جواب الى امام عمان
١١٨ طلب الامام من نفوسة جيشا	١٥٩ تصحيح قول

صحيفة .

صحيفة

- ١٦٠ رسالة أبي عبيدة مسلم للإمام
١٦٣ وفاة الامام وعدد أولاده ومدته
١٦٤ عمال هذا الامام .
١٦٦ في خلافة الامام أفلح
١٦٧ محاربة أبي عبيدة خلف
١٦٨ محاربة ثانية له ووفاته
١٧٤ ولاية العباس على الجبل
١٨١ كلام ابن الصغير على سيرة الامام
١٨٢ دهاء هذا الامام
١٨٤ أحوال الامام مع الملوك
١٨٧ رسالة الامام الى بعض عماله
١٨٨ رسالة أخرى له
١٩٠ قصيدته في فضل العلم
١٩٥ انتقال فرج النفوسي الخروج
١٩٩ رسالة الامام الى رعيته
٢٠١ رسالته الى المسلمين كافة
٢٠٤ رسالته الى نفات
٢٠٦ هروب نفات الى المشرق
ونسخه ديوان جابر من بغداد
٢١٠ امتحان الشراة لهذا الامام
- ٢١٤ النصيحة العامة من الامام
٢١٩ عمال الامام
... ولاية أبان على نفوسة
٢٢٠ وفاة الامام ومدته وأولاده
وذهاب أبي اليقظان الى الحج
٢٢٢ في خلافة الامام أبي بكر
٢٢٣ مصاهرته لابن عرفة
٢٢٤ رجوع أبي اليقظان من بغداد
٢٢٦ مذاكرة الامام مع رجاله في
شأن ابن عرفة
٢٢٧ قتل ابن عرفة
٢٣٠ قيام أهل المدينة للأخذ بثاره
٢٣٢ تجنب نفوسة وأبي اليقظان
... حربهما مع أهل المدينة
٢٣٦ في خلافة الامام أبي اليقظان
٢٣٧ طلب الامام بجيشا من نفوسة
٢٤٠ رسالة الامام الى العمال والرعية
٢٤٣ مناظرة الاباضية مع المعتزلة
... حكاية أبي عبيدة مع الامام
٢٤٥ تعلق نفوسة بهذا الامام

صحيفة	صحيفة
٢٧٥ دخول الامام المدينة	٠٠٠ ولاية أفلح بن العباس على نفوسة
٢٧٧ أخبار أبي منصور مع ابن خلف	٢٤٧ حكاية قاضي تهرت
٢٨٠ ولاية أفلح بن نفوسة ووقعة (ماتو)	١٥١ ولاية أبي منصور على نفوسة
٢٨٤ واقعة لابن الاغلب مع نفوسة	٢٥٥ محاربتة مع ابن صاحب مصر
٢٨٦ أرياب المذاهب بتهرت	٢٥٨ جواب أبي منصور اليه
٢٨٧ خطب الجمعة في ذلك العهد	٠٠٠ حكاية سجن الامام ببغداد
٢٨٩ خطبة التحكيم	٢٦٠ خبره مع أخيه السلطان
٢٩١ قتل الامام وعدد مدته	٢٦١ عقبا لخلافة لأخيه السلطان
٢٩٢ ولاية اليقظان وقتله وانقراض	٢٦٢ طلبه من الامام لاقامة ببغداد
ملك بني رسم من تهرت	٢٦٣ (غريبة)
٢٩٣ خبر يعقوب بن أفلح	٢٦٤ وفاة الامام وعدد أولاده ومدته
٢٩٣ من ولي تهرت بعد بني رسم	٢٦٥ (خلافة الامام أبي حاتم)
٣٠٠ ما قيل من الشعر في رثاء تهرت	٢٦٦ بقي الامام لبعض المفسدين
عند خرابها	٢٦٩ خروج الامام من المدينة
٣٠١ زيارة جامع الكتاب الى اطلال	٢٧٠ محاصرة الامام للمدينة
تهرت وقصيدته واسارة الى	٢٧١ مبايعة أهل المدينة لعم الامام
مانشأ عنها	٢٧٢ حرب الامام مع عمه
٣٠٧ (تنبية)	٢٧٣ عقد صلح بين الامام وعمه
	٢٧٤ الاجماع على الامام